

الآثار القبطية فى وادى النيل

دراسة فى الكنائس القديمة

تأليف: سومرز كلارك

ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم: د. جودت جبرة

Somers Clarke, F.S.A.

CHRISTIAN ANTIQUITIES IN THE NILE VALLEY

سومرز كلارك

الآثار القبطية فى وادى النيل

دراسة فى الكنائس القديمة

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم

مراجعة وتقديم

د. جودت جبرة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٦

الفهرس

الموضوع	الصفحة

تصـــــــدير

كان مؤلف هذا الكتاب عند نشره فى سنة ١٩١٢ عضواً بلجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة وعضواً بجمعية آثار الاسكندرية ، فهو بذلك وثيق الصلة بالدراسات الاكاديمية لموضوع الكتاب بحكم موقعه . وقد لاحظت أن المؤلف لم يكتب مقدمة لكتابه ، ولكننى عندما وصلت الى الخاتمة اكتشفت انها استدراك للمقدمة التى لم يقدمها المؤلف فى مكانها الطبيعى فى بداية الكتاب، وتتميز مادة هذا الكتاب بأنها تغطى وادى النيل بشقيه أى مصر والسودان . وكم أحسست اثناء الترجمة بمدى التقصير الذى بدر منا فى ناحية الدراسة الأكاديمية لكافة نواحى الحياة بالسودان الشقيق خاصة التاريخ المشترك على ضفتى النهر الخالد ! . وتذكرت الجهد الكبير الذى بذله علماء الغرب فى هذا الصدد بينما تقاعسنا نحن عن القيام بمثل هذا الجهد فترة طويلة مازالت مستمرة حتى اليوم .

والكتاب يتحدث عن عمارة الأديرة والكنائس القبطية القديمة ،سواء تلك التى اندثرت ولم يتبق منها سوى الأطلال ، أو تلك التى اهتدى اليها بالبحث والتنقيب . ولا شك أن الدراسات الوصفية التى قدمها مع المساقط الافقية التى أورد رسومها التخطيطية تمثل تراثاً انسانياً رفيع المستوى .

واعتمد المؤلف اعتماداً كبيراً على كتاب « الكنائس القبطية القديمة » بجزءيه لمؤلفه الرحالة البريطانى الفريد جوشوا بتلر ، وهو الكتاب الذى

تدينا ترجمته العربية فى نفس هذه السلسلة (الالف كتـــاب الثانى) وانني اعتبر الكتاب الحالى الذى بين يدى القارىء الآن مكملاً لكتاب بتلر لأنه تحدث باستفاضة عن الآثار القبطية فى النوبة والسودان وهـــو ما لم يتعرض له بتلر ، كما توسع فى بعض ما عرضه بتلر بإيجاز مثـــل الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، وكنائس نقادة .. الخ، وبالرغم من ذلك فقد امتدح المؤلف كتاب الرحالة بتلر كمرجع أساسى لدراسة الكنائس القبطية القديمة .

وتحدث المؤلف عن المعونة التى تلقاها من مرقس بك سميكة ووصفه بأنه معروف باهتمامه الشديد بالآثار المسيحية ، وتضيف هنا ان مرقس سميكة نال فيما بعد لقب (باشا) وان اهتمامه بالآثار القبطية تزايد حتى وصل الى ذروته بانشائه المتحف القبطى فى سنة ١٩٠٨ ليجمع فيه المادة الأثرية اللازمة لدراسة تاريخ الحقبة القبطيـــة منذ ظهـــور المسيحية ودخولها الى مصر حتى الآن .

ولم نجد ضرورة للحديث عن المصطلحات الكنسيـــة التى وردت بالكتاب لانها متضمنة فى الملحق الذى اضفناه بمعرفتنا الى الجزء الثانى من كتاب بتلر الذى تسعى الهيئة المصرية للكتاب حالياً لاعداد طبعـــة جديدة منه نرجو ان تتوفر بين يدى القارىء عند صدور هذا الكتاب ، ولكن هذا لم يمنع اضافة بعض التعليقات والشروح للكتاب الحالى .

وكما ابدى المؤلف الشكر والامتنان نحو الذين أمدوه بمساعداتهم المختلفة فاننى اقتدى به واقدم جزيل الشكر والامتنان لعالم القبطيـــات الدكتور جودت جبرة لقاء الجهد الكبير الذى قام به فى مراجعة وضبط هذه الترجمة شاكراً لمجموعة العاملين المشرفين على اصـــدار سلسلة الالف كتاب الثانى جهدهم العظيم خاصة الاستاذ احمد صليحة رئيس تحرير سلسلة الالف كتاب الثانى الذى قام باضافة بعض الملحوظات التصحيحية من التاريخ الاسلامى وهى مميزة فى نهايتها بكلمة (المحرر). والله ولى التوفيق .

ابراهيم سلامة ابراهيم
القاهرة فى ١٩٩٧/٤/١٢ م

مقدمة الطبعة العربية

تعاقبت على ضفتى نهر النيل الخالد اعظم حضـــارات العـــالم ، الفرعونية واليونانية والرومانية والبيزنطية والاسلامية ، وتلتقى جميع هذه الحضارات عند الحضارة القبطية دون غيرها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر تمتد جذور اللغة القبطية فى تربة مصر الفرعونية ، فهى لغـــة المصريين القدماء التى حفظتها الكنيســة القبطية فى مخطوطاتها وكتبهـــا وما زالت تنطق بها فى طقوسها وصلواتها ، كما أن الكثير من الكلمـــات القبطية مازالت تتردد على السنة شعب مصر ، وما زال الفلاح المصرى يستخدم الشـهور القبطية باصولها المصرية القديمة، توت وبابه وهاتور .. فى تنظيم زراعاته على مدار العام . ويحتفظ الفن القبطى بـكثير مـــن خصائص الفن المصرى القديم ، فجدران الكنائس والأديرة القديمة تزدان بالتصاوير مرتبة فى صفوف منتظمة لتعبر عن الديانة المسيحية كمنظـــر السيد المسيح فى هالة المجد او القديســة العذراء مريم تحمل الطفل يسوع ويظهر ايضا كثير من الشـهداء والقديسـين ، وصور الفنان القبطى الصليب — رمز المسيحية — مشابها للعلامة المصرية القديمة « عنخ » أى «الحياة» معبراً بذلك عن مصريته الأصيلة ، الا أن الفن القبطى تأثر ايضاً بكل من الفنين اليونانى والرومانى وايضاً بالفن البيزنطى ، ومن ناحية أخرى ترك الفن القبطى بعض البصمات فى الفن البيزنطى واثر بصورة كبيرة فى الفن الاسلامى المبكر فى مصر ، كما تأثر الفن القبطى بدوره فى مراحله الأخيرة بالفن الاسلامى ، فالفن القبطى هو الفن المصرى الوحيد الذى تلتقى عنده جميع فنون مصر .

تنفرد الآثار القبطية بانتسابها الى الشعب وليس الى الحاكم ، فلم تحظ العمائر القبطية فى اى عصر من العصور برعاية الملوك او الحكام ، ولم تنفق خزانة الدولة فى اى عصر على الفن القبطى الذى تمثل بعض جوانبه — مثل التصاوير الجدارية — احد أهم مصادر تاريخ الفن فى مصر لفترة تزيد على خمسة عشر قرنا ، كما تفتقر العمائر القبطية الى الضخامة والفخامة لقلة موارد تمويلها ولتشييدها وترميمها فى ظروف لم تكن فى كثير من الأحيان مواتية ، فهى بذلك آقل قدرة من غيرها من آثار مصر على مقاومة عوادى الزمن ، وقد عانت الآثار القبطية فى خواتيم القرن الماضى وبدايات هذا القرن من الباحثين عن كنوز الفراعنة ، وللأسف الشديد ينتمى بعض هؤلاء الى « علماء » قاموا بالحفائر فى العديد من المناطق الاثرية فازالوا الكثير من المبانى القبطية فى عجالة ليصلوا الى عمق الآثار المصرية القديمة ، دون تصوير أو تسجيل علمى دقيق للآثار القبطية ، والمثل الصارخ لهذه المأساة نجده فى معبد حتشبسوت بالبر الغربى بالاقصر ، فهو مازال يحمل اسم « الدير البحرى » : « دير القديس فويبامون » الذى كان يعلو معبد حتشبسوت .

قام سومرز كلارك مؤلف هذا الكتاب بوصف واعداد رسومات ومساقط أفقية ومقاطع مختلفة لعدد كبير جدا من الآثار القبطية والنوبية المسيحية فى وادى النيل ، وقد بدأ عمله عام ١٨٩٣ ولعدة سنوات ثم نشر كتابه القيم عام ١٩١٢ ، فهو يعد بذلك من أوائل العلماء الذين القوا الضوء على هذا التراث الهام ، كما انه كان اول من وصف عدداً كبيراً من كنائس وادى النيل العريقة .

ومع انشاء خزان اسوان عام ١٩٠٢ والانتهاء من تعليته الأولى عام ١٩١٢وتعليته الثانية عام١٩٣٤، تعرضت الآثار القبطية والنوبية المسيحية مثل غيرها من آثار وادى النيل الكائنة جنوب خزان اسوان لخطر زحف المياه عليها ، وقد واجهت الحكومة المصرية هذا الموقف فكان المسح الاثرى الاول للنوبة فى مواسم الاعوام ١٩٠٧ حتى ١٩١١ ، ممثلا بمجموعة من العلماء برئاسة العالم ريزنر Reisner ، وصاحب ذلك المسح تسجيل ودراسة للمعابد المصرية فى النوبة التى تم نشرها فى المجموعة المعروفة باسم « Les Temples immergés de la Nubie ».

كما قام العالم امری Emery برئاسة مجموعة من الاثريين الشباب انجزت المسح الاثرى الثانى للنوبة فى مواسم الأعوام ١٩٢٩ حتى ١٩٣١ ، والتى كشفت وسجلت ودرست كثيراً من جبانات ومبانى بلاد النوبة الاثرية ، وكان من اهمها آثار بلانة وقسطل الرائعة وقلعة كوبان ، الا أن الآثار المسيحية فى النوبة لم تحظ بمثل هذا الاهتمام ، فبالرغم من تكليف Monneret de Villard — وهو عالم كبير متخصص فى الآثار المسيحية — بهذه المهمة ، الا انه لم تكن لديه الامكانات للقيام بأية حفائر ، فاكتفى بتسجيل ما هو قائم من الكنائس وكذلك الصور الجدارية المسيحية التى كانت على جدران بعض المعابد المصرية القديمة ، ونشر مجلدين بعنوان : « La Nubie medioevale » .

وقد تغير هذا الوضع فى الستينيات حينما قامت بعثات علمية متخصصة من كل ارجاء العالم المتحضر باجراء حفائر فى كل مناطق النوبة المصرية والسودانية ، وللمرة الأخيرة قبل انشاء السد العالى ، وشمل ذلك الآثار المسيحية فى هذا الجزء من وادى النيل ، وكان من اهم نتائجها العثور على كنائس قديمة مزدانة بمناظر ذات الوان رائعة فى فرس وعبد الله نرقى ألقت ضوءاً جديداً على الفن النوبى المسيحى ، كما تم العثور على كثير من الكتب والمخطوطات والوثائق التى زودتنا بكثير من المعلومات عن تاريخ المسيحية فى بلاد النوبة .

إن هذا الكتاب عن « الآثار القبطية والنوبية المسيحية فى وادى النيل» يعتبر مرجعاً فى غاية الاهمية وسجلا نادرا للآثار المسيحية فى وادى النيل، وقد سبق سومرز كلارك عصره بفترة تزيد على نصف القرن فى اهتمامه بهذا التراث ، ولم يفقد هذا المرجع اهميته بالرغم من صدور موسوعةالقبطيات Coptic Encyclopedia عام ١٩٩١ فى ثمانية مجلدات ضخمة والتى تحوى المساقط الافقية الأكثر دقة والمزودة بالمراجع الخاصة بالغالبية العظمى من الآثار المذكورة فى هذا الكتاب ، وبالرغم من تكثيف الأبحاث فى العمارة القبطية وآثار النوبة المسيحية فى النصف الثانى من القرن العشرين والتى تظهر بوضوح فى المجلدات التى تصدر عن المؤتمرات الدولية لكل من الجمعية الدولية للدراسات القبطية

والجمعية الدولية للدراسات النوبية ، سيظل كتاب بـــومرز كـــلارك مرجعاً لا غنى عنه يبدأ به كل باحث فى هذا الجزء العـــزيز من تراث وادى النيل .

اود ان اعبر عن شكرى وتهنئتى للأستاذ ابراهيم سلامة للدقـــة وللجهد الكبير الذى بذله فى ترجمة هذا الكتاب ، كما اود أن اعرب عـــن تقديرى للقائمين على اصدار سلسلة الالف كتاب الثانى للتوفيـــق فى اختيارهم هذا الكتاب لترجمته حتى يملأ فراغا فى المكتبة العربية التى لا تزال تحتاج الى المزيد من الكتب التى تتناول التراث القبطى الذى يمثل خيوطاً فى نسيج حضارات مصر العريقة .

والـــله ولى التوفيـــق

د. جودت جبره
١٠ بابه ١٧١٤
الموافق ١١ اكتوبر ١٩٩٧

الفصل الأول

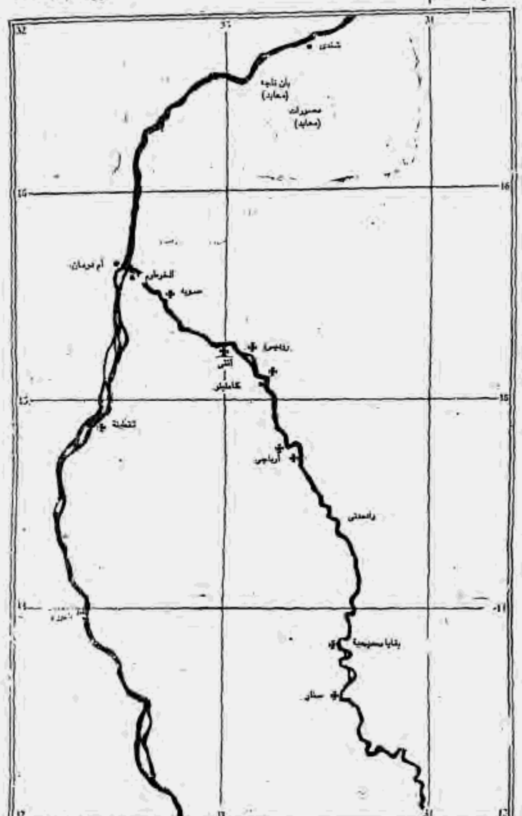
مقـــدمة تاريخيـــة

استرعت بقايا المبانى المصرية القديمة انتباه الرحالة وعلماء الآثار ؛ بينما اهملت الآثار المسيحية التى تقع بين الآثار المصرية والاسلاميـــة اهمالا معيباً ، ونتيجة لذلك فانه رغم حقيقة استمرار تسلسل التاريخ فقد حسبنا ان مصر لم تكن موجودة فى فترة معينة ، وربما ثار الشـــك كذلك فى استمرارية سلسلة الحلقات المتصلة التى ترتبط كل حلقة منها بتلك التى سبقتها ، وتلك التى خلفتها بطريقة او بأخرى .

ولم تلق المبانى التى أقيمت اثناء الوجود المسيحى الا القليل مـــن الدراسة حتى اليوم . ولا بد من التنويه بأنها لا تشد الانتباه فى حالتها المتداعية والمهجورة والخربة التى نراها اليـــوم . واذا كانت لم تلـــق الاهتمام فى مصر نفسها اى فى المسافة ما بين اسوان والبحر الابيض فكم يكون قدر الاهمال جنوب اسوان وما بعدها فى السودان حيث يصعب الوصول اليها . ان هؤلاء الذين درسوا هذا الموضوع المثير فى كتـــاب « الكنائس القبطية القديمة » لمؤلفه الدكتور الفريد جوشـــوا بتلر (1) سوف يرون أن الرسوم التخطيطية التى ساتدمها تختلف بشكل ملحوظ

---

(1) انظر :
The Ancient Coptic Churches of Egypt, by A.J. Butler. Clarendon Press, London, 1884.


شندي
(معابد)
مصورات
(معابد)
أم درمان
الخرطوم
سوبا
أربجي
بقايا مسيحية
سنار

عن العديد من تلك التى نشرها ، ولكن هذا الاختلاف اكبر فى الشكل عنه فى الواقع (١) .

وتعتبر الطبيعة القاحلة للكثير من أجزاء وادى النيل بالاضافة الى كثافة وفقر السكان مسئولة عن الإهمال فى عمارة المبانى . وقد أثرت الطبيعة الصلبة للمواد المتاحة ، وصعوبة الحصول على الأخشاب ، وجهل العمال — فى أساليب البناء كما ساوضح فيما بعد . ولا تلتقى مادة الدراسة عند وادى حلفا لان العقيدة المسيحية وصلت فى انتشارها الى جنوب السودان .

وليس لدينا شىء مؤكد عن الوسائل التى أدخلت بها المسيحية الى السودان ، ومن هم الذين ادخلوها ، وموضع اقامتهم فى البلد . ويبين لنا الدليل المتوفر عن الموضوع أن المسيحية لم تشق طريقها جنوب النيل الأزرق من إثيوبيا الى السودان فى الشمال مثلما قال البعض ، ولكنها دخلت النوبة من مصر مثلما فعلت حضارة قدماء المصريين ، ثم تقدمت عبر القرون الى الطرف الجنوبى من جزيرة مروى حيث ازدهرت مملكة علوة Alwa فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وقد تحول شمال السودان الى المسيحية نتيجة لكرازة القديس مرقس الرسول فى الاسكندرية ، وكذلك فان مرحلة المسيحية النوبية المعروفة لنا تحمل علامات وسمات نوعية العقيدة والتعليم المسيحى اللذين نشرهما بطاركة الاسكندرية اليعاقبة (أتباع الطبيعة الواحدة للمسيح) . ويبين لنا الكم الهائل من التقليد الموثق (*) أن المسيحية قد دخلت الى مصر قبل نهاية القرن الأول ، ومن المؤكد أن الديانة الجديدة تقدمت جنوباً وانتشرت

---

(١) انظر الرسوم التخطيطية التى اوردها لكنائس : مار مينا ص ٤٨ ، ابو سيفين ص ٧٨ ، انبا شنودة ص ١٣٦ ، السيدة مريم ص ١٤٩ ، ابو سرجة ص ١٨٢ ، الست بربارة ص ٢٣٦ ، العذراء بدير السريان ص ٣٢١ ، وقد وردت هذه كلها فى الجزء الاول من كتاب بتلر المذكور .

(★) التقليد هو اقوال وشروح وتفاسير اباء الكنيسة الاوائل مع الموروث من اقوال تلاميذ المسيح الاثنى عشر ورسله السبعين المأخوذة عن السيد المسيح وهى تختلف عن نصوص الكتاب المقدس المدونة من حيث انها تسلم شفهيا من جيل الى جيل — (المترجم) .

بسرعة . وأقدم الكتب التى تحمل وجهة النظر هذه هو كتاب يوسابيوس (تاريخ الكنيسة ــ الباب الثانى ــ ص ١٦) (١) .

وأظن ان الادلة التى سأقدمها فى الصفحات التالية ستؤيد تماماً الرؤية التى تفيد بأن المسيحية دخلت الى السودان عن طريق مصر .

ان مهمتى لا تتضمن تقديم تاريخ لظهور المسيحية وانتشارها فى وادى النيل ، بل تقتصر على تناول الموضوع من الجانبين المعمارى والأثرى . ويكفى تقديم القليل من البيانات الصريحة التى تبين مدى سرعة انتشار العقيدة الجديدة . ولتأكيد هذه البيانات نقول انه كان ضرورياً منذ البداية المبكرة لهذا التاريخ انشاء الاسقفيات التى تجعلنا ظروفها نفترض ايضاً بناء الكنائس المختلفة .

وقرب نهاية القرن الثانى تم تعيين ثلاثة اساقفة ، ومع بداية القرن الثالث إزداد هذا العدد الى عشرين ، ولما بدأ الاضطهاد تحت حكم الامبراطور داكيوس سنة ٢٥٠ للميلاد صاحب الاضطهاد حدوث دمار كبير للمبانى ، ولم تتوقف هذه الاضطرابات تحت حكم الامبراطور فاليريان الذى خلفه . ومع بداية الاضطهاد فى شمال مصر ، فر العديد من هؤلاء القادرين على الفرار نحو الجنوب ، وهكذا انتشرت العقيدة . وأثناء حكم دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥ م) ، اشتد عنف الاضطهاد والتدمير . ومما لا شك فيه ان المسيحية التى اخذت فى الانتشار فى كل القطر ، قد تغلغلت جنوباً فى كل من السودان وإثيوبيا (٢) .

واذا أردنا الحديث عن الندرة غير العادية للآثار المسيحية فى وادى النيل فسنضطر الى التعرض للمعالم القريبة لذلك الوادى . وبالرغم من معرفة مواضع العديد من الكنائس وإمكان مشاهدة خرائب الكثير من الآثار ، إلا أن البقايا التى لدينا قليلة ونادرة ولا يعتمد عليها فى تحديد العدد الذى كان موجوداً .

---

(١) انظر :

The Egyptian Sudan, Its History and Monuments, by E.A. Wallis Budge, Vol II, P. 282. Kegan Paul, Trench & Co., London, 1907.

(٢) يمكن لهؤلاء الذين يدرسون الموضوع بعمق ، الرجوع الى كتاب : جيبون ــ الفصل الخامس عشر ، وكتاب يوسابيوس ، وكتاب بوتشر وعنوانه The Story of the Church of Egypt وكتاب بادج وعنوانه The Egyptian Sudan .

وهناك عاملان رئيسيان يمكن العودة اليهما فى استخلاص النتائج ، احدهما : تكوين الوادى نفسه ، والآخر هو التقلبات المخيفة التى تعرض لها الوادى وسكانه منذ بداية العصر المسيحى . وتجد فى جميع الاقطار الآثار وقد عانت الكثير او القليل بسبب الاهمال او العنف ، ولكن دخول قبيلة معادية أو شعب معاد فى احد الاجزاء لا يعنى بالضرورة أن القطر كله قد اكتسح أو دمر . وقد رأينا فى ايامنا هذه قوات المانيا المكتسحة وهى تدخل فرنسا ولكن الجزء الاكبر من هذا البلد لم يشاهد الالمان مطلقاً . ومن الصعب اكتساح منطقة واسعة تتكون من آلاف الاميال المربعة .

ولكن — ما المميزات التى يتميز بها وادى النيل عن غيره من الاقطار ؟ انها تتركز فى أن المسافة ما بين القاهرة والخرطوم لا تتضمن منطقة خالية — حسب ما يعنيه هذا الاصطلاح بالنسبة لنا — ولا نجد الا نطاقاً مستطيلا من الارض يتميز بالطول وليس العرض ، ترتب عليه ان كافة اشكال الحياة وكافة المبانى والآثار قد تواجدت بالضرورة بالقرب من النهر بطول ارض هذا الوادى الضيق . ولذلك كان من السهل على الجيوش اكتساح كل شىء اعترض مسارها . وقد يقول هؤلاء الذين يعرفون وادى النيل جيداً اننا عندما نكون فى مديرية دنقلة والى الجنوب منها سنجد ان النهر لا تحيط به التلال والصخور الوعرة ، وان الوادى ليس غوراً واسعاً . ويصدق ذلك بما فيه الكفاية . وتتسع المنطقة الزراعية عما هى عليه شمال الشلال الثانى ، ولكننا نجد من جهة اخرى ان الحياة تعتمد بكاملها على النيل نفسه وعلى المساقة المحدودة التى يمكن نقل مياه النهر اليها ، او التغلغل فى الارض المجاورة . وقد عاش السكان والآثار فى جميع العصور بالقرب من النهر . كما كان النهر كذلك وسيلة رئيسية للنقل . وشق الغزاة طريقهم — بصرف النظر عن الجانب الذى دخلوا منه — مصعدين او هابطين فى الشريط الضيق الذى يدين بحياته للنهر . ونتيجة لذلك ! تركز التخريب والعنف فى هذا الشريط . ولا نجد اية اماكن تقع بعيداً فى اتجاه اليمين او اليسار بحيث تبتعد عن مسار التخريب . ولا بد أن الاضطهاد والتخريب اللذين اتيمتا من روما قد تسببا فى اختفاء العديد من الكنائس

ولكننا لا نشك فى قيام مبان جديدة مكانها . ويلقى الضوء على هـذا الموضوع ويؤيد رأيى فيه البيان القصير الذى سأقدمه عن الأحداث التى بدأت بعد الفتح الاسلامى لمصر .

كان المعتقد حتى وقت قريب فيما يخص المبدأ الذى تحركت بنـاء عليه جميع الجيوش الغازية الى الأمام ، هو الحياة على حساب البلد الذى يعبرونه عن طريق النهب والسرقة - وما زال الفلاحون فى بلاد الشرق حتى اليوم يعانون بشدة ، سواء اكان الجيش العـابر من بنى جلدتهم أم لا ، اللهم الا اذا كان البلد واقعاً تحت السيطرة الأوربية (*) ، وحيث توجد القوة يوجد أيضاً السلب والنهب والقتل . ونضيف الى هذه المضايقات التى تعرض لها سكان وادى النيل ، الكراهية والبغضاء ، ولولا طبيعة المناخ الحافظة ، لكان من الصعب بقاء أى اثر حتى الآن .

وقد اقتبست من كتاب الدكتور بادج (١) القائمة التالية التى لا تبدو شاملة ، ولكنها تشير الى تاريخ العنف والسلب والتخـريب الـذى لا يبارى .

لقد جرى الفتح الاسلامى لمصر فى التاسع من ابريل سنة ٦٤١ ، وسرعان ما أصبحت مصر وتلك الأجزاء من السودان التى كانت تعتبر من ممتلكاتها ، ولاية تابعة للامبراطورية الاسلامية الجديدة . وأرسل عمرو بن العاص بعد مرور عام من فتح مصر ، حملة الى النوبة قوامها ٢٠ الف مقاتل تحت قيادة عبد الله بن سعد . وبمجرد عودة عبد الله وجـد النوبيون الفرصة سانحة للانتقام وغزوا مصر بنجاح كبير .

وفى سنة ٦٥٢ عاد عبد الله الى الجنوب وقمع الثورة بعنف شديد . وكان النوبيون مسيحيين وعاصمتهم دنقلة القديمة .

(*) نود أن نذكر القارىء الكريم بأن مؤلف الكتاب - وهو انجليزى - قد عاش فى فترة عنفوان الاستعمار الأوروبى - (المراجع) .

(١) The Egyptian Sudan, by E. A. Wallis Budge, Vol. II. Chap. XII.

وفى سنة ٧٢٢ صدر الأمر بالابادة الشاملة للأيقونات المقدسة التى للمسيحيين فى مصر ، وترتب على ذلك ثورة الاقباط فى الدلتا ، كما سجن البطريرك القبطى . وغضب النوبيون ازاء سوء معاملة نظرائهم فى العقيدة ، فدخل الى مصر مائة الف منهم تحت قيادة ملكهم قرياقص (*) . ثم حدث اضطراب خطير بين قبائل البيجا التى تسكن الصحراء الشرقية ، فقام عبد الله بن جهان بمحاربتهم فى سنة ٨٣١ وهزموا عدة مرات ، وفى النهاية وقعت معاهدة مع ملكهم كانون . وتضمنت المعاهدة بين المواد الأخرى عدم التعرض بالاساءة لاسم محمد ﷺ أو القرآن أو دين الله ، أو قتل أو سرقة أحد المسلمين ، أو الحاق الضرر بالمساجد .

كانت قبائل البيجا تمثل جنساً مشاغباً ولكن يسهل قمعه . وفى سنة ٨٥٤ غزت مصر العليا ونهبت اسنا وادفو ، وسرعان ما تجمعت الجيوش الاسلامية لاعادة الأمور الى نصابها وتمت هزيمة البيجا .

وفى سنة ٩٥٦ هاجم ملك النوبة أسوان ولكن المسلمين هزموه فى العام التالى . وبعد ذلك بسنوات قليلة غزا النوبيون مصر وسيطروا على البلد حتى أخميم شمالا .

وفى سنة ١٠٠٥ ، حكم أحد أفراد الأسرة الأموية برقة وهزم جيوش السلطان الحاكم الذى كان يحكم مصر وتولى ادارة البلد ، ولكنه سرعان ما اكتشف ضرورة التقهقر الى النوبة جنوبا ، وهنا سانده النوبيون ولكنه هزم أخيراً وقطعت رأسه .

(★) كان الدين دائما ذريعة يخفى وراءها المستعمر اهدافه الحقيقية ، مثلما حدث بعد ذلك بعدة قرون حينما غزت أوربا أرض الشرق تحت راية الصليب بدعوى تحرير بيت المقدس من يد المسلمين ، وكان أول ما فعلوه هو الفتك باخوانهم فى الدين فى مدينة القسطنطينية ، ثم شوهوا رسالة المسيح التى لبها عقيدة المحبة والتسامح فارتكبوا مذبحة مروعة عندما استولوا على القدس + اما حركة تدمير الايقونات ، فهى حركة عمت العالم المسيحى الشرقى حتى فى الامبراطورية الرومانية البيزنطية نفسها فى تلك الفترة ربما بتأثير من العقيدة الاسلامية التى كرهت تصوير الانبياء ؛ خوفا من أن يرتد الناس الى الوثنية التى كانت قريبة العهد . ولم تكن تلك الحركة موجهة ضد العقيدة المسيحية التى يكن لها المسلمون اكبر الاحترام والتقدير . وان لم يسلم الامر بطبيعة الحال من تسرب روح التعصب الجاهلة الى بعض القلوب ـ (المحرر) .

وفى سنة ١١٧٢ ، ارسلت حملة الى النوبة بقيادة الاخ الاكبر لصلاح الدين الايوبى ووصل الى مدينة قصر ابريم التى دافع عنها النوبيون بشراسة ، ولكنهم هزموا ودمرت مدينتهم ، وورد فيها بعد ان حوالى سبعمائة الف من الرجال والنساء والاطفال تم اسرهم ، ونستطيع قبول هذه الارقام اذا اردنا (*) .

وفى سنة ١٢٧٥ ضم المسلمون السودان ، وقام داود ملك النوبيين بعدة غزوات فى مصر ولكنهم طردوا منها بعد العديد من المعارك ، وتقدم المسلمون داخل النوبة عن طريق النهر والصحراء ، وأستولوا على قلاعها الواحدة بعد الأخرى وقتلوا اناساً كثيرين وهرب الكثير من النوبيين الى الجزر النيلية وخضعت النوبة لحكم المسلمين .

وفى سنة ١٢٨٧ ، ارسلت الى النوبة حملة اغارت على البلاد جنوب دنقلة فى رحلة استغرقت خمسة عشر يوماً ، ووضعت حامية فى دنقلة ، ولم يتقهقر الجيش الرئيسى الا عندما هاج النوبيون وطردوا الحامية ، وارسلت حملة اخرى الى النوبة ، وعندما دخلت الحملة الثانية الى النوبة ذبح الجنود كل من وجدوه واحرقوا السواقى واطعموا خيولهم بالمحاصيل ، وهجرت دنقلة حيث هرب السكان الى جزيرة تبعد عنها مسيرة خمسة عشر يوماً الى الجنوب . اما شيمامون ملك النوبة فقد فر بعيداً الى الجنوب ولكن ضباطه خلعوه ، وقام رجال الدين الذين عادوا الى دنقلة بتعيين ملك آخر اقسم يمين الولاء وتولى اداء الجزية للمسلمين ، وما ان عادت الجيوش المصرية حتى ظهر شيمامون مرة اخرى وتجمع جنوده القدامى تحت رايته ، وهاجم الملك الجديد فى دنقلة وقتله بقسوة واصبح سيد ذلك القطر مرة اخرى ، وبعد ذلك تصادق مع السلطات فى القاهرة ووافق على دفع الجزية .

وفى سنة ١٣٠٤ ، ارسلت حملة الى النوبة لتقيم اماى الذى حضر الى القاهرة طالباً المساعدة — على عرشه .

(*) للاسف الارقام التى يوردها الكاتب نقلا عن يادج تعوزها الدقة وتبدو فيها المبالغة واضحة — (المحرر) .

وفي سنة ١٣١١ ، حدث الكثير من القتل وخلع الملوك في النوبة ، كما تم استدعاء القوات المصرية .

وفي سنة ١٣٦٥ ، حدثت في النوبة نزاعات داخلية رهيبة ، وأرسلت قوة إسلامية استجابة لطلب أحد الأطراف .

وفي السنوات ١٣٧٨ ، ١٣٨٥ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٧ ، حدثت اعتداءات متنوعة بين المسلمين والنوبيين . وفي سنة ١٤٠٣ دخلت مصر العليا في حالة من الخراب ، بينما توقف انتماء أسوان إلى سلطان مصر .

وفي سنة ١٤١٢ ، هاجمت قبيلة الهوارة أولاد كنز وهزمتهم وحطمت أسوار أسوان وحولت المدينة الى خرائب .

وبالرجوع الى الحقائق المستخلصة من كتابات المؤرخين المسلمين التي أشرنا اليها فيما سبق ، نجد أن غارات المسلمين وحملاتهم في النوبة، التي حدثت فيما بين عامي ٦٤٠ ، ١٤٠٠ باستثناء واحدة أو اثنين ، كانت تقتصر على هذا الجزء من القطر الواقع بين أسوان وجبل برقل ، وعلى العموم لم تحدث محاولة جدية من جهة الخلفاء لحكم أو احتلال السودان من جبل برقل الى الخرطوم .

وعندما نتذكر الفتوحات العربية في غرب آسيا ومصر وغيرهما من البلدان ، يتأكد لنا أن خلفاء بغداد وتوابعهم في مصر أحبوا امتلاك وادي النيل والبلدان المجاورة ، وربما تملكوا أيضاً الاراضي التي تنتج العبيد والذهب والعاج كلما استطاعوا . وكان العائق الرئيسي الذي اعترض طريق طموحهم هو مملكة النوبة المسيحية وعاصمتها دنقلة . ويتضح لنا من ذلك أن مد الفتح الاسلامي من مصر في اتجاه الجنوب قد استمر هناك حوالي سبعمائة عام .

لقد أصبحت المسيحية ديانة رسمية للنوبة في النصف الأول من القرن السادس . وبالرغم من الغارات والاضطهادات ودفع الجزية الضخمة ، فان سكان وادي النيل تمسكوا بلغتهم وديانتهم المسيحية كما عرفوها ، حتى القرن الرابع عشر عندما تمزقت مملكة علوى المسيحية في جزيرة مروى الى أجزاء .

وانتهت مملكة النوبة المسيحية التى امتدت من أسوان حتى النيل الأزرق بسبب المنازعات الداخلية ، والهجمات التى وقعت عليها من الشعوب التى عاشت على الحدود الشرقية والغربية والجنوبية .

وأثناء القرن الرابع عشر بدأت القبائل الزنجية التى تقطن ما بين النيل الأزرق والنيل الأبيض تحتل الأماكن المرتفعة . وفى القرن التالى وجدت القبائل الزنجية أنها تمثل القوة العظمى فى القطر بعد سقوط دنقلة وسوبة ، عاصمتى مملكة النوبة المسيحية فى الشمال والجنوب على التوالى .

واعتنق هؤلاء الناس الدين الإسلامى .

واضمحلت العقيدة المسيحية فى هذا الجزء من وادى النيل بسرعة .

ولم تكن الاحوال طيبة قبل هذا اليوم بحوالى مائة عام . واقتبس العبارات التالية من كتاب بورخاردت (١) حيث يذكر لنا على الصفحة الحادية عشرة ما يلى :

« تعتبر جرشى (٢) مثلها مثل كافة القرى التى مررت بها ، قليلة السكان وثلثا منازلها مهجورة . لقد خرب المماليك الذين اقاموا هنا شهوراً عديدة هذا البلد عند تقهقرهم امام جيوش محمد على التركية . أما القليل الذى تركوه خلفهم فقد استهلكه الاتراك تحت قيادة إبراهيم بك بن محمد على الذى نجح أخيراً فى طرد المماليك من النوبة عبر الجبال إلى سهول دنقلة . وبعد تقهقرهم حدثت مجاعة مخيفة لقى خلالها ثلث سكان النوبة حتفهم بسبب الفاقة الشديدة . وتقهقر الباقون الى مصر واستقروا فى القرى الواقعة بين اسوان واسنا ، حيث اصاب الجدرى اعداداً منهم . أما السكان الحاليون فقد عادوا قبل شهور قليلة من زيارتى لهذه الأجزاء » .

أما عن وادى كوستامن فيقول بورخاردت : « دخل المماليك فى معركة مع جيوش إبراهيم بك وطردوا ، وعبروا النيل إلى الضفة الشرقية ،

(١) Travels in Nubia by the late J. L. Burckardt, London, John Murray 1822.

(٢) جرش قرية تقع جنوب معبد كلابشة المعروف فى وادى النوبة .

بينما استمر بعضهم فى السير جنوباً وهم ينهبون كافة القرى التى فى طريقهم » .

وفى الصفحة ٣٠ يذكر لنا ما يلى :

« وبعد ساعتين ونصف الساعة وصلنا الى قلعة ابريم التى تحولت الآن الى خرائب . وكان المماليك قد حاصروها فى العام الماضى . واثناء عودتهم حاصروا قوات ابراهيم بك . واثناء تلك العمليات هدمت الحوائط بالمدفعية القليلة التى كانت فى القلعة وسويت العديد من منازل القرية بالأرض » .

ويذكر بوركهارت ان سكان منطقة ابريم كانوا اغنياء :

« ولكن المماليك اثناء تقهقرهم فى العام الماضى دمروا ثمار قرن من الزمان فى اسابيع قليلة . لقد اخذوا من وادى ابريم حوالى ١٢٠٠ بقرة ، وجميع الخراف والماعز ، وسجنوا وجهاء البلد ، وتقاضوا فى مقابل إطلاقهم فدية تصل إلى مائة الف دولار اسبانى . وعند رحيلهم قتلوا الحاكم . واكل رجالهم او دمروا كافة المؤن التى صادفوها . واعقبت ذلك النهب مجاعة رهيبة » .

وتبع هؤلاء المماليك ذوى القلوب الرحيمة ، الجنود الاتراك الذين شقوا طريقهم جنوباً ، مروراً بالعديد من هذه البقاع التى سنذكرها فى هذه الصفحات حتى وصلوا اخيراً ، واستقروا فى دنقلة وسنتاكد ان سلوكهم تجاه السكان لم يكن افضل من سابقيهم .

ومن الأفضل قبل ان نصف اللوحات والرسومات التى جمعناها هنا ، ان نذكر الأحوال التى تحكمت فى هؤلاء الذين اقاموا المبانى التى تدخل فى اعتبارنا . وقبل أن يصل الرحالة الى الشلال الاول فى طريقه جنوباً سيلاحظ ضيق الوادى الذى يتخذ النهر طريقه من خلاله .

لقد خرج من تكوين الحجر الجيرى ، وهو الآن فى تكوين الحجر الرملى النوبى الذى يمتد لمسافة طويلة نحو وسط أفريقيا .

وتنحصر الخضرة فى ضفتى النهر نفسه حيث رسبت مياه النهر الطمى الخصب . أما جوانب التلال الصخرية التى ترتفع فوق الضفتين فهى عارية تماماً ، ولكن حيثما تترك الصخور المرتفعة المتراجعة خلجاناً صغيرة ، فان الطمى يحمل الأشجار خاصة النخيل مع محاصيل القمح الهندى وغيره من المواد الغذائية حسب الفصل الزراعى وترتفع التلال الوعرة مشرفة على مجرى النهر دون ان تترك اى شريط ضيق للزراعة .

ونادراً ما توجد أية رقعة زراعية فيما بين أسوان وكوروسكو . أما مناطق الجانب الغربى الضخم التى تغطيها الآن طبقة رقيقة من الرمال فقد كانت مزروعة فى يوم من الأيام . ان سوء الادارة المريع على مدى القرون ، الذى تحاول مصر أن تنطلق منه الآن ، قد وصل بالوادى النوبى الى أدنى درجات القحط . ولكن هذا الوادي لم يزدهر بعدد ضخم من السكان فى أية مرحلة من تاريخه (١) . ومنذئذ لم يبق من المعابد العديدة التي اقيمت فى العصر الرومانى اية معالم تدعو للإعجاب .

وعندما يصل الرحالة إلى وادى حلفا، يواجه المدخل الشمالى للشلال الثانى . وبينما يمثل الشلال الأول عائقاً لحركة الملاحة على مدى عشرة أميال يمكن عبوره بالقوارب من خلال الارتفاع المتوسط لمياه النهر ، فان الشلال الثانى يمثل عائقا أشد خطورة لأنه يتكون من سلسلة من الجنادل تغطى مسافة تقرب من ١٥٠ ميلا ويقع فى منطقة مهجورة وموحشة ، حتى انها تعرف باسم « بطن الحجر » .

وتتراجع الصخور الوعرة فى أماكن قليلة . وفى تلك الأماكن ترسب طمى النيل ، وفيها اقيمت مواقع الاستيطان حيث أمكن توفير القليل من

---

(١) منذ بناء خزان أسوان وتحول الوادى النوبى فى الجنوب منه الى خزان ضخم ، تغيرت الأحوال التى ذكرناها فيما سبق . لقد أصبحت الأرض المزروعة جنوب الخزان والممتدة حتى الدر ، مغمورة بالمياه شهوراً عديدة مما أدى الى موت الأشجار وانتشار القرى أو اعادة بنائها فى مناطق أكثر ارتفاعا . ولكن منذ بناء الكنائس كان الوادى بالحالة التى وصفناها . ولذلك وجدنا من المناسب اعادة ذكر القصة التى سبق كتابتها قبل بناء الخزان .

الزراعة . وفى هذه الاماكن نجد ان خرائب الكنائس تتكافأ فى حجمها مع فقر السكان .

واذا استمر تحركنا جنوباً فسنخرج من بطن الحجر وندخل فى السهول المنبسطة التى تكونت منها مملكة دنقلة القديمة . والحقيقة ان هذه المنطقة الموحشة لا تمثل اهمية او جمالا للأنظار ، ولكن تربتها مستوية وخصبة وقد زرع جزء كبير منها .

ويعتبر الحجر الرملى فى النوبة اسوأ مواد البناء فى العالم فهو خشن الحبيبات ، وناعم ، يمتلىء بالعروق الصلبة والحصباء المتكورة .

وكان قدماء المصريين كما نرى فى صولب وسيدجنا ، والحكام الأثيوبيون (النوبيون) فى برقل (ناباتا) ونورى وغيرهما من الأماكن قد واجهوا المتاعب بسبب تلك المواد السيئة التى كانت فى متناولهم . ومن الواضح انهم استخدموا الطوب الاحمر بكميات ضخمة فى العصر المروى لأن التربة تعطى هذا الطوب الجيد ، واستخدمت الشجيرات الوفيرة فى الصحراء كوقود . وسار البناءون المسيحيون على نفس الخط حيث نهبوا معابد اسلافهم للحصول على الأحجار والطوب الأحمر ، وصنعوا الطوب الأحمر فى الاجزاء التى افتقرت الى وجود مخزون منه . واقاموا سقوف كنائسهم على اعمدة صغيرة من الحجر الصلب وليس على دعامات مبنية وذلك بخلاف المعتاد فى مصر والنوبة . وكانت الأعمدة التى رأيتها من حجر صخرى بصفة عامة وكانوا يجلبونها من محاجر تومبس بالقرب من جزيرة ارجو ، التى تبعد جنوب صوبة بمسافة لا تقل عن ٦٥٠ ميلا عن طريق البحر وقد صنعت الأعمدة من هذا الحجر .

وبناء على ما ذكرناه ، نجد ان المبانى التى سنتعرض لها صغيرة فى معظمها وسهلة البناء . واستخدمت فى بنائها قوالب الطوب المصنوعة من الطمى ، ونجد أن الضفتين فى الوادى النوبى شديدتا الانحدار مما يجعل الطمى نادراً ، ولا يتوافر الا قطع الاحجار كمادة متاحة فى التلال المجاورة . وتخلط هذه الاحجار بطمى النيل . اما الخشب فهو نادر .

وتبين لنا دراسة اللوحات المرفقة بساطة الاشكال وضآلة ابعاد العقود او السقوف ، وعدم زخرفتها بالتفاصيل المحفورة فى المبانى التى انشئت .

ويجدر بنا ملاحظة ان المصريين عندما تحولوا إلى المسيحية لم يقيموا آية كنائس بالطريقة التقليدية التى كان يستخدمها اجدادهم فى بناء المعابد ، لانهم قاطعوا الماضى . ولدينا دليل مباشر على انهم استخدموا اجزاء من المعابد وحولوها إلى كنائس ؛ ولكنهم حرصوا على إخفاء الزخارف المعمارية والمنحوتة التى زينتها من الداخل .

وغطيت الزخارف التى على الحوائط بطبقة كثيفة من الجص ثم غطيت طبقة الجص بصور القديسين والرموز المسيحية وما الى ذلك . ولونت السقوف بنفس الطريقة .

وهنا نجد تناقضاً ملحوظاً بين ما تمر به معظم الاقطار عندما تدخلها سلطة جديدة ونماذج فكرية جديدة ، وبين ما حدث فى مصر . ان روما القديمة القوية المتفوقة تركت بصمتها فى مناطق عديدة خاصة عن طريق المبانى العظيمة التى تخلد حضارتها . وعندما نرى مبنى رومانياً تعرفه سريعاً ، وهذا ما يحدث فى بريطانيا وبلاد الغال والمانيا وآسيا الصغرى وغيرها ، فاساليب الانشاء وطراز البناء تحمل طابعاً لا تخطئه العين .

وقد ظلت مصر على مدى اربعة قرون تقريباً جزءاً من الامبراطورية الرومانية ونقشت اسماء الاباطرة الرومان على بعض المعابد الضخمة ، ولكن اين نجد فى مصر المبانى التى اقيمت بمعرفة الرومان وبالاسلوب الرومانى ؟ واين توجد بقايا هذه المبانى ؟ اننى اعتقد ان اجزاء معينة من التحصينات (التى تحولت الى خرائب حاليا) بالاسكندرية والحصن الذى بناه تراجان فى مصر القديمة ويسمى حالياً بقصر الشمع هما النموذجان الوحيدان الباقيان من المبانى الرومانية .

وهناك خصائص معينة فى اساليب البناء التى استخدمها البناءون فى مصر القديمة وهى تختلف كلية عن الأساليب التى استخدمها الرومان، ولكن فى مصر ظلت هذه الخصائص محتفظة بتفردها ، ولذا يمكن ملاحظتها حتى فى المبانى التى تحمل القليل من الطابع والطراز الرومانى • ولذا نجد أن الجنس المتهور قد عمل على امتصاص هذه القوة الدخيلة فيما يختص بالتطور المعمارى •

وعندما كانت المسيحية فى روما قوية بما فيه الكفاية لاقامة المبانى التى تستخدمها ، فانها لم تستخدم اسلوباً غريباً لوضع التفاصيل المعمارية . وكما استمر اهل البلد فى الحديث بلغتهم ، استمروا كذلك فى استخدام طراز المبانى الذى اعتادوا عليه ، ولم يلجاوا الا الى التغييرات الضرورية لاقامة شعائر مختلفة ونظرة روحية مغايرة ، وتتحى العتب تدريجياً عن مكانه للعقد ولكن لم يحدث انفصال مفاجىء بين القديم والحديث .

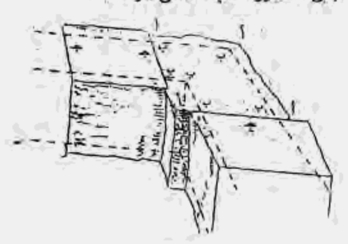
أما فى مصر ، فيبدو ان الديانة الجديدة عندما اقامت المبانى الخاصة بها ، احدثت قطيعة كاملة نحو كافة الأساليب القديمة .

وكانت الرسومات التخطيطية للمبانى مختلفة بالطبع حتى تناسبه احتياجات الطقوس الدينية الجديدة كما اختلفت التفاصيل المعمارية ايضاً • لقد استقدموا كل شىء من الشمال عبر البحار ، وسيطرت العناصر التى نعرفها باسم البيزنطية على كل شىء وطنى . وأينما وجدت اعمال الحجر المزخرف بالحفر او النقوش ، لم توجد فيها دلائل تبين اننا ننظر إلى اشياء مصرية . وربما كان لمدينة الاسكندرية الاغريقية تاثير قوى ادى الى هذه النتيجة .

الفصل الثانى

الشكل العام للعمارة

من المهم عند دراسة موضوع تلعب فيه العمارة دوراً ملحوظاً ، أن تفسر الاصطلاحات الفنية المستخدمة بوضوح . ولابد من وضع الكاتب والقارىء فى الاعتبار . وفى موضوعنا الحالى سنتعامل مع المبانى التى اقيمت فى فترات مختلفة ، ونبين طرائق البناء التى تميز تلك الفترات بصفة عامة . وسنعمل على مراعاة الاختلافات فى المبانى التى أقيمت حسب التقليد المصرى القديم، تليها المبانى الرومانية والمسيحية والإسلامية وأخيراً مبانى العصور الحديثة الأدنى منزلة .



شكل رقم (١)
الطريقة المصرية فى تركيب الأحجار

ولا شك ان جميع الاعمال الضخمة فى مصر القديمة قد اقيمت تحت الاشراف الحكومى . وتنطبق هذه الملحوظة الى حد كبير على الاعمال العظيمة المبكرة التى بقيت لدينا ، كما تنطبق على تلك التى بنيت بعد خضوع مصر للرومان . وقد اشرنا منذ قليل الى أن البنائين المصريين كان لديهم طراز تقليدى فى اقامة المبانى الحجرية ، استمر مرعياً تحت الاحتلال الرومانى . لقد بنيت المعابد التى نقش عليها اسم القيصر فى دندرة او كلابشة او فيلة حسب الأساليب المعتادة منذ ثلاثة آلاف عام او اكثر مع القليل من الاختلافات .

والطريقة المصرية هى كما يلى (شكل رقم ١) : استخدمت كتل كبيرة وهائلة من الحجر ، اخذت فى بعض الحالات من المعابد المجاورة ولكنها كانت فى غالبية الحالات تجلب من مسافات بعيدة . وتم الحصول على كتل الأحجار من المحجر حسب الشكل الذى ستوضع عليه فى حائط المبنى تقريبا . وكان الفاقد من الخام فى المحاجر قليلا ؛ لان الكتل تؤخذ من داخل الكتل الصخرية فى شكل مستطيل ثم تنقل بهذا الشكل الى الجهة المقصـــودة .

ويسوى السطح السفلى للكتلـــة وكذلك اطرافهـــا التى تتاخم الاحجار المجاورة ، اما جوانب الكتلة فقد ظلت محتفظة بشكلها الخشن الذى خرجت به من المحجر ، وفى هذه الحالة كانت توضع الاحجار فى موضعها من الجدار ، واصبح من السهل مع سطح الكتلة الخشن هذا ، تحريكها بدون تلف بمساعدة الادوات البسيطة التى استخدمها المصريون كما هو واضح لنا .

وبعد وضع الحجر فى مكانه تسوى القمة لتحديد مسار الطبقـــة التى تعلوها وبذلك يرتفع الحائط ، وقد ظهر منه الوجه غير المستوى للبناء الصخرى سواء من الخارج او الداخل . ولم تستكمل بعض المبانى الى ما بعد هذه المرحلة . وعند الوصول بالمبنى الى مرحلة اكثر تقدماً ؛ يقوم البناء بقطع زوائد الاحجار حتى يصل الى وجه الجدار المطلوب مثلما يحدث عندما يشق الصخر الصلب ليستخرج منه البنيان / وتحتفظ

الكتلة الحجرية (ااا) بشكلها الذى خرجت به من المحجر الا فى الأسطح التى تتلامس فيها مع الكتل المجاورة (ج ج) . وعند استكمال البناء ، يتم قطع كافة هذه الأجزاء الزائدة للوصول الى الخط المنقط (ب ب) .

وهناك خاصية أخرى فى أعمال البناء المصرية وهى ندرة استخدام « الأحجار الرابطة » ونتيجة لذلك ؛ فانه عندما كان الحائط سميكاً بحيث يحتاج الى وضع صفين او ثلاثة صفوف متجاورة من الاحجار ، فانها لم تكن تربط باستخدام الاحجار المتقاطعة بل توضع جميع الاحجار فى وضع طولى ولذلك فمن المعتاد اكتشاف ان نصف سمك الحائط قد سقط تاركاً النصف الآخر قائماً فى حالة خطيرة .

وكان التأثير الرومانى بالنسبة لهذا الطراز محدوداً ، ففى الطراز الرومانى تربط الزوايا بشكل أفضل مع العناية الزائدة بتوازن الاحجار الضخمة . ومن المحتمل استخدام آلات أفضل لرفع الكتل الضخمة ، ولكن بقيت الأساليب بوجه عام كما كانت من قبل . اما العمارة الرومانية الخالصة والتى اقيمت بالأسلوب الرومانى فلا يوجد منها فى مصر الا القليل . ويتعذر علمى فان ابصارنا لا تقع الا على القليل منها .

وعندما وضعت المسيحية اقدامها فى الاسكندرية للوهلة الأولى ، وجدت مدينة عقلية بالقدر الذى استطاع الاغريق ان يعرضوه على العالم . ولكن العقيدة الجديدة التزمت التحرك بحذر واخفت رأسها فى مصر مثل غيرها من الاماكن . ولا بد من افتراض ان المسيحيين اقنعوا انفسهم بقبول المبانى الفقيرة والمتواضعة فقد كان ذلك امراً لا مفر منه ، « كانت المحاجر والمناجم تخص السلطة الرومانية ، وتعمل تحت الاشراف المباشر للحكومة التى أجبرت العمالة على العمل تحت سيطرة الحراسة المسلحة » (١) . ولم يستطع المسيحيون استخدام المحاجر تحت هذه الظروف حتى اعترفت الحكومة بالعقيدة المسيحية .

---

(١) A History of Egypt under Roman Rule, by J. G. Milne, M. A. P. 127, Methuen & Co., London, 1898.

وجد المسيحيون الأوائل فى الاسكندرية الديانة القديمة قائمة فى مبان رائعة . ولم يكونوا قد تعودوا على ممارسة طقوس العقيدة فى مبان عادية المستوى . ولابد من مراعاة هذه الحقيقة ، لانها تجعلنا نتعجب كثيراً ازاء فقر الكنائس التى بقيت لدينا ، فيما عدا استثناءين أو ثلاثة . وليست لدينا بقايا مبان ذات مظاهر جديرة بالاعتبار ، بحيث يقال انها خربت واحرقت وقامت من وسط الرماد منكمشة وحزينة ولكنها كانت فى الأحياء القديمة . اما البدايات الأولى للكنائس الاقدم التى مازالت باقيــة فهى صغـيرة وغير ذات اهمية . لقد ارجعنا ما ذكرناه فى الصفحــات السابقــة الى الاضطهــادات التى حدثت اثناء حكم سفيــروس (١٩٣ — ٢١١ م) وداكيوس وفاليريانوس . وسمح للمصريين بحرية ممارســه ديانتهم فى ايام الامبراطور جالينوس (٢٦٠ — ٨) وتلا ذلك الاضطهاد البغيض فى ايام دقلديانوس . ولذلك فمن المنطقى القول بأن المسيحيين لم يتملكوا المعابد القديمة او يشقوا طريقهم الى المناجم بحرية الا فى عصر الامبراطور قسطنطين (٣١٣ م) . وحتى ذلك الحين لابد من القول بأن المسيحيين تعودوا على الكنائس ذات الأبعاد الصغيرة فيجتمعون معاً كما كانت العادة فى بلاد اليونان . ولم يرغبوا فى التنافس سواء مع الطراز الملكى لمعابد اجدادهم أو مبانى النبلاء ذات الأبعاد المهيبة التى مازالت قائمــة بالاسكندرية . لقد كانت المسيحية انقطاعاً مطلقاً عــن مصر القديمــة بالرغم من جهودها فى العمارة .

ولا نجد سوى القليل من بقايا الكنائس المبنية بالحجر انطلاقاً من الظروف التى ذكرناها آنفاً . وبينما نجد اساليب البناء الواضحة لدى بناة المعابد ، فلا يوجد العدد الكافى من الكنائس القديمة التى تشير الى نشأة اسلوب البناء .

ويعتبر الحائط الخارجى للكنيسة التى فى دير الانبا شنودة (الدير الأبيض بالقرب من سوهاج) نموذجا قائما بذاته ، ولكن بالرغم من ان المكان يشابه فى الكثير منه معبداً مصرياً الا ان العمارة مختلفة ، فلم تكن الكتل الحجرية موضوعة بنفس الطريقة الواردة فى الشكل رقم ١ ، وكذلك فإن الادوات غير متشابهة . اما الشىء المشترك بين الاثنين فهو غيابه

الروابط . وبالرغم من أن الأسلوب المصرى القديم لم يطبق فى العمارة الا انها تاثرت بالنقل عن اسلوب الرومان الذى لم يتجاهل نظام الربط بعناية فائقة .

أما بقايا كنيسة دندرة (اللوحة رقم ٥١) التى تدل على عمارة جديرة بالاعجاب ، فانها تكشف لنا عن ارتباط وثيق بالماضى حيث ربطت كتل الحجر ببعضها البعض عن طريق استخدام (غنفرة) كانت شائعة فى المبانى القديمة ، وقد بنيت هذه الكنيسة بحجم صغير . (اللوحة رقم ٣ : الخريطة رقم ٢) .

وللمرة الثانية نجد أمامنا فى كنيسة دير أبى حنس (انظر اللوحات أرقام ٥٤ ، ٥٥-٥٦/٢) قدراً كبيراً من التفاصيل المقبضة ولكنها تكشف عن اصالة رفيعة . ومن السهل تعقب الفكرة الاصلية للكنيسة لأنها صغيرة للغاية . واذا ما كان بيدى تحكم المسيحيين فى المحاجر خلال هذه الفترة ، فانهم لم يستخدموها الا قليلا .

ان هذه الخصائص كلها واضحة ولكن يصعب الحديث عنها . فهل هناك شىء يفرض علينا الاقتناع بالانصراف النهائى عن ممارسة كافة الفنون فى العصر المسيحى المبكر ؟

لقد انتشرت روح التقشف والعزلة وتحقير الذات التى تثير الاشمئزاز فى البلد مثل مرض مخيف ، واحتدمت لعدة قرون . ويورد لنا ليكى الكثير عنها (١) . لقد اعتبر كل ما هو جميل ومفرح أو حتى نظيف مصدراً للفساد الأخلاقى فى خيال هؤلاء النساك المخدوعين . وكيف يمكن قبول المبانى الفخمة فى مثل هذه الأحوال ؟

وهناك قصة مميزة نقرؤها فى كتاب : بستان الآباء القديسين (٢) ويقدم لنا هذا السفر الأمين تاريخ النساك والمعتكفين والرهبان

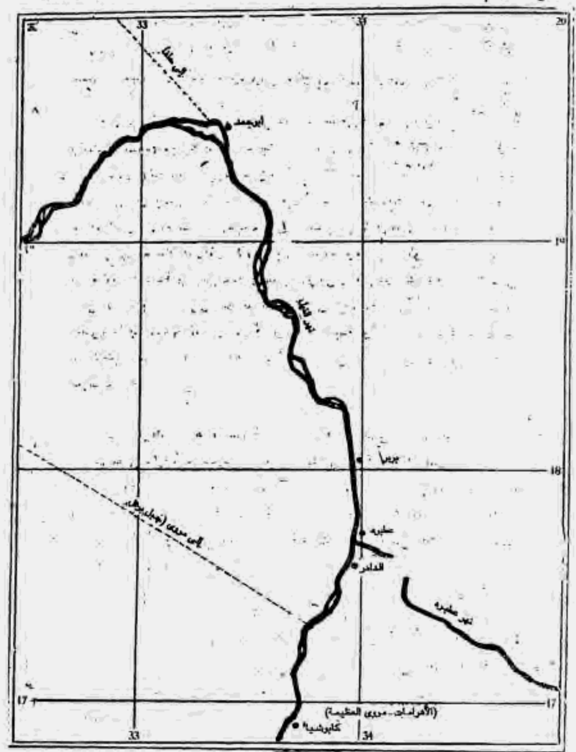
---

(١) History of European Morals, by W. E. H. Lecky. Longmans, Green & Co. New impression, 1910, Vol. II, pp. 101-232.

(٢) The Paradise of the Holy Fathers, Translated by Dr. E. Wallis Budge, Chatto & Windus, 1907. Vol. 1, p. 310.

لــوحة رقم ٢

(الخريطة رقم ٢)



والزاهدين فيها بين عامى ٢٥٠ ، ٤٠٠ للميلاد . ونجد ضمن هؤلاء تاثون باخوميوس فى تابنيسى Tabenna حيث نقرا فى الفصل الرابع عشر « كيف أن الانبا باخوميوس لا يبقى على المبانى الجميلة » .

« وبنى القديس باخوميوس كنيسة صغيرة فى ديره واقام لها اعمدة وغطى اسقفها بالبلاط وزانها بالاثاث الجميل واحس بسرور زائد ازاء هذا العمل لانه بناها جيداً . وعندما اختلى بنفسه اعلن من خلال وكالة الشيطان ان جمال الكنيسة قد يدفع الانسان للاعجاب بهذا الشىء وان البناء قد ينال المديح . وفجاة قام واحضر حبالاً وربطها حول الأعمدة ، وصلى فى نفسه ، وأمر الأخوة بان يساعدوه ، فاحنوا أجسامهم ، فسقطت الاعمدة والمبنى كله (حتى الأرض) ، وقال للاخوة . احترسوا حتى لا تبذلوا قصارى جهدكم للمبالغة فى زخرفة عمل ايديكم ، وابذلوا اقصى عناية ممكنة لتكون نعمة الرب وعطيته فى عمل كل منكم وبذلك لا يتعثر العقل بسبب مديح المحتال (ابليس) الشرير ولا يفوز المفترى بفريسته » .

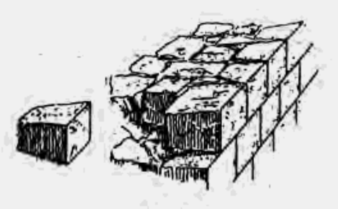
ومن المؤكد ان هذه التخيلات السقيمة لم تطبق بحذافيرها . اذ نجد فى كل مبنى تقريباً ، بصرف النظر عن مدى الخراب الذى لحق به ، دلائل على وجود رسومات فوق الجدران ، وكذلك نقشت تيجان الاعمدة واسطح الافاريز بغزارة وبراعة . ولكنها مثل اعمال العمارة لا تكشف عن اى رغبة أو طموح نحو الفخامة والترف فإن الجزء الأكبر من المبانى لا يحظى بالاعجاب .

ومن ناحية اخرى ، فاننا نجد فى الفصل السابع من كتاب الدكتور آ. ج. بتلر المثير (فتح العرب لمصر) (١) ما يشد انتباهنا نحو حقيقة ان الفنون كانت تمارس فى الاسكندرية على الاقل ، قبل الفتح الإسلامى . ومع توافر الدليل على ان الفاتحين العرب افادوا انفسهم بالمعارف التى كانت لدى الصناع المسيحيين فى القطر المصرى ، فإننا نفترض أن نوعية

---

(١) Thl Arab Conquest of Egypt, by A. J. Butler, Oxford, Clarendon Press, 1902.

العمارة الحجرية التى نشاهدها الآن فى المبانى ذات الطراز الاسلامى موروثة بشكل مباشر . ولا شك أن المبانى الأولى التى انشأها العرب تحمل هذه المعالم ، ومنها على سبيل المثال ما يتميز به جامع عمرو الذى يتكون من حوائط عادية وسقف منبسط من جريد النخيل ، وهو يخلو تماماً من اللمحات الفنية التى تتميز بها المبانى الحديثة التى تقام فى مصر . ولكن عندما استقر الفاتحون تماماً طلبوا مساعدة الصناع المهرة ، وهو ما يوضح ان المسيحية والاسلام سارا جنباً الى جنب فترة معينة بدون مصادمات جدية . ولم يدخل العربى مكتسحاً كل شىء سابق عليه ولذلك بدأ فن البناء فى الانتعاش .



شكل رقم (٢)
البناء الحجرى العربى

، وتظل الحقيقة ماثلة وهى ندرة الأحجار المستخدمة فى بناء الكنائس مع معظمها مبنى من الطوب اللبن تقريباً ، ومازالت المبانى الحجرية الباقية شديدة الاختلاف ، وتشمل فى معظمها اما رؤوس الأعمدة المحفورة أو الأفاريز من الطراز الأكانثى الردىء التنفيذ ، أو الواجهات العادية للجدران الرديئة البناء . وبينما يتكون قلب الجدار من الدبش الردىء فإن واجهته تتكون من قطع من الأحجار التى قليلا ما يتجاوز حجمها مقدرة رجل واحد على رفعها بسهولة حيث توضع فوق السطح المكشوف . اما الجوانب الاخرى للكتلة ، سواء اكانت اكثر ام اقل تشكيلا ، فانها تظهر ضئيلة كلما ابتعدت عن الواجهة (انظر الشكل رقم ٢) .

والآن علينا ان ننظر فى المبانى المقامة بالطوب اللبن : لقد قيل ان المبانى الضخمة فى مصر القديمة كانت تشيد تحت اشراف الحكومة ، وينطبق ذلك على المبانى المقامة بالطوب اللبن ، وكذلك المبانى الحجرية . ورغم ضخامة كتل الاحجار التى استخدمها قدماء المصريين ، الا ان اسلوب البناء بالاحجار كان معيبًا كما وضحنا من قبل . وينطبق هذا القول على المبانى المقامة بالطوب اللبن وأيضاً المبانى الحجرية . كان الطوب اللبن المستخدم فى المبانى الحكومية مصنوعاً من طمى النيل المجفف فى الشمس مخلوطاً بالتبن . وكان حجمه كبيراً اذا قورن بالأحجام المناسبة للاستخدام . وكانت الجدران بالغة السمك الا ان الطوب اللبن كان يوضع دون اعتبار للربط . وكانت الواجهة توضع فى صفوف تبادلية ما بين الوضع المستعرض والوضع الطولى للطوب . ولكن الكتلة كلها تشكل المماك بدون عناية ، ونتيجة لذلك فإن الطوب اللبن لم يتداخل فى بعضه البعض واستقرت الواحدة منه فوق الاخرى . ومن الواضح ان الجدار الذى يبنى بهذا الاهمال لن يتميز بالقوة الحقيقية ويسهل سقوطه حتى لو بلغ سمكه اربعة او خمسة صفوف ، فيتحول إلى قطع حسب وضعها فى الاتجاه الطولى ، مع بروز القرميد من الجدار خاصة اذا اصابت الرطوبة الصفوف السفلية أو تعرضت للعنف .

ولم يستخدم قدماء المصريين القرميد الكبير الحجم فى شئونهم المنزلية ، فقد كان القرميد الذى يستخدمونه متناسباً مع الحجم المستخدم حالياً . وتبين البقايا القليلة التى تركوها لنا ان العمال لم يهتموا بالربط حتى فى هذه الجدران .

ولا توجد لدينا فى المبانى الكنسية بقايا من المبانى الرومانية التى اقيمت من القرميد الفاخر . ومن غير المستحيل أن تظل مبانى القرميد التى اقيمت اثناء الاحتلال الرومانى موجودة فى بعض الكنائس ، وان كان لا يوجد دليل يثبت ذلك . والطوب المستخدم صغير ومجفف فى الشمس الا اذا استدعت أسباب خاصة ما يخالف ذلك .

وتتميز بعض المبانى بالروابط الجيدة ، ويتم تبادل الصفوف باستخدام القرميد طوليا وعرضيا بانتظام . فهل هذه المبانى بقايا الكنائس الأكثر قدماً ؟ وغالبا ما توضع القوالب الطولية مسطحة بينما توضع القوالب المستعرضة على طرفها الجانبى والسبب فى ذلك معروف وهو أن المادة المستخدمة ضعيفة لدرجة أن القوالب المستعرضة تتعرض للكسر سريعاً إذا لم توضع على طرفها الجانبى .

ولن نستغرب عندما نكتشف أن قوالب الطوب وجودة الصنعة تختلف كثيراً ، إذا عرفنا أن معظم الكنائس التى صادفناها قد تعرضت للاصلاح أو أعيد بناؤها بعد الدمار الذى احدثته حروب المسلمين او الصراعات بين مذهبى الملكانيين واتباع الطبيعة الواحدة ، وتحت ظروف الفقر الطاحن .

ولا يختلف اسلوب البناء بالقرميد الذى استخدم فى الكنائس عن ذلك الذى استخدم فى المساجد ، وليست القبة هى الغطاء المعتاد بالنسبة للمسجد ، ولكنها استخدمت فقط لغرف الدفن الملحقة بمعظم المساجد ، ومن ناحية اخرى كانت الكنائس تغطى عادة بالقباب والعقود . وبالرغم من أن الكثير من الكنائس لم تبن فى الاصل بهذه الطريقة كما نتمنى أن نوضح ذلك ، الا أن اقامة سقف الكنيسة كانت تحتاج الى علم اعمق مما يحتاجه سقف المسجد . ولكن من جهة اخرى بقيت الكنائس صغيرة الحجم بحيث امكن التغلب على مصاعب البناء ، واستخدم فى بنائها الطوب الخام الردىء الربط . وكانت الاسطح الداخلية بالغة الخشونة ولكنها غطيت فى جميع الاحوال بالجص المزخرف باللوحات الملونة ، سواء اكانت موضوعاتها زخرفية ام آدمية .

اما وقد اوضحنا الطريقة التى استخدمت بها مواد البناء خلال الفترة التى اقيمت اثناءها المبانى التى شاهدناها ، فمن الضرورى أن نتعقب الآن أساليب تخطيطها بقدر استطاعتنا . من سوء الحظ أن الكنائس الضخمة التى نسمع عن وجودها بالاسكندرية قد اختفت بكاملها ، وكان

عددها كبيراً ، فكانت هناك كاتدرائية الملاك (١) وكنيسة أركاديا (٢) وكنيسة القديس اثناسيوس (٣) والقيصرية (٤) وكنيسة القديسين قزمان ودميان (٥) والقديسة أوفيميا (٦) والقديس ثاوست (٧) والقديس يوحنا المعمدان (٨) والقديس مرقس (٩) والقديسة مريم دوروثيا (١٠) والقديس ميخائيل (١١) والقديسة صوفيا (١٢) والقديس ثيودور (١٣) .

ويعتبر الشرق موطن المبالغة ، ولكننا اذا قبلنا فقط نصف البيانات التى أوردها الكتاب القدماء فستجد لدينا بعض النتائج العظيمة :

فعن كنيسة الملاك : « كانت كنيسة الملاك حسب ما أورده الدكتور بوتى Dr. Botti تسمى أصلاً الكنيسة الأركادية . أما الأركادية فكانت تسمى أصلا الكلونية ، ثم تسببت الأركادية الى الهادريانية . (انظر كتاب بتلر المذكور : فتح العرب لمصر — ص ٢٨٥) وهو يظن أنه من الصعب ابتكار مثل هذه المسميات:ولكنه يذكر لنا ان جريجوروفيوس Gregorovius يعود الى ابيفانيوس Epiphanius كمصدر للقول بأن معبد هادريان قد تحول الى كنيسة » .

---

(١) انظر كتاب : Butler, The Arab Conquest of Egypt ، ص ٥٢ والملحوظة ، وكذلك ص ٢٨٥ والملحوظة .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨٥ والملحوظة .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥ ، ٣٧٢ والملحوظة .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١١٥ ، ٣٧٢ والملحوظة .
(٥) المرجع نفسه ، ص ٤٧ ، ٢٨٥ والملحوظة .
(٦) المرجع نفسه ، ص ٧٣ والملحوظة .
(٧) المرجع نفسه ، ص ٣٣٩ .
(٨) المرجع نفسه ، ص ٢٨٥ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ١١٤ ، ٣٧٢ ، ٤٤٩ .
(١٠) المرجع نفسه ، ص ٣٧٢ .
(١١) المرجع نفسه ، ص ٤٧ .
(١٢) المرجع نفسه ، ص ٢٨٩ .
(١٣) المرجع ، نفسه ، ص ١٥ ، ٣٧٢ .

كان معبد هادريان عبارة عن بناء معمارى عظيم ولا بد انه تحول الى كنيسة ضخمة » .

وعن كنيسة أركاديا : يسجل الطوخى ق تاريخه ,Migne, t. III) Cols. 1025-6 & Col. 1030) « أن ثيوفيلوس بنى كنيسة ضخمة باسم الامبراطور ثيودوسيوس وقد غطاها كلها بالذهب ، هذا بالاضافة الى كنائس أخرى عديدة مثل كنيسة القديسة مريم وكنيسة القديس يوحنا . بينما يقول عن الاركادية : « وبنى كنيسة عظيمة بالاسكندرية اطلق عليها اسم الأركادية » . ويتفق هذا تماماً مع ما سجله يوحنا النقيوسى منذ فترة طويلة حيث يذكر أن « البطريرك ثيوفيلوس بنى كنيسة عظيمة اطلق عليها اسم الامبراطور ثيودوسيوس ، وبنى كنيسة اخرى اطلق عليها اسم ابنه اركاديوس . وكذلك حول معبد السرابيوم الى كنيسة اطلق عليها اسم هونوريوس » (كتاب بطلر ص ٣٨٢ والملحوظة) .

البناء بالطوب اللبن

مما يساعد القارىء على تقييم اشياء كثيرة ترتبط بالمبانى التى سنورد وصفاً لها ، ان يتعرف الآن اساليب البناء التى استخدمت منذ بناء الكنائس ، هذه الأساليب التى مازالت حتى الآن تفسح الطريق للشعور باليأس والحقارة والقبح والفتر ، الذى يبدو لنا كاحدى نقائص حضارة القرنين التاسع عشر والعشرين .

من المعالم التى أشرنا اليها بانها كانت معتادة فى النماذج القديمة الباقية ، استخدام القرميد .. إنه من الخطا حتاً ان نظن آن القرميد استعمل فقط فى بناء المعالم العادية ، فلدينا ما يدل على ان المعابد قد بنيت فى حالات معينة بنفس هذه الخامة . ومازال العديد من الاهرام الضخمة المبنية بالقرميد قائماً . ومن تلك المعالم ايضاً استخدام العقود . وعلى اية حال فإننى لا ادرى ان شيئاً جديداً قد اكتشف فى طبيعة السقف المقبى ، ولكن مثل هذا التظلم فى إقامة السقوف كان معروفاً ، لأنه من

الصعب بقاء النماذج لمدة أربعة أو خمسة آلاف عام (١) . ان مادة طمى النيل التى صنع منها الترميد معرضة للاستخدام مرات عديدة . أما رطوبة التربة الناتجة من الفيضان السنوى فسرعان ما تقلل المعروض من هذه القوالب فى شكلها الطينى البدائى (٢) ومن الطبيعى ألا نجد بقايا العديد من المنازل العادية ، ومن الواضح أن حجرات المنزل العادى كانت مغطاة بسقوف مقبية من الترميد ، وان المنازل كانت ترتفع الى أكثر من طابق . ومن الواضح ندرة الخشب التى لا نشك فى أنها هى التى تحكمت فى أساليب البناء ، وأثرت فى معظم تفاصيل العمارة . وكانت الأقباء تقام بدون تمركز كما بنيت العقود بنفس الطريقة ، وأقيمت المبانى الضخمة بدون سقالات خشبية .

ان تقاليد البناء التى ذكرناها سابقا كانت هى تلك التى طبقت لدى بناة القسم الأكبر من الكنائس ، ولنذكر الآن وصفا تفصيليا لها .

الطوب اللبن :

من المعروف أن مادة الطوب اللبن وهى طمى النيل كانت متاحة فى كل مكان من الدلتا وفى الجزء الأكبر من وادى النيل . اما الوادى النوبى من الشلال الأول حتى الشلال الثانى فهو ضيق جداً ومن هنا يأتى الاختلاف ، لأن الضفتين المنحدرتين الصخريتين تقتربان من مجرى النهر ويصبح الطمى المناسب لعمل الطوب أكثر ندرة من الأحجار . وينبح الطمى فى بعض أجزاء الضفتين عمل ترميد جيد منه فى أجزاء أخرى . والطين الذى يستخدمه صانعو الترميد فى هذه الأيام يماثل الطين الذى كان يستخدم فى مقابر مصر القديمة .

وتصنع النوعيات العادية من الترميد من الطمى فقط ، بينما تصنع النوعيات الأفضل عن طريق خلط التبن مع الطمى . وهناك مادة أشد

---

(١) تعتبر السقوف المقبية المدعمة فى الحائط التى اكتشفها مستر ريزنر فى قرية نجع الدير قبابا حقيقية .

(٢) يلاحظ بعد هجر المبانى أن سرعة الرمال التى تحركها الرياح فى الظروف المناسبة لهبوبها تثبت الحائط القائم من الطوب اللبن حتى مستوى السطوح المحيطة به .

صلابة مازالت تخلط مع الطمى والتبن هى روث الماشية . وبالطبع فان الطوب الذى يصنع بهذه الطريقة ردىء التكوين — والخطأ هنا هو خطأ الصانع وليس أسلوب الصناعة — ويعوج سطحه قليلا أثناء التجفيف . وتوضع القوالب الحديثة الصنع من الطين فى صفوف لكى تجف فى الشمس وهو ما يحدث سريعا ثم تعاد العملية مرة أو مرتين . وعندما يحتاج الأمر الى قوالب صلبة فانه لا بد من استمرار عملية التجفيف لفترة مناسبة . وتنحصر خاصية طمى النيل فى أن مثل هذه العجينة تصبح صلبة وكثيفة بشكل غريب . ونلاحظ ندرة الوقود حتى نصل الى السودان ، ونتيجة لذلك فانه لا يتم حرق معظم الطوب . ومن النادر استخدام الطوب الاحمر فى بناء الكنائس القديمة فيما عدا الدعامات والعقود وأحيانا فى المداميك السفلية من الجدران . ومن الطبيعى أن يكون الطوب الأحمر أقل تأثراً بالرطوبة من الطوب اللبن . وبمجرد وصولنا الى جنوب بطن الحجر عند الشلال الثانى ، سنجد العديد من تشكيلات الطوب الاحمر كما ذكرنا منذ قليل . وهذه المنطقة وهى عبارة عن سهل من الطين تتيح افضل نوعيات الطمى لأداء هذا الغرض . وتمتلىء المنطقة الصحراوية الممتدة على جانبى الشريط المزروع والتى تحد نهر النيل بالطيق والشجيرات الصغيرة ولذلك يسهل الحصول على الوقود الكافى ، وينشط النمل الأبيض فى هذه التخوم . وهذه الحشرة الصغيرة الضارة تتخلل الطوب اللبن بسهولة بالغة ، ولكنها لا تستطيع شق طريقها فى الطوب الاحمر الذى احرق بشكل جيد ، اما الاحجار فهى رديئة بالاضافة الى ندرتها وهذا هو السبب الحقيقى فى استخدام الطوب الأحمر الذى نجد كميات كبيرة منه .

ويخدش العامل سطح القالب بأصابعه ويهزه فى العجينة ليحقق تماسك المونة . وتستخدم لبناء العقود نوعية خاصة من قوالب الطوب اكبر من الطوب المستخدم فى بناء الجدران من حيث الطول والعرض واقل منه سمكاً وهى تصنع بعناية اكبر مع زيادة كمية التبن . ويخدش السطح العلوى لهذا الطوب بالأصابع الإبهام والوسطى والسبابة من يد العامل اليمنى .

المونة (الملاط) :

تصنع المونة المستخدمة فى معظم الحالات من نوعية جيدة من طمى النيل ويخلط بها التبن والروث حسب درجة السلابة المطلوبة .

طريقــة البناء :

من الســهـل معرفة الكيفية التى اقيمت بها المبانى القديمة لأن هذه الكيفية ما زالت مستخدمة حتى الآن . ولما كانت هذه الاســاليب فى طريقها الى الزوال كما ذكرنا من قبل فمن الافضل أن نصف فى هــذا المكان بناء منزل صغير اقمته بقرية الكاب فى المحاميد بمصر العــليا ، وبعض اجزائه مغطاة بعقد متصل وجزء آخر تغطيه قبة وقــد اخترت هذين الاسلوبين لاقامة السقف ليس فقط لانهما مناسبان للمناخ المصرى افضل من الخشب فى كافة اشكاله ، ولكن لاننى اردت أن أرى بعينى كيفية انجاز الطرازات التقليدية من المبانى . تمت صناعة الطوب واقيمت النجارة ــ وبالها من نجارة رهيبة ــ فى الموقع . ومن ناحيتى فاننى اشعر بالاقتناع لقدرتى على الانتقال بنفسى الى القرن الثانى للميلاد أو سنة ٢٠٠٠ ق.م. فقد شاهدت البناء وهو ينفذ بنفس الأسلوب فيمــا عــدا بنــاء القبــة .



شكل رقم (٣) : قالب صنع الطوب والقدوم

وقد بنى جزء من العمل الذى ناسفه فى سنة ١٨٩٥ ، والجزء الآخر فى سنة ١٨٩٦ . لقد وجدنا صانع الطوب ووصل بادواته المكونة من قالب صنع الطوب والقدوم وفأس صغيرة (انظر الشكل رقم ٣) ؛ وبعد ان اختار على ضفة النهر موقعاً ظن ان الطمى الذى فيه من نوعيــة

مناسبة ، أحضر بعض الرجال واقتطع الطين الضروري . وتكونت العملية من عمل حفرة ، وخلط الطين الذى تم تقليبه بقدر مناسب من الماء . وفى نفس الوقت تمت بشراء التبن . وتم تقليب الطين مرات عديدة على مدى عدة أيام ثم نثر التبن ومزج الخليط جيداً . وجرى تنفيذ العمل الذى فى داخل الحفرة أحيانا بالقدمين واليدين وأحيانا بالطورية وهى فأس لها يد طويلة تستخدم فى أعمال الزراعة . وبعد أن أحس صانع الطوب بالرضا حيال صلابة العجينة بدأ فى عمل قوالب الطوب .

وبعد فرش القليل من الأحجار الناعمة وقطع التسجيرات القصيرة والكثيفة من مكان متوسط الارتفاع على الضفة الجافة للنهر ، قام ولد صغير بتزويد صانع الطوب بالطين الذى كومه على شكل ربوة صغيرة وصار الصانع يأخذ بين يديه كمية مناسبة من الطين لملء القالب ، وتسويتها فى داخله ، ثم يمرر يده فوق قمتها ، ثم يرفع بلطف القالب الذى سبق له أن ألقى داخله قليلا من التراب لمنع التصاقه بالطين . وينزلق قالب الطوب الحديث الصنع من خلال قاع القالب الخشبى ويظل على الأرض حتى يصبح صلباً وجافا بما يكفى لنقله .

ويستطيع الرجل الواحد أن يصنع أكثر من ألف طوبة فى اليوم الواحد .

وقد دونت مذكرات عن هذا العمل أثناء مزاولته يوماً فيوماً . وأظن أن أفضل طريقة لوصف العمل هى نشر هذه المذكرات .

أما وقد قررت بناء غرفة تغطى بقبو أسطوانى ، فقد خططت على الأرض المقاييس التى ظننتها مناسبة ، وأرسلت فى طلب البناء . كانت أبعاد الغرفة أربعة أمتار فى سبعة ، وسمك الحائط نصف متر فى كلا البعدين . لقد انقضى عصر فن بناء الأقباء ؛ لدرجة أنه لا يوجد سوى القليل من البنائين الذين يستطيعون تنفيذ مثل هذا العمل . ونحن نباهى فى قريتنا بالعثور على مثل هذا الفنان الذائع الصيت فى مجال اقامة العقود والقباب وقد أرسلنا فى طلبه من النوبة لأداء العمل .

وجاء البناء ، ولم اعجب لاكتشاف أنه جاء وليست معه سلالم أو اجهزة من اى نوع فلم يكن معه سوى القليل من الثياب والقدوم . واستطاع بناء العقد بعرض اربعة امتار مع الطول الذى اريده ، ولكن سمك وارتفاع الجدران اللذين قررتهما لم يعجباه . ان الجدران الجانبية لا بد ان تكون اكثر سمكاً واقل ارتفاعا .

واخذ قطعة من البوص وجعلها بطول الذراع (المسافة من المرفق حتى طرف الأصبع الوسطى بالإضافة الى طول الأصبع الوسطى من الطرف الى المفصل الذى بين سلاميات الاصابع ، وهذا الذراع يساوى الطول القياسي وهو ٥٨ر٠ متراً = ٢٢¾ بوصة) .

قاس بعدى الحجرة فوجد ان عرضها يساوى ٦½ ذراع ، وقاس نسبة السمك المناسب للجدران الجانبية باستخدام الخطـوات التى يخطوها بتجهيه العارضتين فوق الموقع الذى رسمته . ثم ضم مسافة الكعب الى اصبع القدم بما يعادل ثلاثة اطوال القدم (تساوى حوالى نصف قدم زيادة على ما اقترحته) ثم غمغم وقال ان سمك الحائط سيكون مناسباً . وفحص سمك الجدارين الأخيرين ووافق على أن يساوى الطول قدمين ونصف القدم . وجاء مع البناء زميل له هو صانع الطوب .

وكنت انوى ان ادفع اجر صنع الطوب وبناء الغرفة موحداً ؛ لكى احول دون الازعاج والخسارة التى تنتج عن دفع اجر صنع الطوب منفصلاً وذلك لمنع التبذير . بعد شرح هذا الأمر دخل البناء ورفيقه فى حديث طويل وشجار حول ثمن صنع كل الف طوبة . واستقر الامر على دفع ٣½ قرش لكل الف طوبة واتفقنـا على أن يكـون عمق كل خنـدق للأسـاس ذراعاً واحدة ، وعلى ان تبنى الجدران بالدبش المستخرج من انقـاض منزل متهدم والطوب المكسر من قاع الخندق حتى ارتفاع ذراع واحدة فوق سطح الأرض . لقد لوحظ أن الادوات التى يؤدى بها صانع الطوب عمله قليلة . اما الملابس التى يرتديها اثناء العمل فهى بسيطة وقليلـة وايضاً وقورة ، ذلك لان ارتداء الملابس الكثيرة اثناء تعامله مع الطمى الكثيف القوام ، وتحركه فوق سطح الارض كالضفدعة يمثل عائقا خطيرا .

وبدأت عمليات البناء بمجرد ان اصبحت القوالب جافة وصلبة بما فيه الكفاية ، وصارت الأجزاء السفلية من الجدران المكونة من بقايا الأنقاض التى وضعت فى المونة ، قيد التنفيذ .

وكان الخط العمودى لأوجه الحوائط يعدل نحو الداخل من حين لآخر باستخدام قطعة من الخيط فى طرفها مكعب صغير من الحديد أو الرصاص ولكن البناء فضل استخدام قطعة من الخشب متوسطة الطول وشبه مستقيمة .



شكل رقم (٤) : العقود

وبعد بناء قطعة من الجدار ذات وجه رأسى ، قام بفحص قطعة جديدة بالنسبة للقديمة ، وسرعان ما شاع البعد الرأسى وساءت الأحوال مع ارتفاع الجدار .

لم يكن البناءون يهتمون بربط صفوف الطوب (الداميك) ولكنهم عندما فكروا فى ذلك اهتموا بها . ولم تستعمل السقالات . وعندما ارتفع البناء بحيث اصبح من الصعب الوصول من الأرض الى وضع صفوف جديدة ، كان البناء يقف فوق الحائط ويرتفع مع ارتفاع الجدار .

اما وقد وصلنا الى المستوى الذى يظهر عنده السقف المقبى ، فقد وصل الجدار في احد طرفي الحجرة الى ارتفاع حوالى مترين فوق المستوى المقصود . (شكل رقم ٤) .

وبدا البنو الاسطوانى ؛ ووضع قضيب او لوح خشبى سميك للعبور من جدار الى الجدار الآخر ، ووضعت احجار العقد فى متناول اليد حتى يستطيع المساعد ان يلقى بها من اسفل الى زميله الذى يقف فى اعلى الجدار . واحضرت ايضا اجزاء مختلفة من كسر الفخار او حصوات صغيرة مسطحة . وبدا العقد فى قمة الجدارين الجانبيين بوضع قالب من الطوب على جانبه مقابل الجدار الطرفى مع استخدام كمية من المونة لملء الشقوق . ثم وضع قالب آخر مائلا مقابل الأول وبعده ثلاثة او اربعة قوالب اخرى على التوالى . ووضعت قوالب اخرى واقفة على احد طرفيها فوق القوالب التى وضعت اولا ، مائلة الى الداخل قليلا . ووضعت قطعة من الفخار او حصاة فى الطرف المفتوح من موضع الاتصال .

وفى تلك الوقت تراجع البناء مسافة قليلة الى الخلف من الحائط الذى فى الطرف ، واستكمل هذا النظام الخاص بوضع القوالب على طرفها ، بحيث تميل القوالب التى فى الجانب الأيمن نحو تلك التى فى الجانب الايسر وفى النهاية اكمل حلقة من حلقات القوس الذى لا ينبسط فقط فوق الحجرة المطلوب سقفها ، بل ايضاً ينحنى مقابل اجزاء الحلقات التى اكمل بناؤها . ووضعت كسرة من الفخار او حصاة بين الفتحات مع كمية كبيرة من المونة الكثيفة القوام .

وكانت هذه المونة التى وضعت بين الفتحات التى بين قوالب الطوب كثيفة القوام لدرجة اننى رأيت البناء وهو يبدأ من الجانب الايمن يضع عشرة قوالب او اثنى عشر قالباً بحيث ترتفع الى قمة العقد وتهبط قليلا نحو اليسار ، ثم يمضى لتناول غدائه ، ويعود للعمل بعد حوالى نصف ساعة دون ان يسقط شيء او يتزحزح من مكانه .

وعلى ذلك فان العقود أو الحلقات — اذا أردنا ان نتحدث بتخصص اكثر — التى تمثل السقف المقوس فوق الحجرة ، والتى تبنى هكذا كما هو موضح فى الرسم ، لا يتجاوز سمكها طوبة واحدة . وكل حلقة مبنية بقوالب الطوب توضع مقابل الحلقة التى سبق بناؤها .

وفى جميع الاحوال نجد أن تقوس وارتفاع العقد صغير . ويبدو ان الارتفاع هو الذى يتحكم فى ذلك (حوالى مترين) وهى مسافة يستطيع الرجل ان يصل اليها اذا وقف على قطعة من الخشب عبر الحجرة التى يغطيها العقد .

اما بناء القبة فهو عمل اكثر تخصصاً . ان أتساعها غير محدود كما هو الحال بالنسبة للعقد بالرغم من انه فى حالة استخدام القوالب الخشنة فقط ، فانها لا تكون قوية فى ذاتها بحيث تقاوم ضغط او وزن التقوس الكبير . وفى هذه الحالة كان ضلع الحجرة التى ستبنى وتسقف بالقبة يساوى من الداخل ٨٠ ر٢ م على كل جانب من المربع . وكان سمك الجدران على سطح الارض يساوى ٨٠ر٠ متراً .

وكان الوجه الداخلى رأسياً والخارجى مخروطاً : وقد بنيت الاجزاء السفلية من الحجر كما ذكرنا من قبل اثناء وصف جدران الحجرة . وكانت قوالب الطوب توضع فى مداميك طولية مسطحة ، بينما وضعت القوالب المستعرضة على طرفها . ويتضح لنا سبب وضع القوالب المستعرضة على طرفها ، ان القوالب ضعيفة بحيث انها لو وضعت مسطحة ، فستكون عديمة القيمة . (انظر الشكل رقم ٥) .

وبعد ان ارتفعت الجدران الى مسافة تبلغ حوالى ٥ر١ متر من مستوى سطح الارضية ، اتخذت الترتيبات لبناء العقود الاربعة المائلة لتوفير الميل للاركان ، وتحويل المربع الى شكل مثمن الاضلاع والزوايا لكى يحمل القبة .

ولا بد من ذكر أن المقاييس التى اجريت لتقرير اتساع كل جانب من جوانب الشكل المثمن قد اجريت بشكل بدائى جداً . احضرت عصه

من البوص ذات طول مناسب وثبتت فوق قمة الجدار ثم وضعت قوالب الطوب لتحديد الطرفين . وبعد أن تكررت هذه العملية ثمانى مرات ، وجد أن قطعة البوص أطول من اللازم ، ولذلك تم قص طرفيهما لتقصيرها . وهكذا تم الحصول على تعديل أكثر انضباطا مما لو تم كسرها واستمرت هذه العملية حتى أعطت البوصة أبعاد أحد جوانب الشكل المثمن الذى سيبنى فوق القاعدة الأرضية المربعة ½ وأعدت ثلاث عصى أخرى من البوص بنفس طول العصا الأولى ، ووضعت عبر الأركان لتحديد مكان وتقوس الأقواس التى ستحمل أربعة جوانب من الشكل المثمن . ووضعت فوق قمة الجدار قطع صغيرة من الحجر لتحدد المواقع التى ستبرز منها الأقـــواس .

وكـــان من الضرورى بعد ذلك انشاء « المراكز » أو القوالب التى ستقام فوقها الأقواس المائلة والدلايات المصنوعة من الطوب الأحمر . ولتحقيق ذلك ، تم بناء القوالب الخشنة بدون مونة لملء أحد أركـــان الحجرة المربعة ، ثم وضعت قوالب الطـــوب بحيث كانت القـــوالب المستعرضة مسطحة والقوالب الطولية على طرفها . وارتفعت كومـــة القوالب التى تبدو فى الرسم التخطيطى مثلثة الشكل حتى تساوت القمة مع الجدران المتاخمة لها وقطع الأحجار التى ستحمل الأقواس المائلة . وتم بناء القاعدة الطلوية لنصف القبة فوق قمة هذه الكومة من القوالب الجافة . وتحولت هذه القاعدة الى شكل متناسق بعد صقل ظهرها وعندما يظل الظهر مبللا ، ينثر التبن فوقه . ولا شك أن ذلك يمنـــع المونة من الالتصاق بالقالب بعد بناء العقود . وتجلب قوالب الطوب الأحمر وهو أصلب من الطوب اللبن ، وذلك لبناء العقود والدلايات . وكان من الصعب استكمال القاعدة قبل أن تظهر من الجزء السفلى من كتلة الطوب التى تحملها ، علامات الامتلاء . ولكن تحقق الأمان الكافى بعد وضع لوح خشبى فى جانبها لدعمها .

وبعد ذلك تم ملء ركنين آخرين من أركان الحجرة بكتلتين مماثلتين من الطوب الجاف لاستقبال القوالب ، وقد نفذت هذه الترتيبات البنائية بحيث تنحنى بقدمتها على النموذج للحيلولة دون سقوطها مثلما ظهر

فى الاولى منها . وفى الوقت الذى تم فيه الانتهاء من الاثنتين مع استمرار دعم الاولى منهما باللوح الخشبى ، أصبحت الغرفة المربعة مسدودة باكوام الطوب .

وبالرغم من البراعة التى ابداها البناءان فى تنفيذ نموذج الواجهة المقوسة بالنسبة للصفين الثانى والثالث من الطوب ، فان هذين الصفين سقطا اثناء الليل . وكانت الحجرة السفيرة حتى ذلك الوقت مملوءة بقوالب الطوب والانقاض التى تسليت . وعلى اية حال فقد تم اخلاؤها . وفى اليوم التالى أعيد البناء مع زيادة الاهتمام بالروابط وتم ملء الركن الرابع ونصبت القوالب .

ثم بنيت العقود التى حملت الجدران المائلة للشكل المثمن ، ووضعت قوالب الطوب ، وروابطها بارزة نحو المركز ولكنها مسطحة وتجمعت نقطة التقائها عند التتويج . وبعد ذلك أستخدم الطوب الأحمر لبناء نصفى القبة ومثلثات الاركان من خلالها حتى ركن المربع . ولم الاحظ أن بناء الطوب لهذه الأجزاء لم يكن منتظما فلم تتجه نحو مركز أو توضع بعناية فكانت كل دعامة من الدعامات البارزة تستند الى الأخرى .

ودفنت الجدران التى على الجوانب الاصلية للحجرة بين العقود المبنية بالطوب الأحمر حتى تشكلت قاعدة الشكل المثمن الاضلاع .

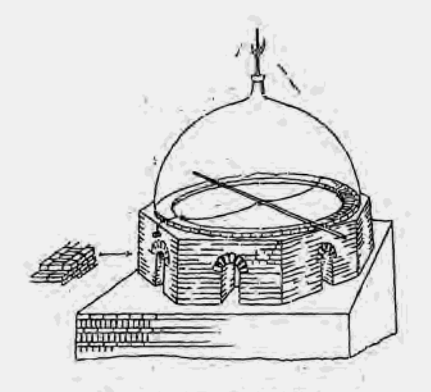
ودفنت مثلثات الأركان فى البناء المكون من قوالب الطوب وتركت مسطحة فى القمة ، كما هو مبين فى الشكل رقم ٥ .

ثم بدأ الرجال فى بناء القاعدة الدائرية التى تستقر القبة عليها ، وهنا تم صنع ثلاث نوافذ . وكان الحائط اقل سمكا من الحائط الذى باسفله فكان عرضه يساوى قالبين وتم ربطه حسب الشكل رقم ٥ .

اما بناء النوافذ فكان تحفة من البراعة وبلغ عرضها حوالى ٢٥ر. مترا اى تسع بوصات .

وبعد رفع الجدران الى الارتفاع الضرورى الذى يلزم أن يبرز منـه قوسا النافذة ، وضعت كومة من اربعة أو خمسة قوالب عـلى كلتـا العارضتين ، مع وضـع كمية كبيرة من المونة الصلبة بينهما كالعجينـة ووضع احد العاملين الكومة الأصغر فوق الكومة الأخرى .

ووضع كل من العاملين يده على الجانب الداخلى للكومة وامالها ببطء وهدوء ، معطياً اياها شكلا مقوساً مع تحريكها حتى تلامس الاثنان عند القمة ــ وصاح « احضروا قالباً آخر ! » ووضعه فيهـا واكتمـل العقد الصغير . وقد احتاج الى وصلة فى احد الجانبين بينما ترك الجانب الآخـر قائمـاً .



شكل رقم (٥) : العقد المبنى من قوالب الطوب - القبة

وشكل أسبع قدم البناة وصلة عجيبة حتى وضع بعض القوالب مكانه واكتمل البناء بكامل جماله البسيط .

ورفع الجدار المثمن حتى علا عن النوافذ . وارسلت رسالة الى الذهبية (*) لاقتراض مدراة . ووضعت هذه المدراة عبر الجدران المثمنة وضبطت بحيث تمر من الوسط ، واتيت فوقها نقطة مركزية وذلك بعد قطعة من الخيط بكامل طولها عبر البناء المثمن ثم طويت الى اثنين . وربط الخيط الى هذه النقطة المركزية بعقدة فى القمة ، وهكذا اصبح من السهل ادارة الخيط فى جميع الاتجاهات بحرية . اما العقدة التى فى الخيط فقد حددت طول نصف قطر الدائرة . وعمل احد العاملين عند احد طرفى الخيط والآخر عند طرفه الآخر ، وسرعان ما تشكلت حلقة من البناء مكونة الصف الأسفل من القبة . أما الخيط ، والعقد ، وقطع الحجارة التى ربطت فى طرف الخيط لابقائه فى موضعه ، فهى مبينة بوضوح فى الشكل رقم ٥ . وفيه يظهر كذلك الرباط الموصل بين جدران البناء المثمن والقبة نفسها .

ان القبة وشكلها المنتظم حسب العقد التى فى الخيط ، لها شكل نصف كروى حقيقى . أما الوصلات بين صفوف البناء فتميل قليلا الى الداخل قليلا نحو نقطة المركز ولكنها لم تنفرج . واذا نظرت الى خارج القبة فان الحلقات المتتابعة من قوالب الطوب ستظهر موضوعة كل منها داخل الاخرى قليلا بعد بناء الدعامات ، وبعد تنفيذ العمل الى مسافة تبلغ حوالى نصف متر ، وضعت الوصلات بارزة من المركز تقريباً . ولم تقطع القوالب ولكن وضع المزيد من المونة فى المواضع التى كانت فيها الوصلات أكثر اتساعا ، ودفعت فيها شظيات من الفخار او رقائق من الاحجار .

ولم يستخدم أى نوع من السقالات . وازيلت بعض انصاف القوالب على مسافات معينة خارج القبة . ووضع الرجلان اقدامهما فى الثقوب التى صنعاها ، وبذلك صارا يتسلقان بالقدر المطلوب . وبمجرد اكمال بناء حلقة من قوالب الطوب لم يتردد الرجلان فى الانحناء فوقها .

ومع الاقتراب من قمة القبة ، والوصلات المبنية من قوالب الطوب الخارجة من نصف الدائرة اذهلنا ماشاهدناه من عدم سقوط القوالب حتى اكملت الحلقة .

(*) الذهبية : مركب او سفينة كانت معدة للاقامة والتنقل — (المراجع) .

وذهلنا قليلا ونحن نقف تحتها ، وننظر الى اعلى من خلال الثقب الذى فى الوسط ، لنشاهد صفا من القوالب الطولية التى وضعت بدقة فى المكان ، وثبتت فى موضعها حتى اكمال الحلقة . وعندما صارت الحلقة صغيرة نسبيا لم يكن قائما بالعمل الا رجل واحد . والحقيقة انه لا يوجد مكان لاثنين — ولكن لا شيء يتحرك ، وثبتت قوالب الطوب فى اماكنها حتى اكمل عمله وصولا الى نقطة البداية . واضيفت حلقات متتالية الى بعضها البعض ببطء . وعندما قل حجم الثقب فى قمة القبة واصبح قطره مترا واحدا لم تعد الوصلات بارزة من مركز نصف الدائرة ، واصبحت ذات سمك متساو فى كل مكان ، وبذلك ظهر تويج القبة مكونا من مخروط منبسط . وربما جرى ذلك حتى لا توضع الحلقات الأخيرة من قوالب الطوب بوصلاتها متقاربة راسيا .

ومما يذكر انه كان يجرى بياض السطح الداخلى للقبة اثناء المضى فى العمل . وعندما وصل ارتفاع أعمال البناء الى نصف متر ، احضر البناء كتلة من الجص الذى يشبه المونة وقام بمدها من اعلى سوق اكبر مساحة من الفراغ استطاع الوصول اليها ، وهكذا اكمل عمله دائريا حتى وصل به الى عمل زميليه .

اما اقفال الفتحة فى قمة القبة التى يبلغ قطرها ٢٠ر٠ مترا ، فهو عمل سريع الى حد ما . وقد انجز العاملان ذلك باستخدام كمية كبيرة من المونة المخلوطة بالطوب ونفذاها بنجاح . ثم وضعا الحلية العليا ، وكان الجزء السفلى منها مبنيا من الطوب والمونة . اما الهلال والعصا التى تحمله فقد صنعهما سمكرى جوال من صفيحة بنزين .

وبعد يومين أو ثلاثة أيام ، اعيد صقل الداخل بالمونة وانتهى العمل فيما عدا تغطيته بطبقة الجير النهائية .

لقد قدمت هذا الوصف الوافى لطريقة تنفيذ المبنى الصغير ليس فقط لأن فن اقامة هذا النوع من البناء يوشك على الانقراض ، ولكن لأنه يبين التباين المفرط بين براعة واستقلال شخص بسيط يستخدم ادوات قليلة بدون اجهزة ، وبين اعتمادنا نحن الأوربيين على العوامل

المساعدة الخارجية . ويوجد فى مصر مئات القباب المبنية بالطريقة التى وصفناها . ويبلغ عمر العديد منها مئات السنين ، بينما يصعب ان تجد فى أوربا بناء لا يحتاج أثناء العمل الى ألواح الخشب والسلالم وأشياء أخرى عديدة تعتبر أمراً معروفاً منه ، وضروريات مطلقة .

وقبل ان نصف هنا الرسوم التخطيطية لا بد من توجيه الانتباه نحو حقيقة أن الكنائس تندرج تحت ثلاثة طرز هى أ ، ب ، ج .

ويمثل الطراز (أ) فى الرسم التخطيطى المعروف باسم البازيليكى، وهو يتكون من صحن الكنيسة الذى ينتهى بحنية الهيكل ، والجناحين الشمالى والجنوبى وفوقهما شرفتان علويتان ، وتنظرة غربية بمستوى ارضية الشرفتين ، وسلم يقام عادة فى الزاوية الجنوبية الغربية يؤدى الى الشرفتين والسطح المنبسط . ويغطى الصحن والشرفتين والجناحين اقباء اسطوانية (انظر اللوحات ارقام ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦) .

ويظل الوصف الذى قدمناه صالحاً حتى دخولنا الى الجزء من وادى النيل الذى يبدأ جنوب بطن الحجر أو الشلال الثانى . ولا شك ان الطراز البازيليكى كان هو الشائع هنا ، ولكنه اختلف عن الطراز الذى وصفناه بشكل ملحوظ عند تنفيذه فى الشمال ، فبدلا من استخدام الدعائم الحجرية المقبضة ، والأعمدة الصغيرة المنحوتة من كتلة حجرية واحدة، تم فصل الصحن عن الجناحين (اللوحة رقم ٣) . ولا أجد دليلا على وجود شرفة عليا فوق الجناحين ، كما أن تغطية الصحن والجناحين بالعقود لم تصبح قاعدة مرعية . ان العقد ثقيل وينتج عنه دفع حتى لو كان مبنياً من قوالب الطوب اللبن . اما الاعمدة الحجرية التى ذكرناها فهى رفيعة ، واذا لم ترتكز على قواعد مناسبة فانها لا تكفى لحمل العقود والجدران الضرورية التى ترتكز عليها العقود ، ولا تقاوم الدفع العرضى . واذا أهمل البناء فان الدفع قد يؤثر على الاعمدة بسرعة ويدفعها العقد الى الشمال والجنوب . والحقيقة هى ان الأعمدة بوضعها الردىء هى الأجزاء الوحيدة من المبنى التى ظلت باقية بينما خرب ودمر كل ما كان حولها ، وظلت هى باقية .

ان العقود المبنية من الطوب الأحمر ثقيلة ، ويصحبها الكثير من الدفع ، ولكى تقاوم الجدران الخارجية للجناحين هذا الدفع مقاومة شديدة ، ينبغى ان تكون ضخمة الحجم ، ويعنى ذلك حسب طريقة البناء الشائعة فى تلك العصور والأماكن ، ان الجدران الكثيفة قد تمثل واجهة متوسطة ، ولكن لا بد من ملئها بمادة مختلفة ، ولا بد أن يكون البناء الامامى — سواء بنى من الطوب او الحجارة — جديراً بالسرقة بينما يترك القلب ، ولذلك كنا نتوقع أن نجده ، ولم يكن الأمر كذلك . لقد زال كل اثر للجدران الجانبية . وهناك شظيات من القوالب المكسورة تتناثر ؛ ولكنها ليست لها اية علاقة بالجدران التى شكلت جزءاً منهـا يوماً مـا .

واجازف بالقول بان تلك الجدران كانت رقيقة . اما الأعمدة سواء حملت عقوداً أم لا ، فقد غطيت جميعها بسقف مسطح من الخشب ، لا اشك فى صناعته من جذوع وفروع النخيل المغطاة بطبقة صلبة من الطين .

وفى الطراز (ب) تغطى الكنائس بقبة أو قباب تمثل الجزء الظاهر ، ونتيجة لذلك يعتبر الشكل التخطيطى صورة معدلة من الطراز أ ، بحيث يدعم السقوف المبنية . وعلى ذلك فاننا نجد اقسام المبنى متشابهة فالهيكل المربع الشكل سواء أكان مصنوعاً من مثلثات أركان ام وسائل أخرى ، نصف مقبى فى أعلاه . والصحن لـه جناحـان فى الشـمال والجنوب . ولا يعتبر السلم ضمن المعالم الضرورية لهذا الشكل ، مما يجعلنا نفترض أن هذا الطراز من الكنـائس ليست له شرفـات . أما البابان اللذان ينفتحان على الشـمال والجنوب فهما فى موضعهما المعتاد . وتوجد كذلك الحجرتان الصغيرتان اللتان على جانبى المذبح . اما الشكل المستطيل للرسم التخطيطى والمظهر الخارجى المبنى فهما متواتران فى كلا الطرازين أ ، ب . (انظر اللوحات ارقام ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٣) . وفيما بين الشلال وحلفـا نجـد أن هـاتين الحجرتين متصلتان خلف المحراب عن طريق ممر ضيق . أما فى بطـن الحجر فان هذا الممر الضيق شائع الاستعمال . ولا استطيع ذكر العادة

التى سادت جنوب بطن الحجر لان الجدران مهدمة تماماً . ولكن الاستطالة الخارجية للشكل التخطيطى متوافرة فى كلا الطرازين ، وتبرز حنية الهيكل خلف الجدار الشرقى .

أما الطراز (ج) فمن المفروض أنه احدث تطوراً من الطرازين ا ، ب واعتقد انه لم يظهر الا بعد الفتح العربى ، ويذكر لنا التاريخ أن الكنائس لم تسلم من النهب فى غالبية الأحوال كما احرقت أسقفها ولذلك حلت العقود والقباب المبنية من الطوب محل الاسقف الخشبية . ولدينا نموذجان لهذا التحول فى الدير الأبيض (انظر اللوحتين رقمى ٤٥ ، ٤٨) وفى دير ابى حنس (أنظر اللوحتين رقمى ٥٤ ، ٥٦) . وعند الرغبة فى عمل سقف حجرى للكنيسة منذ البداية ، فان المنطقة كلها تغطى بسلسلة من القباب الصغيرة المتجاورة ، وتحمل العقود الحاملة اعمدة صغيرة او دعائم رفيعة مبنية بالطوب أو الحجارة . ونجد امثلة واضحة لهذا الطراز فى اللوحات أرقام ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٢ .

ومن الضرورى تحديد الوقت الذى رسمت فيه الاشكال التخطيطية المختلفة ، مع تدوين الملاحظات التى نوهنا عنها للسبب التالى : لقد نخر التحلل ببطء فى الآثار لعدة قرون . والآن ومع زيادة النشاط التجارى الذى انتشر فى البلاد ، ظهرت مشروعات من كافة الانواع فى مجالات الرى والتعدين وغيرها . وحدثت فى مدى عامين او ثلاثة اعوام تغييرات لم تحدث على مدى القرون الماضية . اما عن النفور من التمدن واكتساب الثقافة الرفيعة فاننا نمتدح انفسنا بوجه عام كبريطانيين ، وبوجه خاص كمهندسين لاننا عندما نضطلع بعملية تمدن فى منطقة ما ، فان الرؤساء التنفيذيين يراعون عدم التسبب فى اى أذى غير ضرورى ، الا انهم لا يستطيعون ملاحقة كل صغيرة وكبيرة بانفسهم ، ومن المؤلم اكتشاف أن المرؤوسين المحليين لا يراعون تنفيذ هذه التعليمات . وقد عم الخراب السودان اكثر من أى مكان آخر للأسباب الآتية : بعد فتح السودان على يد محمد على ، سعى لاقامة تشكيلة من المبانى والمنشآت الادارية للانتفاع بها . واحتاج ذلك الى مواد للبناء ، ولذلك صدرت الأوامر للحكام المحليين لجلب الأحجار وقوالب الطوب . وكانت المعابد القليلة

التى نهبت من قبل للمساعدة فى بناء الكنائس موجودة لكى تسلب منها المواد المطلوبة وفى الوقت نفسه سويت الكنائس بالأرض لنقل احجارها. وقد بذلت الادارة المستنيرة الحالية فى السودان جهدها لحراسة وحفظ ما بقى منها (*) .

لقد رسمت الاشكال التخطيطية للمقاطع الأفقية هنا حسب مقاييس الرسم المترية ، وهى بقدر الاستطاعة مقدرة بآحاد المئات . وعندما زاد حجم الرسم عن حجم الصفحة قدرت بنسبة ١ : ٢٠٠ (**) وبذلك اصبح من السهل مقارنة الأحجام التقريبية للمبانى المختلفة . ويوجد الطرف الشرقى للكنيسة فى الجانب الأيمن دائماً ، الا اذا استدعت الضرورة رسم المقطع الأفقى بطريقة اخرى . ولكن اتجاهات المبانى مضبوطة .

ويرتبط اسم مستر جيفرى س. مايلهام Mr. Geoffry S. Mileham بعدد من هذه اللوحات التخطيطية . وقد تمت بعمل رسومات سريعة لنسق هذه المبانى منذ سنوات عديدة مضت ، ولكن الدكتور راندال ماكايفر Dr. Randall Maciver ومستر مايلهام قاما باجراء الحفائر بعناية عندما سنحت الفرصة تحت اشراف جامعة بنسلفانيا ، واقدم شكرى للجامعة لسماحها لى باستخدام بعض هذه اللوحات التى نشرت تحت اسم : كنائس جنوب النوبة Churches in Lower Nubia لمؤلفه جيفرى س. مايلهام ، ونشرها الدكتور راندال ماكايفر ، « Philadelphia, 1910 ».

(★) الملاحظ هنا ان المؤلف يحمل الحكام الموجودين فى مصر والسودان قبل الاحتلال البريطانى مسئولية كافة البلايا التى امتلات بالبلدين ، بينما يتحدث عن احوالهما فى ظل الاحتلال وكانهما باحسن الاحوال ـ (المترجم) .

(★★) اللوحات التى زاد حجمها عن حجم الصفحة فى الكتاب الأصلى اى النسخة الانجليزية ـ تم تصغيرها للنشر فى هذه الترجمة العربية بنسبة ٧٠ الى ٣٠ عند تصويرها بحجم الفولسكاب ـ (المترجم) .

ويجدر بنا الاشارة الى وجود بقايا العديد من الكنـــائس فى مصر والسودان وهى غير معروفة لى ولذلك فانها لم تذكر هنا . وفى كـل عام يكشف لنا التقدم المستمر فى التحقيق العلمى الذى بدأ مؤخراً فى الاهتمام بالآثار المسيحيـــة فى مصر ، عن مواقـــع منسية حتى الآن . ولا يعتبر هذا الكتاب سجلا شـاملا لانه فى حقيقته لا يعدو ان يكـون محاولة اولية .

الفصل الثالث

وصف الرسـومات التخطيطية

من الضرورى الآن شرح الرسومات التخطيطية التى جمعناها هنا .
وقد ذكر غيرى من ذوى القدرة على الحكم ، اقتناعهم بأن المسيحية دخلت وادى النيل من الشمال وانتشرت جنوباً بسرعة ملحوظة . واننى اشعر بأن البقايا المعمارية ، تؤيد هذا الرأى تماماً .

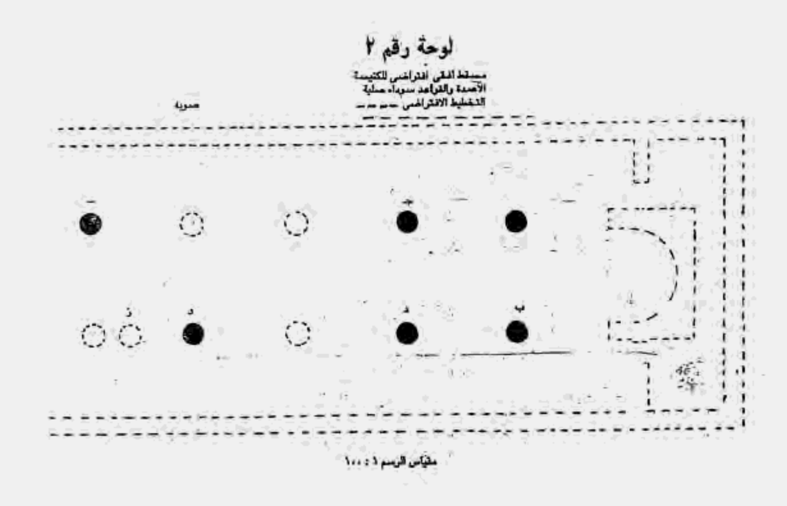
وقد يسأل البعض : لماذا ابدأ كتابى هذا بتقديم أمثلة من اقصى الجنوب بقدر ما استطيع الوصول واستمر مع مجرى النيل ، اى نحو الشمال ؟ والسبب هو انه كلما اقتربنا نحو مركز الحكومة المزدحم فى الشمال ، وتلك الاماكن ذات الكثافة السكانية ، فمن الطبيعى ان نكتشف امثلة عديدة ليس فقط على التخريب بل ايضاً على تغيير الطابع . لقد خربت المبانى التى فى الجنوب ، اما المبانى التى فى الشمال فقد خربت ولكن اعيدت اقامتها مع تغيير فى الأسلوب كما سيظهر من دراسة رسوماتى التخطيطية .

صوبـــــــة

اللوحة رقم ٢

تقع صوبة على الضفة اليمنى او الشمالية من النيل الأزرق ، فـوق الخرطوم بحوالى ثلاثة عشر ميلا ، وكانت عاصمة مملكة علوى المسيحية، ولكن هناك سبباً يدفعنا للاعتقاد بأن هذا المكان كان من قبل موضعـاً لمدينة قديمة وهو يمثل على وجه الخصوص أجزاء من معبد كان موجوداً فى هذا المكان . وقد زرت هذه البقعة خلال شهر فبراير سنة ١٩١٠ .

لوحة رقم ٢



مسقط أفقي افتراضي للكنيسة
الأعمدة والقواعد سوداء صلبة
التخطيط الافتراضي ـــ ـــ ـــ
صورة
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

ولا نجد شيئاً من بقايا المعبد التى تحولت فيها بعد الى الكنيسة التى ذكرها الدكتور بادج (١) ، ولكننا نرى سهلا من التربة الطينية يمتد فى كافة الاتجاهات بلا حدود . وهو محدد بأشجار قصيرة مع نمو شجيرات شوكية قصيرة وكثيفة ، وقد تناثرت فيه مجموعات من قوالب الطوب الأحمر المكسور ، ولا يسمح ارتفاع البقايا بأن تنال شرف التسمية بكلمة « روابى » . وتقع إحدى هذه الروابى التى تغطى منطقة واسعة فى مكان المبنى الذى ذكره الدكتور بادج وشاهده فى سنة ١٩٠١ . وتوجد بعض الأعمدة الصغيرة المنحوتة من كتلة حجرية واحدة بارزة من منخفض فى وسط حشد آخر من قوالب الطوب المكسور .

وبصرف النظر عن ضآلة ما يمكن رؤيته ، الا انه يستحسن تقديم رسم مسقط أفقى للبقايا الموجودة عند زيارتى (٢) . وارجو قبول افتراضى بأن هذا الترتيب للأعمدة ينتمى الى تخطيط مسقط افقى لبناء من الطراز البازيليكى . ولا بد انها كانت تحمل سقفاً خشبياً وذلك بالنظر الى ضآلة محيطها . أن الاعمدة (أ) ، (ب) ، (جـ) مازالت قائمة ، أما العمود (د) فقد سقط ربما بسبب اخطاء بعض الحفارين الذين حفروا ثقوباً مربعة عند قواعد هذه الأعمدة لسبب غير معروف .

وهذه الاعمدة من حجر صخرى وارتفاعها حوالى مترين . وقد تركت الأطراف السفلية من العمود الحجرى التى يبلغ قطرها حوالى ٦٢ر٠ متراً مربعة الشكل(انظر الشكل رقم ٦)، ولكن لا يمكن الآن تحديد ما اذا كانت تشكل قاعدة ظاهرة بارزة فوق الارضية ، او انها دفنت جزئياً او كلياً لأن أرضية الكنيسة قد دمرت تدميراً شديداً .

ونجد فى (هـ) كتلة اسطوانية لعمود من الحجر الرملى يبلغ قطره نفس قطر الأعمدة التى ذكرناها سابقا ، ويبدو انه قد وضع فى مكانه ليشكل الركيزة التى تحمل سلسلة من العقود فى اقصى الغرب وعددها خمسة .

---

(١) The Egyptian Sudan, by E. A. Wallis Budge, Vol. 1. p. 324.

(٢) تمت فى فبراير سنة ١٩١٠ .




الشكلان رقم ٦ - ٧ قاعدة وتاج عمود من صوبة

ويوجد فى (و) كتلة اسطوانية مشابهة ايضا ، يبدو انها الدعامة الغربية لعقد ثان فى السلسلة الجنوبية اما فى (ز) فتوجد قاعدة من الحجر الرملى يبدو انها فى غير موضعها . وتبلغ المسافة من (أ) الى (هـ) ٤٠ر١٣ متراً (حوالى ٥٠ قدما) .

لقد اوضحت بالخطوط المنقوطة امتداد حنية الهيكل فى نهاية الكنيسة شرقا ، وبه الغرفتان اللتان فى شماله وجنوبه ، والممر الذى يربطهما من خلف المحراب . ولم أوضح اية مبان افتراضية فى النهاية الغربية لأن المعلومات غير متوافرة لدينا الآن . وكان من المفروض وجود سلم (١) لأن مثل هذه المزية لم تكن موجودة الا حيث توجد الشرفات الطويلة والأسقف المقوسة التى تحمل الممر العلوى الموجود فوق السطح .

وهناك خندق محفور شمالا وجنوبا بشكل عمودى على الخط الموصل بين (أ) ، (ب) وعلى المحور الطولى للمبنى ، على أمل ان يتقاطع مع جدران الجناح ، ولكن كافة آثار المعالم الصلبة قد محيت . وعبرنا من خلال القوالب المكسورة فى ارتباك كامل . وكانت هناك خمسة تيجان للأعمدة متناثرة على الارض ، أحدها سليم تماماً (الشكل رقم ٧) ، ومن سوء الحظ أن يترك فى مكانه الحالى منسياً ومعرضاً للتخريب ، وكان من السهل نقله الى المتحف الذى اقيم بالخرطوم .

---

(١) ستوضح دراسة رسومات المساقط الافقية التالية كيف كانت هناك سلالم فى الطرف الغربى من الكنيسة .

اما اعمال المبانى الحجرية فوق التاج والعمود فقد نفذت بالمعول . ونتيجة لذلك فاننا لا نجد عموداً يمثل مقطعه دائرة حقيقية بين عدد الاعمدة ، ولكنها تشكلت فقط عن طريق النظر . وتصميم العمود ممتاز ليس فقط لانه منفذ من مادة صلبة ، ولكن لانه يمثل اسلوباً بهيجاً للانتقال من الشكل الدائرى فى اسفله الى الشكل المربع فى قمته ، ويلاحظ ان الطبقة التى فوق العمود ما زالت تحمل التقاليد الكلاسيكية . إنها ليست مربعة فى المقطع الافقى ولكن جوانبها ملتوية بلطف كما نراها فى الطبقة التى فوق تيجان الاعمدة الكورنثية . اما الحلية الحلزونية الشكل التى فى كل ركن فقد صنعت ببراعة ، بينما وضع رمز الصليب بشكل بارز . اما فى حالة الأعمدة الاخرى التى اصابها الكثير من التخريب ، فان تصميمها لا يشيع البهجة مثل تلك التى ذكرناها عاليه ، ونرى تحت كل ركن من ترمة التاج (الوسادة) اوراق اشجار كبيرة خشنة الى حد ما ، وليست محددة الشكل ، وكلها تذكرنا بتيجان الاعمدة المقبضة التى نراها على المعبد المصرى الرومانى الموجود فى ناجة Naaga (١) .

ويتعرض هذا الجزء من السودان للأمطار المنتظمة التى لا تستغرق الا فترات قصيرة . وهى تؤثر فى طبيعة وسطح التربة إلى حد ما . ولا توجد الطبيعة الحافظة الملحوظة فى مناخ مصر بنفس القدر فى هذا الجزء من السودان ، كما ان النمل الابيض متزايد النشاط . ولا بد أن الأمطار وزمت انتفاش الطوب بسهولة ، وربما ساعدت الرياح الشمالية الغربية المتواصلة فى تحقيق ذلك بينما حول النمل الأبيض الواح الخشب المتساقطة إلى مسحوق مما جعلها فريسة سهلة للرياح التى ذكرناها .

ولا شك ان الضربة الاخيرة التى وجهت الى ما بقى فى صوبة كانت هى بناء مدينة الخرطوم . ويذكر لنا لبسيوس (٢) انه عندما نزل فى صوبة وجد « أكواماً ضخمة من الطوب الأحمر المعدة للتصدير » وهذه المادة

(١) انظر كتاب بادج The Egyptian Sudan الجزء الاول ، ص ٣٣٠ .

(٢) Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, London, H. G. Bohn 1853. p. 162.

المستخدمة فى البناء تنقل بكميات كبيرة من صوبة الى الخرطوم وما بعدها. ونزلنا إلى البر ولم نذهب إلى ما وراء الشجيرات الشائكة القريبة من الضفة عندها لاحظنا أن أكوام الطوب التى تغطى مساحة كبيرة يحتاج الالتفاف حولها الى ساعة من الزمن . ولم نستطع أن نعرف مكان الجدران او شكل المبانى التى اخذت منها » . ان كل ما تركته القرون السابقة جرفه القرن العشرون ، وهى نفس الحالة التى تجدها فى مصر كلهـا ، والمناطق التى وصلت اليها المؤثرات الاوربية . اما البقايا التى ظلت قائمة فهى تلقى الاحترام فى الحالة التى تركت عليها . وحسب ما أورده ابو صالح (١) ، فقد وجدت هنا (عند مدينة علوة) وحدات عسكرية ومملكة ضخمة مترامية الأطراف كان بها أربعمائة كنيسة . وكان جميع سكانها من المسيحيين اليعاقبة . وقد احاطت بها الاديرة التى كان بعضها يقع بالقرب من مجرى النهر وبعضها الآخر فوق الضفتين . وكانت هناك كنيسة كبيرة واسعة وضع تصميمها وشطب بناؤها بمهارة كبيرة . وكانت أكبر من الكنائس الأخرى التى اقيمت فى هذا القطر ، وتدعى كنيسة مانبالى.

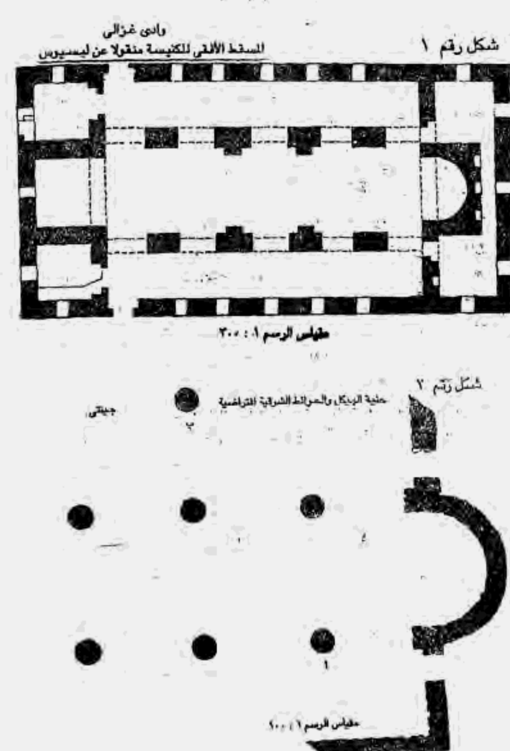
وقد ذكر مستر كرأوفوت الذى كان يعمل مفتشا للآثار فى السودان منذ فترة قليلة ، بقايا متفرقة للكنائس التى رآها او التى استعلم عنها على النيل الأزرق — فى علتى (على الضفة الغربية) وروتس (على الضفة الشرقية) وكاسيبا (على الضفة الغربية) وارباجى (على الضفة الغربية) والحصاحيصا ، وسنار ، وكذلك فى التطينة على النيل الأبيض .

وادى غـزالى
اللوحة رقم ٤

يقع مدخل الوادى المتسع الذى يسمى « خور ابو دوم » على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل مدينة مروى القديمة اى على بعد حوالى ستة اميال اسفل مجرى جبل برقل (مدينة نباتا القديمة) وعلى بعد حوالى ساعتين ركوبا على ظهر الدواب نصل الى مكان يرتفع فيه الماء الى السطح ، وهنا نرى نخلات متفرقة واشجار الدوم وبعض الزراعة مع

(١) The Churches and Monasteries of Egypt, Abu Salih, Evetts and Butler, Oxford. Clarendon Press, 1895, p. 263.

لوحة رقم (٤)



شكل رقم ١
وادى غزالى
السقط الألفى للكنيسة منقولا عن ليسيوس
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠
شكل رقم ٢
حنية الهيكل والحوائط الشرقية المتراضية
جينتى
٢
١
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

عدد قليل من المنازل . انها واحة صغيرة تقع فى منخفض من التلال الرملية وتحيط بها الصخور الجرانيتية . انها بقعة منعزلة ومتيضة . ونجد فى هذا المكان خرائب دير لفت اليه الانظار لبسيوس الذى زاره فى سنة ١٨٤٤ ، وقدم لنا رسماً للمسقط الأفقى لكنيسة هذا الدير فى كتابه المعروف Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai ص ٢١٩ . وقد وردت التفاصيل فى : Denkmäler, Abth. I, Bl 131.

وقد زرت هذا المكان فى شهر يناير سنة ١٩١٠ واتخذت بعض الاجراءات الخاصة بالقياسات ، التى إستطعت عن طريقها التأكد من دقة رسم المسقط الافقى الذى نشره لبسيوس للكنيسة ، لأن مجموعة المبانى قد خربت جميعها منذ تلك الزيارة . ويثير ذلك الأسف الشديد نظراً لقلة عدد المبانى الديرية التى بقيت فى وادى النيل حتى اليوم .

وبالنظر الى الموقع القاصى لهذا الدير وما لقيه من فرصة للافلات من الدمار الذى وقع على كافة الآثار القديمة القريبة من النهر ، فقد توقعنا أن نجد هنا رسماً تخطيطياً كاملا للمؤسسة الديرية . والحقيقة ان حالتها اشد سوءاً من دير القديس سمعان فى اسوان ، الذى توجد صورة رسمه التخطيطى فى اللوحة رقم ٢٩ .

وتحيط بالدير حوائط حجرية جمعت احجارها من المنطقة المحيطة به . وقد وضعت الأحجار فى مونة من الطين ، وتضم الحوائط شكلا غير منتظم به علامات صغيرة تدل على ان المسقط الافقى مستطيل وهى تشكل مادة جديرة بالنظر . ولا تقع الكنيسة متوازية مع اى من الحوائط المحيطة بها بل تتجه نحو جنوب الفناء المحاط بالسور .

ويقع المدخل الرئيسى للدير فى اتجاه الشمال . وقد ارجع المدخل الى الخلف بمسافة تقرب من مترين خلف واجهة الحائط الذى تتجه قطع البناء الحجرى نحوه بالنسبة للأبراج الجانبية . اما الباب الأمامى فهو الآن مغطى بعقد من الطوب ويبلغ طوله ستة امتار . وتقع بين المدخل والكنيسة سلسلة من الحجرات المتجاورة التى ليس لها رسم تخطيطى

ومبنية من الطوب اللبن . وكانت معظم هذه الحجرات مغطاة بعقود مبنية من نفس المادة ، وقد رئيت بعض الحجرات على كلا جانبى دهليز رئيسى حسب ما وصفه ليبسيوس ، قارن أيضا المساقط الافقية فى اللوحات ارقام ٨ ، ٢٩ ، ٣٦ . وفى استطاعتنا ان نتتبع بقايا سلم دائرى مبنى من الطوبه اللبن مع العمود المركزى الذى تستند اليه .

ومن الظلم افتراض أن المكان كان مجرد كومة سيئة الوضع كما حدث فى العصور التالية . لقد مرت عليه تغييرات احدثتها قرون عديدة قبل تركه ليصبح ديراً ، وربما استخدم للسكنى حتى ذلك الحين . وقد تساقطت قوالب الطوب التى بنيت منها العقود فى كل مكان ، وازدحمت ارضيات الحجرات بالانقاض الى ارتفاع ملحوظ .

وتقع فى غرب الكنيسة بقايا حجرات متفرقة ، بنيت حوائطها بالاحجار غير المنحوتة المقامة فى مونة طينية . وتظهر فوق الانقاض ثمة مدخل باب صغير فوقه عقد من الحجر الرملى . ويفتح هذا الباب من احدى الحجرات التى ذكرناها على ممر ضيق يقع بين الحائط الغربى للكنيسة والحائط الشرقى للحجرات التى وصفناها . وحائطا الممر غير متوازيين لان عرضه يبلغ اقل من متر واحد فى الطرف الشمالى ، بينما يبلغ مترين على الأقل فى الطرف الجنوبى . وليس للكنيسة اى مدخل فى الحائط الغربى كما جرت العادة .

وقد تحدث ليبسيوس فى وصفه للمكان من الحجرات المبنية من الأحجار ، فقال ان هذا المبنى ينتمى بلا شك الى المبنى السابق وأن مدخلا جانبياً خاصاً يصل بينه وبين الكنيسة . فما الدليل الذى يستند اليه فى هذا القول ؟ الحقيقة انه لا يوجد شىء معروف عن التخطيط المستخدم فى بناء الأديرة فى وادى النيل . ولا يستطيع احد أن يعرف ما اذا كانت قد تبلورت فى نماذج مسلم بها حسب الترتيب الذى بنى به الدير كما هو الحال فى أوربا . وتركز املى وانا ابحث فى وادى النيل من ادناه الى اقصاه على ان اجد نماذج من المبانى الديرية ، تكفى للبرهان

على وجود طراز محدد من التخطيط . وبعد مضى سبعة عشر عاما من البحث ظللت جاهلا كما بدأت .

وتقع خرائب صف من الحجرات المبنية بالطوب بطول الحائط الشرقى للكنيسة ، ولا توجد فى جنوبه الا بقايا قليلة من الجدران أى فيما بين الكنيسة والحائط الجنوبي المتاخمة . ويخترق هذا الحائط الجنوبى باب صغير ينفتح مباشرة على المقبرة القديمة .

ويذكر لنا مترجمو خطابات ليبسيوس ان « هناك اثنان من الأحواش فى الجانب الجنوبى للدير » والحقيقة اننا نجد مجموعتين من المقابر ، الكثير منها كامل وسليم . وتنتشر بجوار احدى المجموعتين بقايا حائط ، بينما تقف المجموعة الاخرى بدون حوش .

وكانت الكنيسة مبنية من الاحجار البيضاء المنحوتة جيدا حتى مستوى ارتفاع النوافذ ، وما فوق ذلك بنى بالطوب اللبن . وقد غطيت الحوائط بطبقة سميكة من الجص وهى مطلية من الداخل . ويقع المحراب المغطى بالمعقد الذى يخص هذه الكنيسة البازيليكية نحو الشرق كما هى العادة

ونتمنى ان يظل الوصف الذى قدمه ليبسيوس صالحا . ومن المفروض ان الناظر الى الرسم التخطيطى الذى نشره ليبسيوس يقف فى الزاوية الشمالية الغربية للمبنى . وهناك فراغ كبير فى الحائط الشمالى كما هو ظاهر حتى هذا اليوم . ومن خلاله نرى داخل الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى ، ونستطيع مشاهدة النوافذ التى فى هذا الحائط . انها تحتل مكانا غير عادى لانها شديدة الانخفاض ، لدرجة أنها تدخل فى الجزء المبنى من الحجر الذى يعتبر حالياً الجزء الوحيد من حائط الجناح الموجود فى مكانه الأصلى من الجزء المبنى بالطوب حتى ارتفاع مترين على الاقل وهو الذى بينه ليبسيوس وقد تمت ازالته . اما النوافذ فلابد وانها كانت تلقى ضوءاً غزيراً على الجناحين . وفى معظم الحالات تكون النوافذ مرتفعة عند وجودها فى حوائط الجناح .

ويسمح لنا المنظر الذى يظهر من خلال فجوة الحائط الشمالى التى سبق ذكرها ، برؤية حنية الهيكل الاوسط ، الذى يبدو كامل الاستدارة

ويظهر أيضا هيكلا فى نهاية الجناح الجنوبى ، وآخر فى نهاية الجناح الشمالى ، ولا شك أن فحص المسقط الأفقى لا يصور لنا مثل هذه المعالم . ويمكن رؤية العقود التى تشكل الباكية التى فوق الصحن ، والعقود الصغيرة المنخفضة التى تقوم على دعائم مربعة من الحجر مثل تلك التى نراها فى حمام الفارقى (اللوحة رقم ١١) وقد خربت هذه كلها بما فيها الهياكل . والحقيقة أنه من الصعب معرفة الكثير بدراسة هذه الصورة لأنها سيئة جداً . ولا شك أن المصور استخرج ما يقدر عليه اعتماداً على الرسم التخطيطى الأصلى المتوسط الجودة والذى يعبر عن مكان لم يره .

أما كتلة البناء التى تظهر بشكل يثير الشجن فهى صغيرة . وأما البناء الحجرى الذى ذكره لبسيوس والمأخوذ من الحجر الرملى المجاور له والذى كان من الأفضل وصفه بأنه أصفر وليس أبيض ، فانه ما زال ظاهراً من الشرق والجنوب والغرب . وما زال السلم الذى فى الزاوية الجنوبية الغربية قائماً أعلى من الحوائط الأخرى ولكن الداخل كله فارغ ، فيما عدا دعامتين صغيرتين من الحجر ربما كانتا تشكلان العارضتين الراسيتين للمحراب ، ودعامتين أخريين مشابهتين لهما تشكلان الزاويتين الشرقيتين للسلم والحجرة المقابلة فى الشمال . وقد ضاع قبو الهيكل بكامله ، وكذلك الجدران حتى مسافة قصيرة من الأرضية . والمكان مزدحم بأنقاض من الطوب الأحمر . ويقول لبسيوس انه كان هناك فوق الحجر طوب من الطين غير المحروق ، فهل تسببت احدى سقطات القلم فى استخدام كلمة (غير المحروق) بدلا من (المحروق) ؟ ربما كان كذلك .

وقد زال كل البياض الموجود على الوجهين الخارجى والداخلى لجدران الكنيسة ولكن بقيت شظيات قليلة منه . أما الحوائط المحيطة بالدير فقد اسقطت فى اماكن عديدة . أما الحجرات التى فى داخل السور فقد تحولت فى معظم الأجزاء الى كومة مختلطة .

واذا قارنا الرسم التخطيطى لهذه الكنيسة بغيره من الرسومات الأخرى التى من الطراز (أ) فسنلاحظ شدة التشابه بينها جميعاً ، كما أنها

جميعها من الطراز البازيليكى . اما الخرائب التى وصفتها فى صـــوبة وتلك التى سنتحدث عنها فى جينتى ودنقلة وساى ، فانها تختلف ماديا من الكنيسة التى فى وادى غزالى من حيث ان السابقة ذات أعمـــدة منحوتة من كتلة حجرية واحدة على كلا جانبى الصحن . اما اللاحقة فإنها مقامة على قواعد صلبة من الحجر وبدلنا السلم على ان المبنى الأخير تميز بشرفات أو ممرات فوق الجناحـــين . ربمـــا ننسب هـــذا الاختـــلاف إلى ضرورات طقســـية وربمـــا ننســـبه إلى حقيقـــة أن سحـــب الأعمـــدة المنحوتـــة من كتلـــة واحـــدة مهما كـــانت صغيرة ـــ عبر الوادى الى موقع الكنيسة ـــ يمثل مهمة شاقة وانه من الأرخص والأسهل بناء الدعامات الحجرية .

جينتى

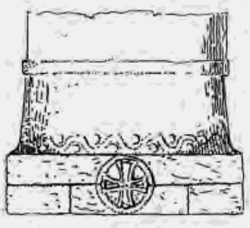
اللوحة رقم ٤

توجد على جزيرة جينتى خرائب كنيسة (زرتها فى ٨ يناير ســـنة ١٩١٠) وهنا نجد ست قواعد موضحة فى مواضعها على الرسم التخطيطى للمسقط الأفقى . والأعمدة من حجر صخرى أخضر وهى صغيرة ومنحوتة من كتلة واحدة ومتوسط طولها ما بين ٢٫٢٠ الى ٢٫٤٠ مترا . ويبلغ قطرها ٠٫٦٥ مترا .

وقد نفذت باستخدام المعول . والأعمدة غير منتظمـــة فى الشكـــل وغير متساوية فى الطول ومصنوعة باهمال كما هو الحال فى صوبة . وهذه الملحوظة تنطبق على باقى المواقـــع .



شكل رقم (٨) : تاج عمود فى جينتى



شكل رقم (٩) : مسقط رأسى ؛ تاج العمود فى جينتى .

ويختلف العمود (ا) عن الأعمدة الاخرى من حيث ان تاج العمود جزء من نفس بدن العمود . اما فى كافة الحالات الأخرى فالتيجان منفصلة . وما زال العمود (ا) قائماً ، وكذلك فان قواعد الأعمدة الأخرى فى مكانها الصحيح كما هو واضح من الرسم التخطيطى . ويمكن مشاهدة ستة اعمدة اخرى ملقاة على الأرض وجميعها سليمة .

وقد زالت جميع حوائط الكنيسة . ولم يبق الا بعض اجزاء متناثرة من الطوب المكسور . وهذه ايضاً ليست فى الموضع الذى يبين مكان الأعمدة ، لانها مجرد اكوام لا شكل لها ، ولذلك فمن الصعب افتراض الشكل الذى كان عليه المسقط الأفقى للمبنى . والمسافات التى بين الأعمدة كبيرة بالنسبة لما كان عليه الحال فى صوبة . وربما افترضنا ان الصحن ينتهى فى الناحية الشرقية بالمحراب المعتاد ، ولكن القاعدة (ب) فى الشمال يصعب الحديث عنها لاننا نفترض وجود جناح مزدوج فى ذلك الجانب .

وتستحق الاعمدة ان نتحدث عنها قليلا ؛ لأنها تختلف عن النوعية المعتادة . أما قرم التيجان (الوسائد) التى فوق الأعمدة كما هى مبينة فى الرسومات (انظر الشكلين رقمى ٨ ، ٩) فانها سميكة وتحمل فى واجهتها صليباً داخل دائرة . ونجد تحت قرمة التاج (الوسادة) مجموعة من الزخارف . اما فى حالة العمود القائم الذى نحت مع تاجه مع البدن من قطعة واحدة من الحجر ، فان الزخارف تتكون من خط متعرج من الحفر الغائر مع رسم دوائر بارزة فى كل منحنى . ويمثل الكورنيش قالباً بارزاً مثل العنق . وهناك زخرفة اضافية تحت المخدة فى شكل منحنى ، تذكرنا بحلية البيضة والسهم وتعطى هذه الاعمدة البسيطة انطباعاً رائعاً . وهى تبدو شديدة وقوية فى مكانها ، بينما تتناسب جودة الصنعة والتصميم مع المادة الصلبة التى صنعت منها .

دنقـــلة القديمة

قمت بزيارتها فى ٧ يناير سنة ١٩١٠ . وكانت قد انشئت فى القرن الماضى ، مقراً لحكومة الولاية ، ومركزاً ادارياً يسمى دنقلة الجديدة او

على الأسح الأوردى للتفرقة بينها وبين مدينة دنقلة القديمة وهى المكان الذى نقصده الآن .

كانت دنقلة القديمة عاصمة لمملكة دنقلة المسيحية وقد أنشأها سيلكو حوالى سنة ٤٥٠ للميلاد ، وكانت ذات أهمية ملحوظة وحجم كبير كما تشهد الخرائب على ذلك . وقد غزا المكان الفاتحون العرب من مصر فى سنة ٦٥٢ . وتهدمت المبانى الرئيسية بما فيها الكنيسة وتوسل السكان فى طلب السلام .

ويقول ابو صالح عن هذا المكان : « هنا عرش الملك . انها مدينة كبيرة على ضفتى النيل المبارك . وتشمل كنائس عديدة ومنازل كبيرة وشوارع واسعة . ومنزل الملك مرتفع وبه قباب عديدة مبنية من الطوب الاحمر وهى تشبه المبانى التى فى العراق . وقد استحدث رافاييل ملك النوبة هذه المدينة سنة ٣٩٢ للهجرة (١٠٠٢ للميلاد) » (١) .

وتقع خرائب دنقلة القديمة فى موقع مرتفع يطل جزئياً على النهر من جهة الضفة اليمنى للنيل . ويمثل منطقة واسعة مغطاة بقوالب الطوب الاحمر المكسورة . ولا شك ان هناك الكثير منها مختفيا تحت الرمال المنجرفة والتى ما زالت — كما قيل لى — تمتد بانتظام وتهدد بتغطية المنازل القليلة الباقية التى يقيم بها السكان ، ويبرز من بين كتل الطوب الاحمر هذه فى مكان او مكانين ، أعمدة صغيرة منحوتة من كتلة واحدة من حجر صخرى أخضر اى نفس المادة التى التقينا بها فى صوبة . وكذلك نجد أن الاعمدة تتميز بنفس الأبعاد . ويقف بعضها بالنسبة الى البعض الآخر كما لو كانت تشكل جزءاً من كنيسة .

وهناك على حدود راس بحرى على النهر مباشرة ، قطع من اعمدة وحوائط من الصوان قائمة بطريقة توضح انها هى الأخرى تمثل جزءاً من كنيسة .

واوضح معالم دنقلة القديمة كتلة مستطيلة الشكل من القوالب الحجرية ترتفع الى طابقين ، وتشغل المنطقة المجاورة . وهى ليست

(١) انظر كتاب (ابو صالح) ص ٢٦٥ . ويجب ان نتذكر ان ابا صالح كان يتمتع بخيال خصب ليتحول المبنى المتواضع الى عملاق بفضل قدراته على التضخيم فى الوصف .

كبيرة الحجم وتبلغ مساحتها على المسقط الافقى ٢٤ متراً فى ١٨ متراً ولكن كل ما يحيط بها خرائب ويكشف ذلك عن تزايد اهميتها بشكل واضح . وهى تبرز حتى ارتفاع حوالى عشرة امتار عن مستوى سطح الأرض الحالى للربوة الصغيرة التى تقع فوقها ، ولكن نظراً لعدم استواء السطح فان الارتفاع يتفاوت من جزء الى آخر .

ويتكون الدور الأسفل فى هذا المبنى من خمسة أروقة متوازية تنتهى نهاياتها على شكل أروقة متقاطعة مسدودة من أعلى بعقود على شكل الانفاق قد سقطت فى بعض الاماكن وتم اصلاحها بعوارض خشبية تسد اصابها العطب . ويبلغ ارتفاع هذه الطبقة من مستوى سطح الأرض حتى مستوى الارضية التى تعلوها حوالى سبعة امتار .

وهنا سقف علوى مبنى فوقها ، يتكون من حجرة مربعة فى الوسط ذات رواق على كل من جوانبها الاربعة ، ويتم الوصول الى هذا السقف عن طريق سلالم فسيحة . ويبلغ ارتفاع هذا الدور ٥ر٢ متر . وهو مسقوف بعوارض خشبية يتخللها البوص وغطيت كلها بالمونة .

ويوجد على حائط الحجرة الوسطى ، بالقرب من السلالم ، جزء من رسم تحت البياض ، ربما كان يمثل موسى ، حيث يبرز قرنان من الراس . وهناك صليب محفور على تاج احد الاعمدة الاربعة الصغيرة التى تساعد على حمل السقف الخشبى . وهذه الحجرة العلوية تستخدم الآن كمسجد ، وقد استخدمت لهذا الغرض سنوات عديدة كما تبين النقوش التى على الجدار .

وذكر لنا البعض ان هذا المبنى كان كنيسة . واذا فحصنا الرسم التخطيطى للمسقط الافقى فاننا لا نجد شيئاً سواء فى الدور السفلى او العلوى يبرر مثل هذا القول . وعلى اية حال ، فان تخطيطه غير عادى ولا يشبه اى كنيسة اخرى موجودة فى اى جزء من مصر او السودان ولذلك فاننى اتردد فى قبول هذا القول . اما وجود قطعة صغيرة من الرسوم الجدارية وعمود ردىء الصنع عليه صليب محفور وهو الشىء الذى ينتقل بسهولة من مكان آخر ، والرمز المسيحى الذى اختفى تحت

جزء من البياض ، فان هذين البندين اللذين لا معنى لهما ليسا الا دليلا واهيا .

والمبنى — بصرف النظر عن ماهيته — يستحق دراسة اضافية ، ويحتاج لاصلاح دقيق وحفريات اضافية والحقيقة ان البقعة كلها والأماكن التى من الواضح انه كانت بها كنائس ، تستحق أن يعاد فحصها علميا ، ويلزم أن تتضمن وادى ليثى ، وهو بقعة أصبحت الآن صحراء ، ولكنها كانت مزروعة يوما ما وقد قيل ان هناك فى هذا الوادى دلائل على وجود مراكز استقرار مسيحية عديدة .

سيد جنا

(اللوحة رقم ٥ ، والشكل رقم ١)

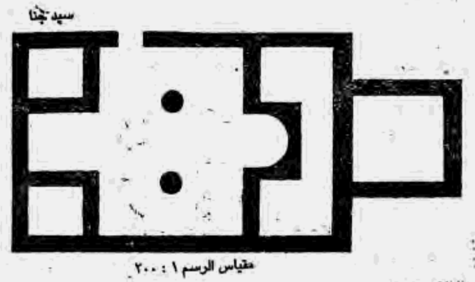
تمت زيارتها فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٩ ، ويطلق السكان على هذا المكان اسم نولوا . وهنا توجد بقايا معبد من الأحجار بناه أمينوفيس الثالث . وتوجد فى الجنوب مباشرة كتلتان سفليتان اسطوانيتان لعمودين من الحجر الجيرى سلبا من المعبد وأعيد تشكيلهما وهما يحددان موقع كنيسة صغيرة ذات تخطيط مثير وغير عادى . وما زالت آثار الجدران الخارجية للمبنى ظاهرة على الارض وهى مكونة من قطع من الحجر الجيرى من نفس المصدر الذى احضرت منه أحجار العمودين .

وتبين لنا اللوحة رقم ٥ التى تحمل الرسم التخطيطى اننا عند موقع مبنى يبلغ طوله الداخلى المتواضع ١٢ مترا . وينتهى الصحن فى الشرق بالهيكل المعتاد الذى تجاوره فى الشمال والجنوب حجرتان صغيرتان يصل بينهما ممر ضيق خلف الهيكل وهناك فى الأساسات التى فى الطرف الغربى دلائل على امكانية وجود سلم فى الركن الجنوبى الغربى يقود الى ممرات أو شرفات فوق الجناحين الشمالى والجنوبى . ولكننى لا أرى فى الخرائب الموجودة الآن اية بقايا للسلم نفسه . ومن المعتاد بالنسبة لبقايا اى مبنى مندثر ان نترك معظم الكتلة التى استخدمت فى بناء السلم بدرجاته مع العمود المركزى الذى يستند اليه ، بصمتها ، كما رأينا فى حالة الدير بوادى غزالى .

ومعظم البناء مندثر ولا نجد دلائل على وجود مدخل الا فى موقع واحد فى الجدار الغربى . وهذا أيضا غير واضح . وكما نرى فإنه من المعتاد

لـوحة رقم ٥

شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

كولب

١

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وجود مدخل فى مثل هذا المكان ، مع مدخل آخر يقابل له تماماً فى الجدار الجنوبى . ولا نشك فى أن العقود كانت محملة على العمودين .

وتقع على يسار المحراب اساسات ترتبط باساسات الكنيســة ومعاصرة لها . اما عن كيفية الوصول للحجرة التى نفترض انها كــانت موجودة هنا سواء اتصلت بالكنيسة عن طريق مدخل ام لا ، فمن يستطيع ان يعرف ؟ ولم اجد حجرة مشابهة فى اى رسم تخطيطى آخر صادفته .

سينارتى

هناك على جزيرة ساى اربعة اعمدة كل منها مكون من حجر واحد ، وهى محاطة بانقاض من الطوب الاحمر المكسور ، يبلغ طول العمــود الواحد أربعة امتار ، ويتراوح قطره ما بين ٥٥ر. الى ٦٠ر. متراً ، وهى من حجر صخرى اخضر . وثلاثة من هذه الاعمدة قائمة ، بينما سقط الرابع على الأرض ، وقد بقى فى موضعه الحالى بسبب الانقاض المحيطة بقاعدته (تمت الزيارة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩) .

وينطبق على هذه الاعمدة بوجه عام وصف الاعمدة الموجودة فى صوبة أو جيلتى . وهى تشكل جزءاً من كنيســة على الطراز البازيليكى . وتختلف التيجان عن تلك التى سبق وصفها (انظر الشكلين رقمى ١٠ ، ١١) وشكلها الخارجى مقبض ونرى تحت الحلية الحــلزونية التى فى الركن ، مجموعة من التكوينات التى تشبه الدروع ، وهى جميعها بارزة ولا تحمل اية نقوش . اما العمود الذى ذكرنا انه سقط من بين الأعمدة المنحنية ، فانه يختلف تماماً من حيث الطراز عن العمود الذى وصفناه .

كــولب

(اللوحة رقم ٥ ، الشكل رقم ٢)

تمت زيارتها فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . وتقــع على الضفــة الغربية للنيل فى مواجهة الطرف الجنوبى لجزيرة كولوبنارتى أو جزيرة كولب ، خرائب كنيسة فريدة ومهمة — ومقطعها الأفقى متفرد على قدر علمى (انظر اللوحة رقم ٥ ، الشكل رقم ٢) .

وتقع الكنيسة على قطعة من الارض المستوية عند قاعــدة بعض الصخور الشديدة الانحدار ، فى موقع بديع المنظر . حقــاً ، نحن الآن فى بطن الحجر . وجميع المناظر اكثر او اقل جاذبيــة نظــراً لامتزاج

الحضارات ، والقرب من النهر ، والارتباط بالصخور المدببة والعارية تماما ، والمنحدرات الصخرية ، ومنحدرات الرمال الذهبية التى تشكل خلفية واطار الصورة . وتبرز صخور قليلة فى وسط قطعة الأرض الصغيرة المستوية ، وقد كونت هذه الصخور منصة صغيرة ، تسندها احجار غير مصقولة ، احضرت من موقع قريب وحجمها غير عادى بالنسبة لهذا النوع من البناء .

ونلاحظ ان الرسم التخطيطى للكنيسة من الطراز المعتاد فيما يتعلق بالطرف الشرقى ، مع وجود غرفتين الى شمال وجنوب حنية الهيكل ، يربطهما ممر . ولكن بقية المبنى تختلف عن الطراز المعتاد . وهذا الجزء من المبنى مغطى كله بقبة يزيد قطرها على سبعة امتار ، بدلا من الصحن والجناحين . وقد تحول المربع الى شكل مثمن الاضلاع حتى يصلح للقبة ، مع بناء عقد عبر كل ركن . وهذه العقود نصف دائرية مثل العقود التى على الوجوه الاربعة الاصلية . وتبرز حنيات غائرة من الجدران الجانبية ، يعطى ترتيب وضعها قدراً كبيراً من الثبات مع استخدام القليل من المواد الخام .





الشكلان رقم ١٠ ، ١١ : تاجا عمودين فى سيقارتى

ولا ندرى الآن ما اذا كان المبنى قد استكمل فى الناحية الغربية أم لم يستكمل ، ولدينا دليل على ان الحوائط الموجودة تمتد بزوايا قائمة مع الحائط الغربى الموجود . وقد استقرت القبة على هذه الحوائط جزئيا ، ولكن لا يمكن الجزم بوجود اى نوع من انواع الصحن .

... ويمتد بروز القبة فى الزاوية الجنوبية الغربية للصحـن المربع .
أما الطبقة الرقيقة من الطوب اللبن التى بنيت منها فقد سقطت فيها ،
ونجد فى (أ) على الرسم التخطيطى دعامة من الطوب اللبن يصعب
القول بأنها كانت جزءاً من المبنى الأصلى . وأعتقد بأن دلائل الانهيار
بدت على هذه القبة فى سابق تاريخها ، وأن الدعامة تمثل الجهد الذى
بذل للمحافظة على بقائها .

والمبنى صغير المساحة ، والعقود تبرز فوق الأرض بحوالى متر
ونصف المتر . والمؤسف أنها فى وضعها الحالى خربة ومهجورة . وباقى
المبنى غير مسقوف فيما عدا امتداد القبو الأسطوانى فوق الحجـرة
التى فى الجنوب الشرقى ، وبقاء جزء من القبة فوق الركـن الجنوبى
الشرقى للصحن المربع والباقى غير مسقوف . ويوجد القليل من حلقات
العقد الذى ينفتح غربا فى حالة غير مستقرة وهناك أحجار قليلة داخلة فى
فراغات الجدران . وشجيرات شوكية هنا وهناك . وسواء كان المقصود
بهذه الاحتياطات طرد الوحوش من الحرم المقدس أو الابقاء على الوحوش
فى الداخل عند حجزها هناك ، فمن يستطيع القول ؟ وعلى أية حال ، فاننى
أعتقد أن المبنى متفرد تماماً فى أسلوبه .

وهناك حطام صغير قائم فى واد صغير على بعد قليل من الكنيسة
التى ذكرناها مؤخراً بالقرب من الشيخ مريح ويقع بالقرب منه القليل
من المنازل الطينية . وهو مازال موجوداً بمقاطعة كولب . وقد زرته فى
١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . ونجد الرسم التخطيطى له فى اللوحة رقم ٦ ،
الشكل رقم ١ .

وينتمى الرسم التخطيطى لكنيسـة كولب الى الطراز (ب) ، الذى
وصفناه بأنه يتميز بوجود قبة كإحدى الملامح الرئيسية ونلاحظ فى الحالة
الراهنة تدمير الطرف الشرقى والناحية الجنوبية حتى الأرض ، ونستطيع
فقط أن نتتبع الخطوط الدالة على الجدران بفحص الأحجار التى شكلت
مسار القاعدة .

ويبلغ عرض الصحن الصغير مترين ، وطول المبنى كله ٨٫٥٠ متراً .
وقد غطى الصحن والجناحان بعقود متوازية من الطوب اللبن . أما الغرفة
التى فى الطرف الغربى للجناح الجنوبى ، فان عقدها قائم الزاوية مع عقد
الصحن . وتقع هذه الحجرة فى الموقع الذى فيه السلالم غالباً . ولكن

لا يوجد دليل هنا على مثل هذا الشيء . ويمكن أن نتتبع أشكالا قليلة ملونة على أجزاء العقود التى مازالت تغطى جزءاً من الطرف الغربى ولكنها للأسف مكسورة . وقد بنيت الكنيسة من الطوب اللبن بأسقف مقبية من نفس الطوب .

اننا الآن فى منطقة الطوب اللبن ولن نلتقى مرة اخرى باعمدة من الحجر الصخرى او شظيات الطوب الاحمر .

كولوبنارتى
(اللوحة رقم ٦ ، الشكل رقم ٢)

زرت جزيرة كولب (آرتى) يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩ حيث توجد بقايا كنيسة صغيرة من الطراز (ب) مبنية كلها من الطوب اللبن فى الطرف الجنوبى من هذه الجزيرة الصخرية الرائعة مجاورة لمجموعة من المنازل الخربة التى يعلوها قلعة خربة او برج مراقبة .

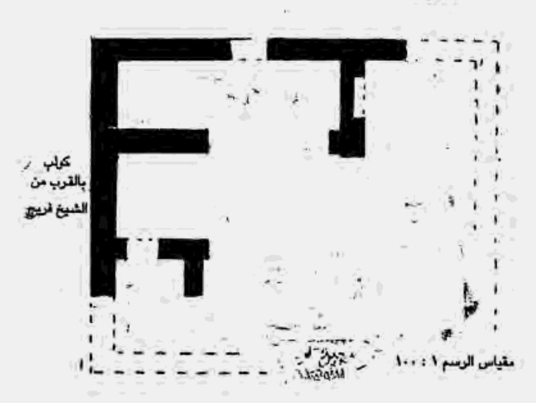
وقد بقيت الحوائط الخارجية حول المبنى بنفس ارتفاعها الكامل تقريباً . وهى شيء عجيب لأن طول المبنى كله من الداخل يبلغ ٦٫٣٠ متراً بينما يبلغ عرضه ٥٫١٣ متراً . ولا يوجد هيكل حسب المسقط الأفقى ، ولكننا نجد فى أماكن عديدة أن المسقط الأفقى فى مستوى الأرض مربع الشكل ، وفى نفس الوقت فان السقف قد تجمع من أعلى ليتحول الى ربع قبة حسب ما كان فى هذه الكنيسة . وقد وجدنا الغرفتين شمال وجنوب الهيكل ، ولكن لا يربط بينهما ممر . وقد رأينا السلم الذى ذكرنا من قبل ان مكانه المعتاد يقع فى الركن الجنوبى الغربى من المبنى ، ولم استطع العثور على دليل فى المبنى نفسه يدل على وجود شرفات جانبية ، واننى أميل الى افتراض ان السلم يقود الى السقف فقط .

ويبلغ اتساع الصحن الصغير اقل من ١٫٥٠ متراً . والمدخلان صغيران حتى ان المرور بينهما غير ملائم . ومما يثير العجب ان تقام خدمة المذبح فى مثل هذا المكان البالغ الضيق ، ولكننا نجد بقايا رسوماته كانت دائماً فى خطر . وتوجد الشرقية بمنظر المسيح فى المجد (*) فى الحائط الشرقى فى الموقع (ا) ، ويوجد على الجدارين الأيمن والأيسر صفان من صور الرسل ذوى الأجسام الهزيلة ، ولكنها محطمة بشكل محزن .

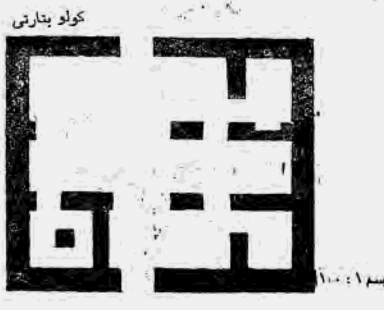
(*) هذا المنظر يمثل السيد المسيح جالساً على كرسى العرش ، وهو المنظر الموجود فى حنية حائط الشرقية بجميع الكنائس — (المترجم) .

لـوحة رقم ٦

شكل رقم ١



شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم ٣



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

چيمى
(اللوحة رقم ٦ ، الشكل رقم ٣)

بالرغم من صغر حجم الكنيسة التى فى چيمى فان مساحتها الارضية اكبر من مساحة الكنيستين اللتين وصفناهما مؤخرا، وهى من الطراز البازيليكى ومقامة على ربوة طبيعية من الصخر ، اعدت فنيا لتشكل ارضية مسطحة للمبنى ، وقد زرتها فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩ . وهى مبنية كلها من الطوب اللبن فيما عدا المداميك السفلية للحوائط فانها بنيت من الحجر غير المنتظم الشكل ومونة من الطين . ويبين المسقط الأفقى أن الدعائم التى فى الداخل غير موجودة وكذلك كافة المعالم الداخلية فيما عدا قاعدة الهيكل وجدران الغرفة التى فى الجنوب منها ، التى ظل جزء من قبوها الأسطوانى باقيا . ونلاحظ انه لا يوجد فى هذه الحالة الممر الذى خلف الهيكل . اما البابان اللذان فى الحائط الخارجى فهما فى موضعيهما المعتادين، ولكن هناك ظاهرة غير عادية فى الطرف الجنوبى ، حيث نجد هنا بقايا حجرة تمتد طوليا من الشمال الى الجنوب وتحمل جزءا من السقف الذى على شكل قبو اسطوانى . وتوجد انقاض كثيرة تزحم ارضية هذه الكنيسة . وربما نتكشف ازالتها عن كيفية الدخول الى هذه الحجرة . وترتفع الحوائط الخارجية ارتفاعا معقولا ، وهى تمثل عينات جيدة للمبانى التى من الطوب افضل مما تعودنا على رؤيته فى بطن الحجر .

جندل إركى
(اللوحة رقم ٧ ، الشكلان رقم ١ ، ٢)

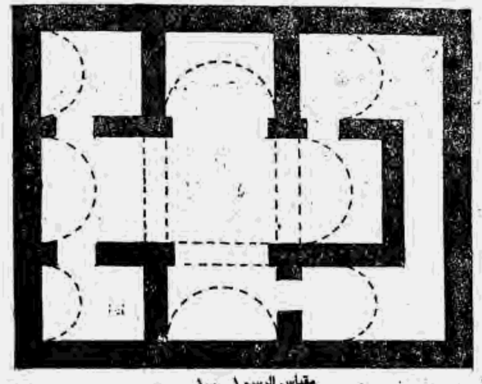
تقع الى شمال المكان الذى ذكرناه آنفا مجموعة من المنازل والكنائس الخربة ، وحوائط بعض المبانى التى لا استطيع تحديد استخدامها . والكنيستان اللتان زرتهما فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٩ والمبنيتان بكاملهما من الطوب اللبن متجاورتان ، وفى حالة دمار شامل . وتنتميان كلتاهما الى الطراز (ب) مع وجود قبتين مركزيتين صغيرتين .

وفى حالة الشكل رقم (١) ، فان مقياس الرسم اكبر قليلا من الآخر . ونلاحظ الحجرتين اللتين فى شمال وجنوب الهيكل ، والممر الذى يربط بينهما ، وأن الهيكل له طرف مربع على مستوى الأرضية . ولما لم اجد دليلا على وجود المدخلين فاننى لم ارسمهما فى الرسم التخطيطى . ومن المحتمل انهما كانا فى الطرفين الغربيين للجدارين الشمالى والجنوبى .

لوحة رقم ٧

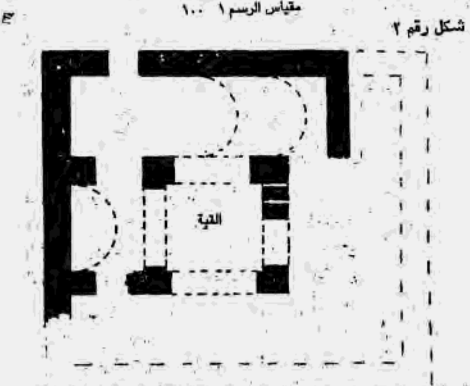
شكل رقم ١

جندل إيركى



مقياس الرسم ١ ١٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وفى حالة الشكل رقم(٢)،نجد أن الحائطين الشرقى والجنوبى مخربان تماماً . ويبلغ الطول الداخلى للمبنى الصغير ٨ أمتار . ونرى مقابل الدعامة التى تمتد فى الاتجاه الشمالى الشرقى والتى تحمل القبة ركيزتين من الطوب اللبن تمثلان موضع اتصال رأسى وقد اضيفتا الواحدة بعد الأخرى . ويتم تسجيل مثل هاتين الدعامتين فى حالات عديدة حتى فى أصغر المبانى . حقاً ، ان الطريقة عديمة الاكتراث التى اقيمت بها هاتان الدعامتان الحقيرتان تثير العجب ! .

ويمكن تتبع تنسيق الاقباء الاسطوانية فى جميع الحالات ، حتى فى الأماكن التى بسقطت فيها مثل هذه الاقباء . وكذلك يمكن أيضاً مشاهدة المساحات القليلة من الرسومات المحطمة .

جزيرة ثيت . ماتوجا
(اللوحة رقم ٨)

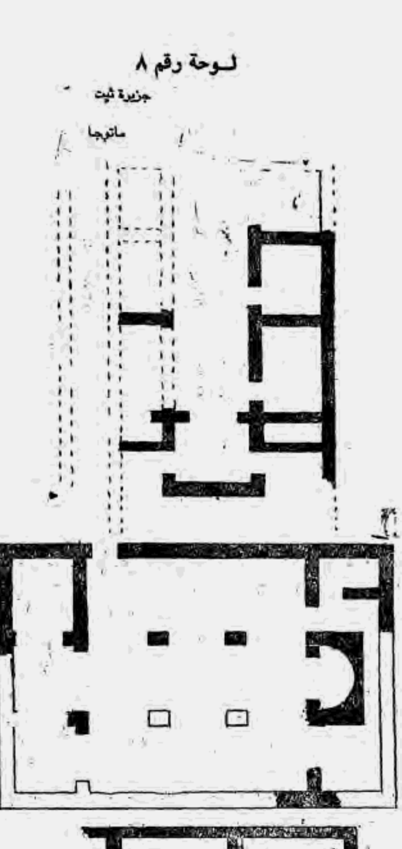
اقيم هذا الحطام الذى يمضى نحو الفناء سريعاً بالرغم من قابليته لمرونة اصله ، فوق جزيرة تقع بالقرب من الطرف الشمالى لبطن الحجر . أما المبانى التى من الطوب اللبن ذاتها فتستوى جميعها بسطح الأرض . وقد زرتها فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩ .

وإذا نظرنا إلى المسقط الأفقى للكنيسة ، فستتبين انها من الطراز البازيليكى العادى ، وأن المبانى ترتبط بها من الشمال . وهناك أيضاً آثار لمبان أخرى فى الجنوب . ويتفق الرسم التخطيطى للمبنى فى الشمال الذى به مدخل مركزى وحجرات تنفتح منه على الأجناب ، مع المدخل والحجرات العرضية التى ذكرناها فى الدير بوادى غزالى .

وتؤيد دراسة الرسم التخطيطى لدير القديس سمعان بأسوان (اللوحة رقم ٢٩) ودير المجمع (اللوحة رقم ٣٩) ، ما نقوله من أننا فى موقع احد الأديرة ــ ولا شك انه دير صغير .

والكنيسة من الطراز البازيليكى الأرثوذكسى الذى يتميز بوجود ممر خلف الهيكل . ويبلغ طول الصحن حوالى ثمانية أمتار . ويقع السلم فى الركن الجنوبى الغربى . وقد وضع المدخلان كالعادة فى الحائطين

لـوحة رقم ٨



الشمالى والجنوبى . والباب الذى فى الشمال يقود الى فضاء ربما كان فناء غير مسقوف . ومن هذا الفناء تخلنا الممر الذى فى اتجاه الشمال ويتفتح منه على كلا الجانبين سلسلة من الحجرات الصغيرة . والجدران التى فى الشمال مندثرة بحيث يصعب تتبع اثرها . وربما يكشف الحفر الدقيق لهذا الدير عن جزء كبير منه . وتقع المبانى بالقرب من الكنيسة من ناحية الجنوب . وهناك بقايا من حائط الدير المحيط بها لأن هـذه المبانى كانت مسورة دائماً .

أبو صـــير
(اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ٢)

تقع شمال الموقع الذى وصفناه عاليه بعض الخـرائب التى ليس لها اسم بقدر ما انذكر . وهى توجد الى الجنوب قليلا من الصخرة المعروفة باسم (أبو صير) .

وكما يظهر من الرسم التخطيطى(الشكل رقم ٢)، فان الهيكل واجزاء من صحن الكنيسة يسهل تتبع اثرها ، ومازال قائماً منها عقدان احدهما فى الموقع (ا) والثانى فى الموقع (ب) . وتجد الحوائط قائمة فوق هذين الموقعين بطريقة تجعلنا نفترض وجود نوع من المعالم المركزية ترتفع اعلى من السقوف فى المواقع الأخرى ، وبدون الحفائر لا يمكن الجزم بنوعية الطراز الذى ينتمى اليه هذا المبنى وربما كان هو الطراز(ا) او الطراز(ب) ؟

ويجوز ان نفترض وجود ممر خلفى يربط الحجرتين الجانبيتين اللتين فى الشمال والجنوب وذلك بالنظر الى الطريقة التى تم بها تشطيب المحراب وتستعمل هـذه الخـرائب الآن كحظيرة للأبقـار والمـاعز . والجـزء السفلى من الحـوائط الذى يصـل ارتفاعـه الى حـوالى مترين من الارضية مبنى من الحجر غير المصقول ، الذى جمع من الصخور القريبة ، وقد بنى باقى المبنى من الطوب اللبن . وقد زرت هذا الموقـع فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٩ .

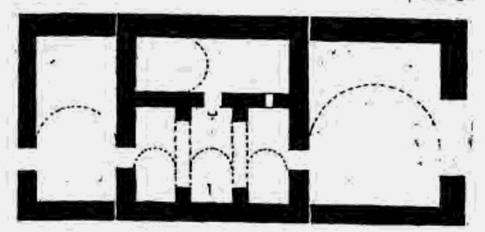
عبد القـــادر
(اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ١)

تشاهد شمال صخرة (أبو صير) وعلى قمة التل ، بناية من الحجر تعرف باسم : الشيخ عبد القادر . وتقع الى الجنوب منهـا مباشرة بجوار النهر انقاض صغيرة من الطوب اللبن . وقد سدت الشقوق فى حوائطها الموترة بالأحجار وبشجيرات شوكية ، ولكن بلا فاعلية . انه

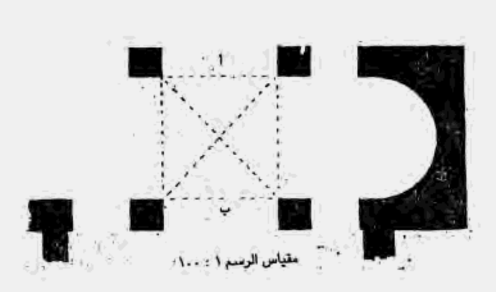
لـوحة رقم ٩

الشيخ عبد القـــادر

شكل رقم ١



شكل رقم ٢



الرسم التخطيطى لهذه البناية الصغيرة فهو موجود على اللوحة رقم ٩ ، الشكل رقم ١ . وخصائص المبنى تختلف تماماً عن خصائص الكنيسة، والكتلة المركزية التى تبلغ مساحتها ٤٠,٥ متراً مربعاً غير ملحق بها اية مبان اضافية على اى من الجانبين . اما الوصلات المستقيمة حيث تتصل الحوائط الأحدث بالكتلة المركزية فانها شديدة الوضوح ، ولكن شكل وحجم البناء متشابه فى كافة الاجزاء بحيث يصعب تخمين الزمن الذى اثبتت خلاله الاضافات .

والحجرة المركزية مستونة باقبياء اسطوانية صغيرة ترتكز جزئياً على عقود . وقد أثبتت حجرة صغيرة متصلة بهذه الحجرة المركزية . ويوجد فى النقطة (ا) على حائط القبو الأسطوانى الأوسط منظر للمسيح فى المجد يغطى الفراغ الموجود كله ، وتلاحظ وجود بقايا من الرسم فى باقى الاجزاء محفوظة بشكل سليم . والحقيقة اننى لم اصادف انقاضاً اخرى فى السودان تحتفظ بالكثير من رسوماتها أو الجزء الاكبر من سقفها . أما القبو الأسطوانى الذى يغطى احد طرفيه الرسم الموجود فى (أ) ، فإنه يكاد ان يسد الحائط ويسمح لنا برؤية الداخل بقدر ما يسمح الدمار الذى لحق به ، فقد أقيم على شكل فانوس صغير أو قبة (ب) وهو المصدر الرئيسى لإنارة هذا الجزء من الداخل أما عن الحجرتين اللتين تقعان على يمين ويسار الحجرة المركزية ، فان كلا منهما مغطاة بقبو اسطوانى من الطوب ، واحداهما — كما يبين الرسم — لها مدخل واسع ومفتوح ، بينما المداخل فى بقية المبنى تشبه الثقوب الصغيرة . وتسد هذا المبنى من الداخل الأنقاض التى ساعدت لحسن الحظ فى الحفاظ على الرسومات . ولا نرغب فى ازالة اى منها ، الا اذا قامت بهذا العمل يدان خبيرتان مع عمل نماذج دقيقة للرسومات .

ولسوء الحظ فإن المبنى الصغير يقع بالقرب من مسار السائح الذى يذهب الى صخرة (أبو صير) . والسائح اشد عداوة للمبانى القديمة من المواطن الجاهل ، لانه يأخذ الرفات والتذكارات ، ويتزاحم فى الحجرات الصغيرة ، ويتجول فيها بالعصى والشماسى والأحذية ذات

المسامير مما يسبب تخريبا أشد . ولا شك فى أنه يعمل ذلك بدون قصد . وقد زرت هذا المكان فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٠٦ .

ولا انسى ان اعبر عن امتنانى للمستر ف. و. جرين الحاصل على درجة الماجستير الذى ساعدنى فى قياس المبانى التى وصفتها ، والبروفيسور أ. هـ. سايس الذى صاحبنى مع المستر جرين فى رحلتى الى السودان .

الفصل الرابع

وصف الرسومات ـ من خلفا الى قيلة

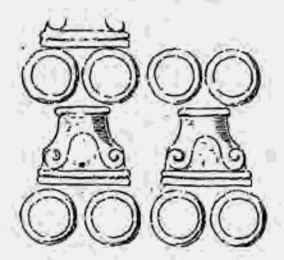
وصلنا الآن الى الطرف الشمالى لبطن الحجر ــ الشلال الثانى ــ وقد اخذت سلسلة الرسومات التخطيطية التالية من المبانى القديمة التى وجدت ما بين الشلال الثانى والشلال الأول . واستخدمت الذهبية لتنفيذ هذه الرحلة على أحسن وجه فى مناسبتين .

ويوجد على الجزر التى فى مدخل الشلال العديد من بقايا المبانى، ومن المحتمل أن يكون بعضها مسيحياً . ويقوم الدكتور راندال ماكايفر بدراسة هذه المنطقة حاليا ، ولا شك فى أنها ستفحص فحصاً شاملا بين يديه المدربتين (١) .

وبعد اتجاهنا الى الشمال من خلفا ، توقفنا أولا فى ارجين ، وسرعان ما لاحظنا بعض الخرائب على حافة النهر بالقرب من تلك المكان ــ اى حوالى عشرة أميال شمال خلفا ولكن على الضفة الشرقية. وبعد فحص هذه الخرائب اتضح أنها بقايا مستودع لحفظ الفخار (الشكل رقم ١٢) . ووجدنا أن النيل قد نحر فى الضفة حتى صارت

---

(١) نشرت جامعة بنسلفانيا بعض النتائج . انظر كتاب :
Churches in Lower Nubia, by Geoffry S. Mileham, edited by D. Randall MacIver MCMX.



شكل رقم (١٢) : ارجين – تيجان اعمدة من الفخار

شديدة الانحدار مما كشف عن مجموعة كبيرة من تيجان الأعمدة والمواسير الفخارية التى كومت فوق بعضها بترتيب منظم . وقد وضعت بعض هذه المواسير متوازية مع النهر ، بينما وضع بعضها الآخر فى وضع عمودى على المجرى . واستطعنا ان نتابع طبقات عديدة منها . وكانت تيجان الأعمدة مطوية فوق بوهة المواسير وقد وضعت متجاورة بحيث تغطى المواسير طولياً . اما مادتها فهى مصنوعة من صلصال جيد محروق تماماً ، حتى انها تكشف عن لون أحمر لامع عند كسرها ، ولكن الطبقة السطحية منها رتيبة وضاربة الى البياض . ويبلغ طول اطول ماسورة من هذه المواسير المجوفة ٥٨ر. متراً وكان احد طرفيها كاملا .

ولم تكن تيجان الاعمدة الرديئة الصنع متطابقة مع بعضها البعض ، كما كانت آثار الاصابع ظاهرة فى داخلها . ولا اظن انها صنعت فى قالب . ان صناعة تاج العمود الذى له قاعدة فى الجزء الأسفل منه ، وتجاعيد او قرون فى الاركان بحيث يحمل كتلة مربعة فوق العمود المستدير المتقلع ، هى النوعية الموجودة فى اشغال الحجارة بجميع المبانى المسيحية المصرية ، وفى كافة ارجاء اوربا ، ويبدو انها احدى الاشكال الواضحة التى تطورت بشكل طبيعى حيثما تطلب الامر مجابهة الصعوبات .

اما المواسير التى يتضح من الوهلة الاولى انها كانت ستؤخذ لعمل الاعمدة التى توضع فوقها التيجان ، فانها لا تناسب هذا الغرض جيداً لان قطرها كبير . وغطيت من الخارج افقياً بعلامات اصابع الصانع . ولا بد انه كانت هناك كمية كبيرة من تيجان الاعمدة والمواسير الموضوعة على جانب النهر ، وقد تناثرت شظيات وقطع من الطوب الاحمر ، وكمية من الفخار المكسور على مدى خط السير جنوباً لمدة عشرين دقيقة ولم نر اى دليل على وجود قمينة للطوب او بقايا فحم محترق او حوائط عليها علامات الاحتراق .

وكانت تيجان الأعمدة والمواسير مثبتة ومملوءة تماما بالطمى الذى يتميز هنا بالصلابة .

ولا بد ان الفخار قد جلب الى هذه المنطقة ووضع فى أكوام حتى يتم نقله . وربما نسأل انفسنا عن مكان صناعته ، ومن اين جاء الوقود لحرقه ، وأخيراً الى اى الاسواق يتم نقله ؟

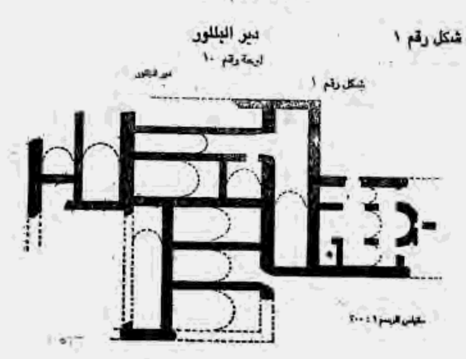
دير البوهل او البللور

(اللوحة رقم ١٠ ، الشكل رقم ١)

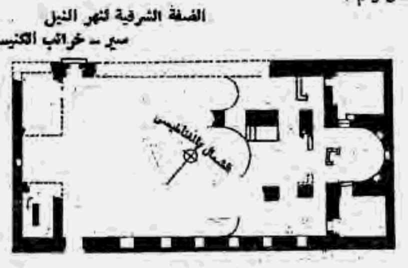
يقع هذا المكان على الضفة الغربية شمال ارجين قليلا ، وعلى بعد حوالى ربع ميل من النهر ، حيث ترتفع الأرض قليلا وهو مبنى كله بقوالب الطوب اللبن التى يبلغ حجم العديد منها (٣٥ر٠ × ١٦ر٠ × ١٧ر٠ متراً) اى حوالى ١٤ × ٢¼ × ⅞ ٥ بوصة .

ولا بد ان معظم الحوائط المتبقية ، قواعد لطبقات عليا من المبانى التى زالت فى معظم الاماكن . ونلاحظ ان الحجرات فى غالبية الاحوال بدون ابواب . وقد كانت هذه الحجرات مسقوفة باقبية اسطوانية ومن السهل رسم تخطيط الكنيسة ذات المبنى الصغير والتى ما زالت ارضيتها سليمة . ولا يوجد لدينا علم مؤكد عن الكيفية التى تفضى بها على الحجرات التى تقع غرب الكنيسة فوق الطابق الذى تحت مستوى الارض اى البدروم . وتوجد صفوف من القلايات او الحجرات الصغيرة ذات اقباء والتى ليست بها نوافذ فيما عدا ثقباً صغيراً فى القبو مثلما يوجد فى معظم المبانى التى مازالت قائمة فى هذا الجزء من النوبة ، والمداخل صغيرة بوجه عام بحيث لا يستطيع الانسان ان يمر من خلالها الا منحنياً ومنحرفاً بالعرض . ومن غير المستطاع ترتيب عناصر التخطيط ،

لـوحة رقم ١٠



شكل رقم ٢



وما زلنا نشاهد فى منازل الوقت الحالى نفس الحاجة الى الترتيب اللائق .

ان دراسة الرسومات التخطيطية السابقة التى قدمناها للقارىء ، ستحول دون اصابته بالدهشة ازاء الحجرات الشديدة الضيق ، أو المقاييس المحدودة للمبانى . وسنرى أن الرسم التخطيطى للكنيسة عادى وينتمى الى الطراز (آ) . ويقع فى الجهة الشرقية للهيكل الذى لا يظهر من الخارج لانه قائم بين حجرتين صغيرتين . وهاتان الحجرتان بحالتهما الراهنة تظهران بوصفهما وصلتين مستقيمتين فى البناء المبنى من الطوب وقد تم تكبيرهما . وفى غرب الهيكل يقع الصحن المكون من صالتين صغيرتين وبه عقدان ينفتحان على الجناحين الشمالى والجنوبى اللذين تغطيهما شرفتان ، ويتم الوصول اليهما كالعادة عن طريق سلم فى الركن الجنوبى الغربى . أما صالة الصحن التى فى أقصى الغرب فهى تمثل جسراً على مستوى أرضية الشرفتين ، حتى يمكن للسلم الذى فى الركن الجنوبى الغربى ان يخدم الشرفة التى فوق الجناح الشمالى .

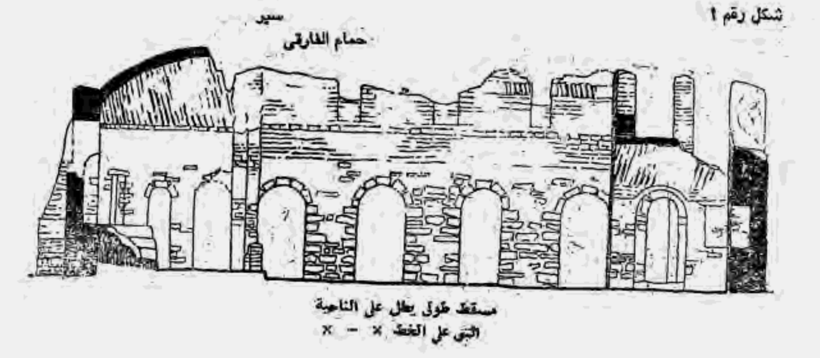
واجازف بالتفكير فى وجود دير بين المبنى الذى وصفته الآن ، وبين النهر حيث توجد بقايا منازل مبنية من الطوب اللبن . وهذه تسمى منازل بوهل الذى كان رجلا مهماً فى سابق الزمان . وتتناثر شظيات من احجار المقابر التى لاحظت وجود حروف يونانية فوق حجر منها ، وحروف اخرى بالخط الكوفى على حجر آخر . أما الفخار الذى وجدنا العديد من شظياته فهو متعدد الأضلاع . وقد زرتها فى ١٣ يناير سنة ١٨٩٩ .

إن هناك بالقرب من الخرائب روابى مستطيلة ذات ارتفاع ملحوظ، تبدو لأول وهلة كأنها رواب رملية ولكنها فى الحقيقة صفوف من أشجار الطرفاء اصبحت الآن يابسة واختفت تماماً فى الرمل . ونرى مثل هذه الروابى فى اماكن عديدة ؛ مما يدل على انه كانت توجد زراعة وسكان فى يوما ما ، لا يزيد عددهم كثيراً عن العدد القليل من الناس الذين يعيشون الآن فى هذا الجزء من الوادى .

حمام الفارقى
(اللوحة رقم ١١)

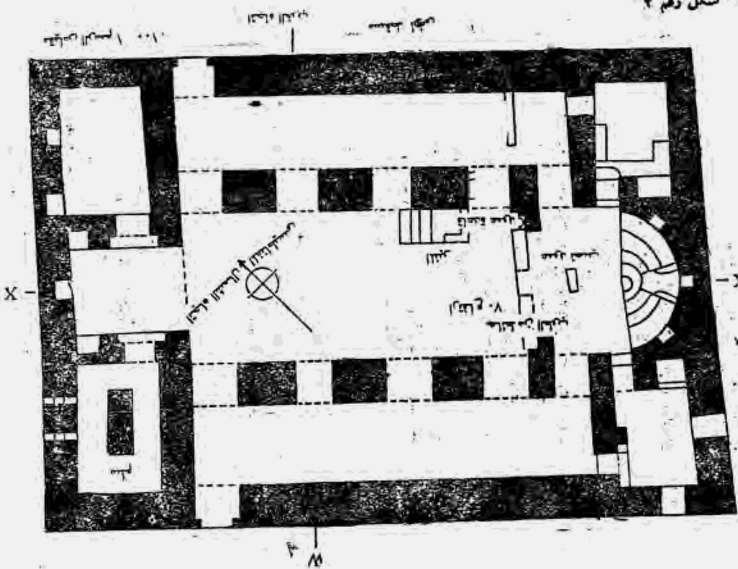
وتاتى الى مديرية سير فى شمال ارجين . وبين هذه الأماكن يوجد واد صغير يقع مباشرة جنوب المبنى الذى سنتقدم وصفه . وكلمة الفارقى فى لغة البربر تعنى وادياً صغيراً كما نرى هنا .

لـوحة رقم ١١



مسقط طولى يطل على الناحية
البحرى على الخط × - ×

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ١٠٠
اتجاه القبلة
مسقط أفقي
حائط من الطوب
ارتفاع ٧٠
المنبر
قاعدة عمود
سلم

وقد جرت العادة بين الفلاحين على تسمية العديد من المبانى القديمة باسم « حمام » خاصة اذا كان شكل المبنى مستطيلا . ولذلك فان لدينا هنا تركيبة من كلمة عربية وكلمة بربرية . وهناك سبب آخر لتسمية هذا المكان باسم « الحمام » فقد كانت توجد بالقرب منه حتى وقت قريب عين دافئة ، ولأجل هذه العين جاء الناس من بعيد وقريب مع حميرهم وجمالهم حتى دمروا المحاصيل الخضراء التى تخص صاحب الارض المحيطة بالمكان وكان اسمه موسى حرى الذى عندما فكر فيما عاناه بما فيه الكفاية قرر تدمير العين المعدنية ، ونفذ ذلك بالفعل حيث طمرها بالأحجار ، وظلت كذلك حتى هذا اليوم (١٥ يناير سنة ١٨٩٩) ولم يعد يأتى اليها احد . وبقدر ما استطعت أن اجمع من معلومات فان ذلك حدث منذ حوالى ثلاثين أو اربعين عاماً .

ولا بد هنا من ذكر أسطورة ترتبط بهذا المكان . لقد دار حديث الناس هنا حول اربع عيون معدنية على ضفتى النيل . ولست متأكداً من اسم العين الجنوبية ولكن العين التى تليها هى بئر عكاشة ، وتأتى بعدها العين التى نلاحظها الآن وهى الفارقى ، واخيراً حمامات حلوان بالقرب من القاهرة . وهم يرون أن اصل هذه العيون غير مغلف بالغموض وهو كما يلى : عندما اراد سيدنا سليمان أن يتيح لسكان هذه المناطق امتلاك حمامات ساخنة ارسل — بقوته فى فنون السحر — شخصين الى كل موقع لتحريك النار المركزية . وكل زوج (اثنين) من هؤلاء الوقادين كان يتكون من واحد اصم والآخر اعمى ولذلك فهما لا يستطيعان التفاهم مع بعضهما أو مع العالم الخارجى بشكل جيد . وقد استخدمت الفعل المضارع عن عمد لأن هؤلاء الوقادين لا يعرفون أن سيدنا سليمان قد مات ولذلك ظلوا يقلبون النيران ، وهذا هو مصدر الماء الساخن .

ويعتبر المبنى الموضح على اللوحتين رقم ١١ ، ١٦ واحداً من احسن الخرائب السليمة فى النوبة . وكالمتبع فان الهيكل قد تحول الى الشرق ، والأبعاد الخارجية للمبنى هى ١١٫٨٠ × ١٦٫٧٠ متراً اى (٤٠ × ٥٥ قدماً . ويبلغ اتساع الصحن ٣٫٨٢ متراً . وينتمى الرسم التخطيطى للطراز (أ) .

أما الحوائط التى يصل ارتفاعها الى ٤٫٥٠ متراً فوق الأراضى فقد بنيت من الأحجار غير المنحوتة التى جرى اختيارها من بين تلك الملقاة على السطوح الصخرية المحيطة ، ثم تم بناؤها بالمونة المكونة من طمى النيل ، ثم بنيت فوق هذا المستوى الجدران والاقباء من قوالب الطوب اللبن المجفف فى الشمس . أما البناء الحجرى داخل الكنيسة فهو فى مثل خشونة الحوائط الخارجية ؛ ولكنه مغطى بطبقة كثيفة من الجص .

والجناحان لهما قبوان أسطوانيان من الطوب . ومازال القبو الذى فوق الجناح الشمالى باقياً كما أن القبو الذى فوق الهيكل مازال قائماً . أما الحائط الجنوبى من الطرف الشرقى الى السلم فقد تحطم . وكما هو واضح فى المقطع الطولى فى الشكل رقم(١)، فان الطرف الغربى للصحن قد بنيت فوقه شرفة فوقها نافذة لا بد انها كانت المصدر لانارة الداخل . وهناك أربع نوافذ صغيرة على كل جانب من الصحن قد انفتحت فى الجناحين العلويين أو الشرفتين . وهذان بدورهما لهما نوافذ أخرى صغيرة فى حوائطهما الخارجية . وحتى فى مصر فان الضوء الذى يدخل الى الكنيسة من هذه النوافذ كان خافتاً جداً . وبينما تكونت هذه النوافذ الصغيرة الا أنها ليست الا وصلات غير كاملة بين الصحن والشرفتين اذا كان المقصود هو استخدام هذا الأخير .

وينفتح الهيكل نحو الصحن بعقد يستند على عمود منعزل فى كلا الجانبين ولا بد أن هذين العمودين قد سقطا ، انظر كذلك الشكل رقم ٢ فى اللوحة رقم ١٦ .

وقد صنعت فى حائط الجناح ثلاث حنيات موضوع تحتها بقايا مقعد فى الوسط واثنين على الجانبين (١) .

---

(١) انظر الرسم التخطيطى لكنائس (أبو سيفين) ص ٧٨ ، الانبا شنودة ص ١٣٦ ، بو (أبو سرجة) ص ١٨٢ وجميعها فى كتاب بتلر : Ancient Coptic Churches .

اضافة من المترجم :

قام مترجم هذا الكتاب بترجمة كتاب بتلر المذكور بجزأيه تحت اسم : الكنائس القبطية القديمة فى مصر — وهو منشور فى نفس هذه السلسلة (الألف كتاب الثانى) — (المترجم) .

وهناك بابان صغيران كل منهما على أحد الجانبين ، ينفتحان على حجرتين صغيرتين بجوار الهيكل تشكلان الشكل المربع المعتاد بالنسبة لهذه الكنائس من الخارج . ومازالت آثار الزخرفة ظاهرة على الجص الذى فى الداخل ، ممثلة فى اشكال صفراء أو حمراء مرسومة على ارضية بيضاء . وقد وجدت الصبغة المستخدمة فى هذين اللونين فى بعض الحالات جاهزة للاستخدام السريع : اللون الاحمر فى كتل صغيرة مثبتة فى الحجر الرملى والأصفر فى شكل عروق .

وهناك الى الجنوب من الكنيسة التى وصفناها لتونا ، ومنفصلة منها بالوادى الصغير الذى كانت به العين الحارة ، توجد مجموعات من المنازل المبنية بالطوب اللبن مغطاة بتلال من الرمال ، حتى ان الادوار الأرضية بقيت بكاملها تحتها . وبينما تقف الكنيسة منفصلة تماما فمن غير المحتمل أن تكون هذه هى المبانى الديرية . ويمكن تتبع اثر الجبانة غرب هذه المنازل مباشرة وقد تميزت القبور بحلقة من الأحجار الصغيرة حول كل منها . وهناك بقايا منازل أخرى فى الشمال (١) .

سبي
(اللوحة رقم ١٠ ، الشكل رقم ٢)

وبعد ذلك اتينا الى كنيسة بالقرب من سبي قائمة على الصخرة التى ترتفع قليلا عن النهر على الضفة الشرقية . وينتمى المسقط الأفقى الى الطراز (أ) . وهى فى حالة دمار شامل ، زرتها فى ١٧ يناير سنة ١٨٩٩ . ولا يظهر من الحائط الشمالى فوق سطح الارض الا ٥٠ر٠ مترا ، وقد أختفى الهيكل تقريبا ، بينما سويت البائكة الجنوبية بسطح الأرض . أما الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى فهو من الناحية الأخرى سليم حتى ارتفاع معقول ، وبه صف من الحنيات او المقصورات .

ومن السهل تتبع القاعدة المكسورة الخاصة بقوس النصر الـذى يقود الى الهيكل ، بينما يرقد تاج احد الاعمدة على الأرضية بين الأنقاض . وعلى غير المعتاد فان الحوائط الخارجية للكنيسة مبنية من الطوب اللبن

(١) منذ كتابة هذا الكلام قام بحفر منطقة الكنيسة جيدا مستر مايلهام الذى ادين له وللمستر ماكايفر بالرسم التخطيطى والقسم الذى طبع هنا . وقد اطلقا عليه اسم الكنيسة التى فى مقابل تبيرة .

المجفف فى الشمس ، والمأخوذ من الأرض التى فى أعلى الموقع . وقد وضع صف من الأحجار المسطحة غير المنحوته خلال الجدران حتى مستوى يتساوى مع مستوى بروز عقود الجناح . ولا توجد أنقاض لية منازل قريبة منها . ويقف المبنى — كما كان دائماً — منفرداً ومعزولا (١).

سير شرق
مدينة مهجورة
(اللوحة رقم ١٢)

تقع هذه المدينة على الضفة الشرقية للنهر (زرناها يوم ١٧ يناير سنة ١٨٩٩) . ويبين الرسم التخطيطى لهذه المدينة تقارب ثلاث كنائس صغيرة مجمعة (سنجد أمثلة أخرى) ، وكيف شغل السكان المسيحيون هذا الجزء من النهر تماماً ، بحيث تملكوا بقمة مغلقة من الواضح أنهـا تنتمى الى عصر سابق على التعرف الى الديانة المسيحية . لقد مضت مصر القديمة ، وجاءت النوبة المسيحية ، ويبرهن فحص الجدران المحيطة على هذه الحقيقة (٢) .

(١) يطلق عليه مستر مايلهام اسم « سير الشرقية ــ الكنيسة الجنوبية » .

(٢) اننى اجازف ببيان اسباب الاعتقاد بان هذه الحوائط اقدم كثيرا من المنتج المسيحى ، ولكننى احتفظ بها فى مذكرة لان الموضوع متخصص الى حد ما وغير مرتبط بالموضوع الذى بين ايدينا ، وربما كانت هذه الاسباب تهم علماء الاثار المصرية .

اما الموقع فهو منحدر مدبب يتجه نحو النهر . والحوائط سميكة اذ يبلغ سمكها حوالى ٣ امتار ومبنية من الطوب اللبن المجفف فى الشمس الى درجة الصلابة . ومتوسط حجم القالب ٣٢ر٠ × ١٥ر٠ × ٩ر٠ وقد وضع الكثير من الواح الخشب فى البناء للمساعدة على ربطه ببعضه البعض ، وتظهر حصيرة من حشائش الحلفاء فى الوصلات المبنية من المونة الطينية عند كل صف خامس ، وعند الارض المستوية وضعت المبانى فى شكل صفوف افقية اى بطول الواجهة الشرقية للمدينة ، وعند طرفى الحائطين الشمالى والجنوبى . وعند انحدار الأرض كانت صفوف البناء تنحدر معا بزاوية تبلغ ٢٠ درجة مع الافق ، والصفوف غير متموجة كما هو الحال فى بعض الحوائط الضخمة المبنية بالطوب مثل تلك التى تطوق معابد الكرنك او تلك التى فى الكاب . وتوجد فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى بقايا برجين بارزين . ونجد كذلك خندقا محفورا فى الصخر يمكن تتبعه بسهولة فى الجوانب الجنوبية الشرقية والشمالية .

ونلاحظ ان هناك على الرسم طريقا يقود الى الحائط الشمالى ، ولكن لا توجد اية بيانات عن وجود بوابة فى هذه المنطقة . والحقيقة ان المنحدر الذى بنيت عليه الحوائط شديد الانحدار هنا ، مما يجعل من الصعب انشاء طريق او بوابة فى هذا المكان .

اما الطريق القديم الذى يمكن تتبعه بجوار النهر على شكل متصل من الشلال الاول الى الشلال الثانى فانه يقع قريبا من الماء وهو موضح على الرسم . وكانت المدينة او القلعة محمية من ناحية النهر عن طريق حائط او خليج غير واضح . ونرى مكانه =

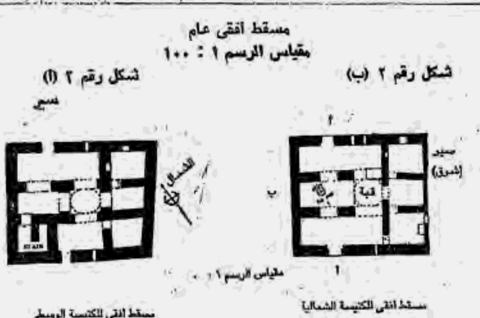
لوحة رقم ١٢

سبو شرق

الكنيسة الشمالية
سبو
خندق محفور في الصخر
واجهة حجرية
الشمال المغناطيسي
مارس ١٩٠٩
الكنيسة الوسطى
الكنيسة الجنوبية

مسقط أفقى عام

مقياس الرسم ١ : ١٠٠



مسقط أفقي للكنيسة الشمالية

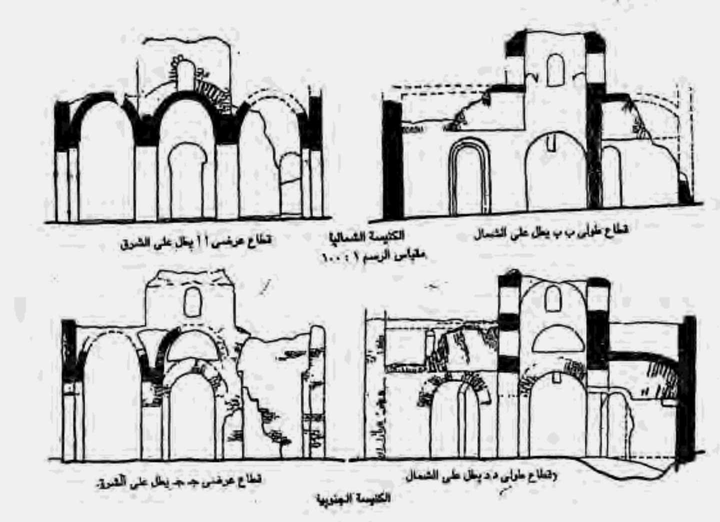
مسقط أفقي للكنيسة الوسطى

لـوحة رقم ١٣

شكل رقم ١

الكنيسة الجنوبية
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم ٢



قطاع طولي ب ب يطل على الشمال
قطاع عرضي ا ا يطل على الشرق
الكنيسة الشمالية
مقياس الرسم ١ : ١٠٠
وقطاع طولي د د يطل على الشمال
قطاع عرضي جـ جـ يطل على الشرق
الكنيسة الجنوبية

وتوجد بقايا كنيسة مبنية من الطوب اللبن فى وسط الفناء المسيج بالسور وفوق المنحدر . (انظر الشكل رقم ٢ (أ) باللوحة رقم ١٢) : وهذا المبنى صغير الحجم وتبلغ مساحته من الخارج ٩ × ٧٫٧٥ متراً وهو ينتمى الى الطراز (ب) وفى وسطه قبة . ويبدو أن هناك شرفتين فوق الاقباء الأسطوانية التى تغطى الجناحين ، كما يوجد سلم فى الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى . ويلاحظ على مستوى الأرضية أن الكنيسة لا تنتهى بهيكل فى الطرف المتجه الى الشرق .

ويبين الرسم التخطيطى للمدينة وجود كنيستين أمام تلك التى أشرنا اليها . ويمثل الشكل رقم ٣ (ب) فى اللوحة رقم ١٢ الشكل التخطيطى لما هو خارج الجدران فى الجانب الشمالى . وينتمى مبنى هذه الكنيسة الصغير الذى تبلغ مساحته ٩٫٥٠ × ٧٫١٥ متراً الى الطراز (ب) ويتميز بوجود قبة صغيرة فوق الطرف الشرقى للصحن . والباقى مغطى بقبو اسطوانى وبدون سلم . ويبلغ عرض بعض الأبواب ٠٫٤٥ متراً (١٨ بوصة) مع شدة انخفاضها بحيث يصعب المرور منها إلا بالانحناء . وقوالب الطوب الكبيرة تبلغ أبعادها ٠٫٣٨ × ٠٫٢٠ × ٠٫٠٧ متراً أى أنها تحسب بلاطات اكثر منها قوالب من الطوب ولكنها رديئة الصنع وفى ذلك تختلف عن قوالب حائط المدينة اختلافاً كبيراً . وهنا نجد أن المداميك قد وضعت بطريقة الحل والشد التى نراها فى المبانى المصرية ، فالقوالب التى فى حوائط الكنيسة توضع فى مداميك تبادلية من الصفوف الطولية والعرضية ولا توجد بها اربطة من الواح الخشب ، ولا حصائر من الحلفاء مثل تلك التى توجد فى المبانى المحيطة .

= بقايا بناء حجرى فى اجزاء موازية للنهر . أما بقية الاجزاء فانها قواعد حجرية للحائط المحيط ، وبارزة الى حافة الماء ويمكن تتبع مسارها .

ومن الملامح المعتادة الطريق الذى يخترق المدينة موازيا للنهر وهو فى حالتنا هذه يقع عند الطرف الجنوبى للمنحدر ، وقد انتقل أعلى الماء . وتوجد اربطة من الواح الخشب ، وحصائر الحلفاء الموضوعة فى المونة وقوالب الطوب الكبيرة . فى حوائط كل اثر بعيد مثل تلك الموجود فى أوسرتسين ، وفى حوائط سمنة وموورجاس . ونجد فى هذه الاماكن خاصة فى غرب سمنة ان القلاع ليست مجرد حوائط ولكن هناك خنادق وأبراج نائتة للدفاع الجانبى .

ولم يتم فحص موقع سير بعناية . فربما وجدنا تحت بقايا المنازل اثار معبد مصرى أو بعض الاشياء التى تساعدنا على التعرف على الفترة التى بنيت خلالها هذه الحوائط . ولابد ان نتذكر ان الاشياء فى مصر تتغير بسرعة البرق وربما ادى رفع النهر عدة اقدام بالطرائق الاصطناعية الى طمس المواقع القديمة .

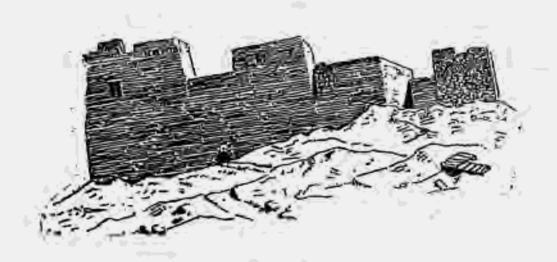
وهناك قطعة مربعة من الجرانيت الأحمر يبلغ طولها ١٫٢٠ مترا وعرضها محدود ، راقدة بين قوالب الطوب المكسورة فوق أرضية الكنيسة الجنوبية ، وقد نحت سطحها العلوى مكوناً حوضاً طويلا ضحلا . اما القمة والطرفان والأجناب فكلها ناعمة ، والقاع غير مصقول . ولا توجد عليها آثار كتابات هيروغليفية أو اية نقوش ، ولا تتخذ شكل جرن المعمودية .

اما جانب التل الصخرى الذى بنيت عليه المنازل فهو مكسور لأسباب طبيعية من جهة ، ولأسباب فنية من جهه أخرى ، وقد تحول الى ممرات تكسبت المنازل بقبلها وفوقها بشكل متقارب بحيث أصبح من الصعب معرفة كيفية الاقتراب منها . وهى تتكون من طابقين او ثلاثة . اما السلالم الصغيرة التى ترتفع حول اعمدة مركزية مربعة فهى كما نراها فى الرسم التخطيطى للكنائس . وهى سليمة فى حالات عديدة ، وجميع الحجرات لها سقوف مقبية من الطوب . اما مبانى المنازل المقامة من الطوب فهى تشبه مبانى الكنائس . ولن اخاطر بإبداء الرأى فيما يتعلق بأثريتها . ولا تبرهن ابعاد القوالب واسلوب عدم المبالاة الذى وضعت به على ان المبانى التى صنعت منها كانت بالضرورة مسيحية او عربية ، فلا بد أنها أكثر ايغالا فى القدم . ان كل شخص يستطيع صناعة قوالب الطوب من طمى النيل القريب المنال كما هى الحال حتى يومنا هذا ، ولكن عندما تصبح الحكومة هى التى تدير العمل المطلوب تنفيذه ، فإن المادة التى تستخدم تكون إما من الحجر أو الطوب الجيد الصنع والتجفيف .

وهناك دليل على ان المنازل لم تبن للمرة الثانية حيث نلاحظ ان المنازل التى نشاهدها الآن قائمة على الصخر وليس على كتلة من الانقاض المتخلفة من هدم منازل سابقة عليها . والشيء المعتاد هو اكتشاف حوائط باقية قائمة على أكوام الطوب المكسور والفخار المهشم — التى يبلغ سمكها عدة أمتار — أو بارزة من بينها . ولا يوجد الا القليل من الفخار العربى المتناثر هذا ان وجد اصلا ، ولا توجد كذلك كومة تراب خارج المدينة بطولها مثل تلك الموجودة عند قصر ابريم .



شكل رقم ١٣
سير : الكنيسة الجنوبية من الجنوب الغربى



شكل رقم ١٤

فرس

وقد تركز المسيحيون فى قلعة مهجورة مبنية منذ زمن طويل ، أو لعلهم واصلوا الحياة فى المنازل التى بنيت من قبل ، وهو شىء بعيد الاحتمال ولا بد ان كل ذلك تم هجره عندما اكتسح الاسلام بلاد النوبة ، وحينئذ شنت اعتداءات عديدة .

والفخار الذى يتم العثور عليه من النوع المضلع الذى يوجد فى المناطق التى شغلت قبل الفتح العربى . وكذلك يوجد أيضاً فخار فاخر مصنوع من الطين الناعم ذى اللونين الأحمر اللامع والاسود .

ولا يوجد دليل على ان الكنائس قد تحولت الى مساجد ، كما أننا لا نجد بقايا اى مبنى يشبه مسجداً ، ويؤيد ذلك احتمال ان يكون المكان قد هجر فى وقت مبكر ربما نتيجة الفتح العربى لبلاد النوبة . ونجد على اللوحة رقم ١٢ رسماً تخطيطياً للكنيسة الجنوبية وهى رقم (ج) على الرسم التخطيطى للمدينة باقسامها ، مع اقسام من الكنيسة الشمالية وهى رقم (ب) على الرسم التخطيطى للمدينة . اما الشكل رقم ١٣ الذى سبق أن أوردناه فهو يقدم لنا منظراً للكنيسة الجنوبية . والرسومات تتحدث عن نفسها .

فرس

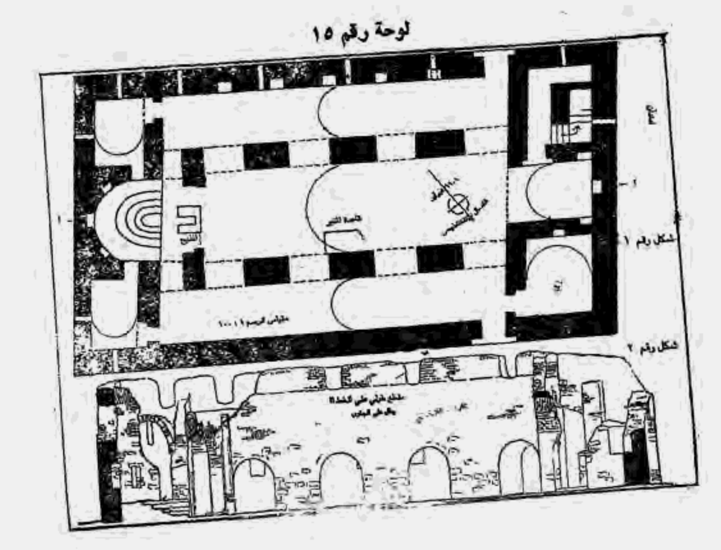
(اللوحة رقم ١٤)

يقع هذا المكان شمال سير قليلا ، على الضفة الغربية للنيل . وفوق ربوة مرتفعة قليلا توجد مجموعة من المبانى بينها خرائب كنيسة فى الركن الشمالى . وهى مهدمة بشدة حتى ان الحفائر وحدها — وهى التى لم استطع القيام بها — قد تقدم لنا المسقط الأفقى . والمكان شديد الاهمية وقد احاطت به بقايا حائط من الحجر . ولا تقع الكنيسة والمبانى الملحقة التى ذكرناها فى منطقته وحدها فقط ، بل ايضا أجزاء من الأعمدة الواضح أنها تنتمى لمعبد مصرى .

وقد شاهدنا فى الرمال قطعتين من تيجان الأعمدة المصنوعة من الفخار شبيهة بتلك التى وصفناها سابقاً ، وقد قيل لى انه قد عاش فى فرس فى سابق الزمان الملك كيكلان بن نيوكل ابو الميلة جد الالف . وتقول الحكايات الشعبية انه كان نصرانياً . وحتى هذا اليوم فان


خرائب دير
لوحة رقم ١٤
مباني من الطوب سوداء
مبانى حجرية مشروحة
مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠
خرائب دير وبقايا كنيسة ق ١
نهر النيل
ساقية
ا- مطلع إلى البرج
ب- بقايا معبدمصرى
جـ- مبان قبطية من الطوب
د- بقايا كنيسة
هـ- مبانى قبطية من الطوب

لوحة رقم ١٥



الجيران عندما يريدون أن يسبوا أحـد سكـان فـرس فإنهم يدعـونه (ابن كيكلان) بما يعنى أنه ليس مسلماً خالصاً . والرسم الموجود فى اللوحة رقم ١٤ يبين لنا الطبيعة القديمة للمبنى وذلك عندما نطـل على الطرف الشمالى للقصر من الكنيسة المبينة على الرسم بالحرف (أ) (١) .

دير القرش (ادندان)
(اللوحتان رقم ١٥ ، ١٦)

يقع هذا الدير على الضفة الشرقية مقابل فرس فوق هضبة صخرية عارية ، بدون اثر لحائط يحيط به أو منزل قريب منه . (زرته فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩) .

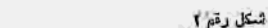
وينتهى المقطع الراسى إلى الطراز (ا) ، وما زال العمودان اللذان يدعمان قوس النصر فى موضعهما ، وهما مصنوعان من الحجر الرملى الأحمر صنعاً رديئاً . أما تاجا العمودين فانهما واقعان على الأرض . وهناك حلية حلزونية الشكل فى كل ركن . كما أن هناك علامة فى منتصف الطريق بين الطرفين مكشوفة بشكل غريب ، وتتناثر الأحجار الساقطة بما يوحى باحتمال سقوطها من قوس النصر نفسه .

أما الهيكل فهو مبنى بنفس الطريقة التى وصفناها (انظر اللوحة رقم ١١) فى حمام الفارقى . والحوائط الخارجية مبنية من الأحجـار الخشنة حتى ارتفـاع ٣٫٢٠ متراً ، وما يعلو ذلـك من الطـوب اللبن المحروق فى الشمس ، والعقدان اللذان ينفتحان على الجناحين الداخليين، يبلغ ارتفاعهما ٢٫١٥ متراً من الأرض الى القمة ، وفوقهما نوافذ علوية ضخمة على غير العادة . ويغطى الصحن والجناحين سقوف من الطوب على شكل النفق . وما زال السقف الذى يغطى الجناح الجنوبى سليماً . وكانت الشرفة التى فوق الجناحين مضاءة عن طريق سبع نوافـذ ، بينما أمدت ثلاث نوافذ صغيرة الجناح نفسه بالضوء ، بشكل مباشر من جـانب نفق السقف .

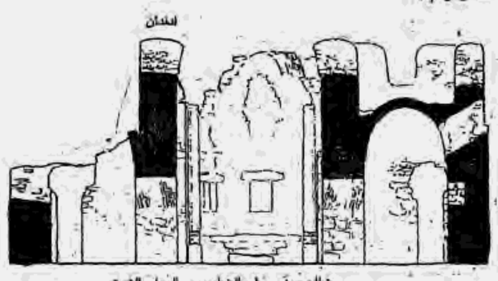
---

(١) انظر ايضا كتاب Churches in Lower Nubia ، اللوحتين رقمى ١٠ ، ٢٠ . لقد قام السيدان ماكايفر ومايلهام بالتنقيب ورسم كنيستين هنا . ويقوم مستر ف . ل . جريفيث مسئول حفائر جامعة اكسفورد فى النوبة ، بعمل حفائر اخرى فى هذا المكان .

لـوحة رقم ١٦

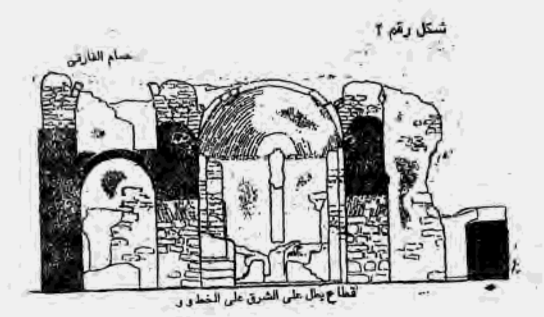


شكل رقم ٢



قطاع عرضى على الخط ب يطل على الشرق

شكل رقم ٢



قطاع يطل على الشرق على الخط و ر

وتوجد نافذة صغيرة فى الهيكل وأخرى فى كل من الحجرتين الجانبيتين الصغيرتين . وتقع بين عمودى قوس النصر بقايا مذبح مبنى من الطوب المحروق يبلغ اتساعه ١٫١٥ متراً من الشمال الى الجنوب ، و ٠٫٦٥ متراً من الشرق الى الغرب (١) .

دير عش الفضيلة

(اللوحتان رقم ١٦ ، ١٧)

يقع هذا الموقع الخرب الى الجنوب الشرقى من الموقع الأخير . ويبتعد عن النيل الى الخلف بمقدار ميل ونصف ، ويقع تل صخرى صغير بينه وبين مجرى النهر . مما نتج عنه تعـذر رؤيـة الدير الا من الجنـوب ويقع على قارعة الطريق الذى يدور حوله من الخلف لتفادى التل الصخرى الذى ذكرناه .

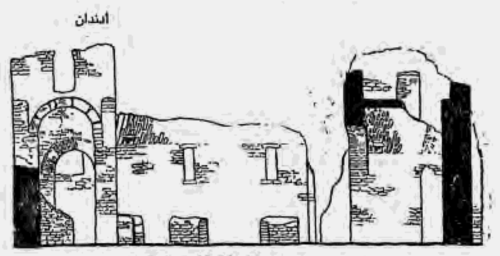
وينتمى مسقط المبنى الرأسى الغريب الى الطراز (ب) . ويقف منعزلا فوق رقعة صخرية جرداء ، ولا توجد بالقرب منه علامة على وجـود حوائط او حتى فخار فيما عدا قطع لخاف قليلة .

والمبنى مقام من الطوب اللبن المجفف فى الشمس . ويظهر الطرف الشرقى على الرسم التخطيطى مربع الشكل . ولا نرى الآن الكيفية التى تجمع بها العقد فى أعلاه . وهناك رواقان أو ممران خارج حوائط الجناحين الشمالى والجنوبى ، من غير الممكن تحديدهما . وينفتح عليهما البابان وبعض النوافذ الصغيرة . ويبين لنا السلم احتمال وجود شرفات علوية، ولكن عقود الصحن التى تحملها قد تحطمت . ومثل هذه العقود المبنيـة من الطوب التى يمكن تتبع اثرها ، جيدة البناء والشكل ، وتعتبر فخمة بالنسبة للمبانى التى وصفناها من قبل . وتنفرج قوالب الطوب التى تكون العقد نحو المركز على خلاف المعتاد فى بناء العقود فى النوبة ، وتم بناء عقد آخر خارج الحلقة من الطوب المصفوف فى وضع مسطح . وتوجد نوافذ طولية صغيرة منخفضة تماماً فى الطرفين الغربى والشرقى . والقبة التى فى الصحن صغيرة جداً ، وليس لها اى تأثير على الخارج ، ويبدو انه كانت هناك قبة فى كل ركن للمبنى ، بالإضافة إلى تلك الموجودة فى الوسط.

---

(١) قدم مستر مايلهام وصفا شاملا لهذه الكنيسة فى كتابه :
Churches in Lower Nubia.

لوحة رقم ١٧



قطاع طولي ١ ١ يطل على الجنوب

حاجز

قبة

مارس ١٩٠٩

الشمال المغناطيسي

١ — ١

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

قصر الوز

ان علاقة الوز بهذا المكان غير واضحة (زرته فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٩) وهو تل محدب قليلا ومرتفع بدرجة ملحوظة عن النيل ، ويحمل على قمته قلعة الوز . وهناك منطقة كبيرة مغطاة بالمبانى المبنية من الطوب والتى مازالت عقود بعضها بحالة جيدة . ولم اجد بقايا كنيسة ، كما اننى لم استطع تنفيذ اية حفائر . ولكن شكل المبانى المبنية بالطوب والمظهر العام للمكان يجعلان الانسان يظن ان هذه المنطقة كانت موطناً لمجتمع مسيحى . وقد برزت من التل ايضاً بعض الآبار الخاصة بالمقابر المصرية القديمة وهى تقع فى الجانب الغربى للنيل (١) .

قسطل

تمت الزيارة فى ٢١ يناير سنة ١٨٩٩ . ويقع هذا المكان فوق الضفة الغربية للنيل . وقد غطيت الأرضية بالفخار المكسور (جزء منه مصرى) بينما تظهر فوق الرمال بقايا العديد من المبانى المبنية بالطوب . وهناك بعض تيجان الاعمدة المنحوتة بدون صقل ، وهى تماثل تلك التى قدمنا وصفاً لها فى دير القرش . ولا شك فى قيام كنيسة هنا . وما زالت اعمدة قوس النصر باقية . أما الفضاء الذى تناثر فوقه الفخار فان النيل يحده من الشرق ، بينما تحده من الجهات الثلاث الاخرى تلال من الرمال المدفون فيها اشجار الطرفاء الجافة،وهى تلال تشبه فى طبيعتها تلك التلال التى تمتد من ارجين الى هذا المكان . ولا بد أن هذه الأشجار وحدها تقدم دليلا كافيا على ان المنطقة كلها كانت مزروعة فى وقت ما ، والتاريخ يؤيد هذا الرأى . وقد غصت قنوات الرى التى هجرت لفترة قصيرة بالرمال المنجرفة تلك التى تزحف على الحقول ، وتتراكم فوق الخضرة التى تقاومها ولكن هيهات ، فان الرمال تدفن كل شىء بعد فترة وجيزة .

---

(١) قام مستر مايلهام بعمل مناظر قصر الوز ، اللوحة رقم ٣ .

جبـل عـــدة

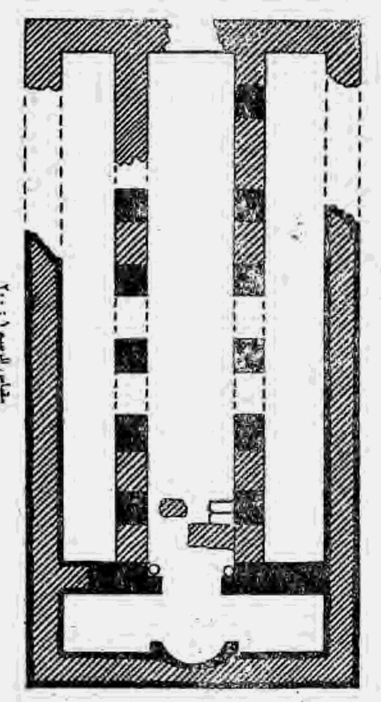
(اللوحة رقم ١٨)

تمت الزيارة فى ٢١ يناير سنة ١٨٩٦ . ويقع هذا المكان على الضفة الشرقية للنيل فوق امتداد ارضى يماثل قصر ابريم من حيث طبيعة الموقع التى سنتذكرها فيما بعد . والمدينة كلها خربة ومهجورة وهناك عدد وافر من الأعمدة الجرانيتية الحمراء الصغيرة المنتشرة وغير المصـــقولة . وترتبط رداءة الصنعـــة بكل حالة من حالات المبانى المسيحية تقريبا . وتعتبر هذه الأعمدة والتيجان عينات رديئة للصناعة اليدوية . والاعمدة مصنوعة من الحجر الاحمر وفى أركانها حليات حلزونية رديئة الصنع ، وبها كتلة بارزة بين الحليات تشبه تلك التى وصفناها فى فرس التى فى مواجهة فرس . وهذه الكتلة بمثل الزوائد . ونشاهد ايضا عمودا من طراز آخر به جزء بارز تحت الطبقة الحجرية التى تغطيه . وقد تناثرت هذه الأعمدة بين الخرائب بحيث أصبح من الصعب نسبتها الى أى مبنى . ولكن ربما كشفت عمليات الحفر تحت الأنقاض عن بقايا كنيســـة أو عدة كنائس .

وتوجد ثلاثة عقود من الطوب اللبن بالقرب من الحائط الشـــمالى للمدينة وحول وسط محورها الطولى ، وبجانب العقود توجد الدماميك السفلية لحنية هيكل . وكان المبنى الذى تنتمى اليه هذه البقايا مستخدما كمسجد والحنية تمثل القبلة . وقد بنيت بجانبها درجات سلالم من الحجر غير المصقول لا شك انها تمثل قاعدة المنبر .

وتقع خرائب الكنيسة وهى من الطراز (ب) جنوب المدينة فـــوق الصخور المسطحة التى تقع بالقرب من حافة النهر (انظر اللوحـــة رقم ١٨) . ويختلف المبنى عن المبانى التى وصفناها سابقـــا من حيث ان واجهته من الحجر . ونظراً لأنه لا يوجد حائط يزيد ارتفاعه عن ٦٠ر. أو ٧٠ر. متراً فوق مستوى سطح الأرض ، فمن الصعب تحديد ما اذا كان البناء الحجرى الباقى يتجاوز قاعدة مربعة لأحد الأعمدة أم لا . وقـــد ادخلت على المبنى تعديلات كبيرة ، فقد أزيل الممر الشمالى الذى تعلوه البواكى واعيد بناؤه مع اختلافات كثيرة . ويبدو أن ذلك حدث عنـــد تحويل المبنى الى مسجد . وكانت الدعائم التى تحمل العقود الصغيرة وتنفتح نحو الجناحين مصنوعة فى الأصل من الحجر ولكنهـــا غطيت وسدت العقود بالطوب اللبن . وما زال هناك عمود جرانيتى من قوس

لـوحة رقم ١٨



النصر ملقى على الارض ، وعندما انشىء المسجد بنيت الدرجات التى كانت مخصصة للمنبر . ولكن لو كان الأمر كذلك فمن المفروض ان يتم بناؤها على يسار القبلة وليس على يمينها كما هى العادة ، وهنـاك ملحقان مربعان فى جنوب الكنيسة يربط بينهما حائط واحد ، وهما مبنيان بدون عناية من الاحجار غير المصقولة والمونة الطينية ، وكان الملحـق الشمالى عبارة عن كنيسة كما يظهر لنا من بقايا قطعة صـغيرة من الحنية مبنية بالطوب اللبن .

قصر إبريم

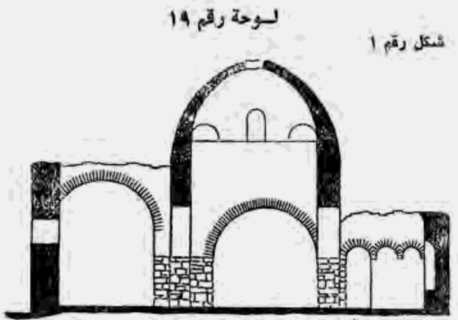
(اللوحتان رقم ١٩ ، ٢٠)

تمت بقياس هذا الموقع فى ٢٣ يناير سنة ١٨٩٦ . وهو موقع مثير للانتباه نظراً لبروزه فوق قمة صخرة شديدة الانحدار ترتفع بحدة فوق النيل . وكذلك فان الارض منحدرة فى جميع الاتجاهات . وهناك آثار منـازل للمصريين القدمـاء نحتت حوائطهـا فى الصخـر . اما قمـة التل المحاطة بالحوائط فهى مغطاة تماما بأنقاض المدينـة . ويقـف فى وسطها مبنى مربع الشكل عبارة عن بقايا كنيسة مبنية تطبيقـا لفكرة شديدة الطموح بالنسبة لاى مبنى مسيحى آخر يمكن الالتقاء به فيما بين الشلال الاول والشلال الثانى (انظر اللوحة رقم ٢٠) ، والكنيسـة لا تتجه نحو الشرق مباشرة كما هى العادة ، انطلاقاً من حقيقة أن المدينة اقدم من الكنيسة . ولم يخلنا البحث الدؤوب على الظن بانـه جـرى استخدام مبنى اقدم ليكون أساسـا للمبانى الحاليـة . وهناك بعض الأحجار الضخمة فى الركن الجنوبى الغربى حيث يوجد السلم (يبلغ طول احدها ٢٫٧٥ متراً وارتفاعه ٠٫٨٠ متراً وقاعدته ٠٫٧٠ متراً) ولكن ليس هناك دليل على عدم نقله من مكان آخر .

وينتمى المسقط الأفقى للمبنى الى الطراز (أ) وبه جناحان ولكن ليس لدينا دليل على وجود قوس نصر افضل من بقية المبنى وفى اتجـاه الحنية . والمسقط غير عادى من حيث التوزيع . وسنجـد عند المقارنة أن حنيات معظم النماذج من قوس النصر وفى اتجاه الشرق اعمق من تلك الموجودة فى قصر ابريم ولا توجد ابواب فى كلا الجانبين . والحقيقة اننا لا نجد دليلا على وجود مدخل فى الحائط الشرقى الذى مازال قائما بارتفاع ملحوظ . ولا نجد ايضا دليلا على وجود اى طريق فى الفضاء الذى خلف المحراب .

لـوحة رقم ١٩

شكل رقم ١



الكنيسة التى فى شمال قصر ابريم

مقطع على الخط ١ – ب

شكل رقم ٢

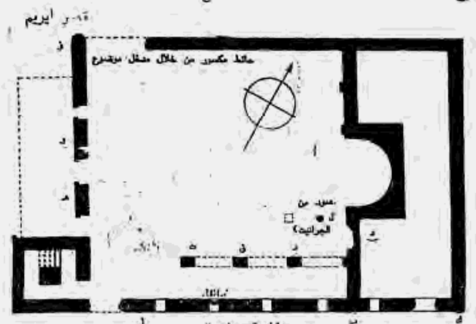
(أ) (ب)

مسقط افقي

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

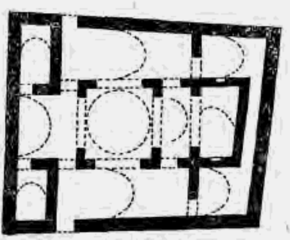
لـوحة رقم ٢٠

شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

وافضل اجزاء الحائط السليمة هي فتحات نوافذه التي قدمنا لها رسما في الشكل رقم ١٥ ، وتختلف هذه الكنيسة عن المباني التي وصفناها من حيث انها مبنية من الحجر وقد غطيت واجهات الحائط بالحجارة المنحوتة والالواح الخشبية . وهي منفردة عن بقية الكنائس من حيث التخلية والتشطيب » ، اما البناء الحجرى فهو ردىء لعدم وجود شيء يربط أحجار الواجهة بالأنقاض التي في الداخل وبذلك فهي مصرية صميمة . وقد أتاح المناخ غير الممطير وحده بقاء الجدران قائمة حتى اليوم . وتمتد رابطة الواح الخشب من (أ) الى (ب) (١) ، ولكن يوجد في (د) مسقط ربما كان لقائم أحد الأبواب ، ولكن لا يوجد خط الحائط الذي ينتهي اليه . ولا يمكن تحديد ما اذا كان هناك ردهة للمدخل غرب الحائط (ز — هـ) أم لا . ويبلغ ارتفاع اجزاء الحائط (هـ) ، (و) التي بها قوائم للأبواب عدة أمتار ، وليست لها روابط من الواح الخشب . وتظهر الأحجار الضخمة في أساس الحائط (ز — هـ) الذي تظهر فيه ولكنها مرتبطة بأخرى صغيرة بطريقة لا نجد لها مثيلا في مباني قدماء المصريين ، وقد أزيل الحائط تماماً في المسافة من (ز) الى (ح) ثم أعيد بناؤه بشكل ارتجالي مع استخدام الحجارة القديمة .

أما في المسافة من (ح) الى (ط) ، فان مداميك الأساس المكونة من الحجارة الضخمة سليمة ، وكذلك جزء كبير من الحائط الذي فوقها . وهناك آثار لرابطة من الواح الخشب .

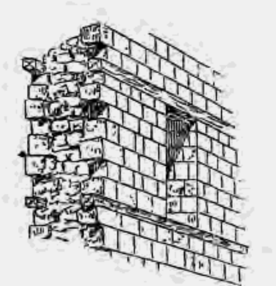
وقد بقيت المداميك الحجرية السفلية في المسافة من (ط) الى (ك) وبعض المداميك التي فوقها .

وعند الركن (ط) بنيت احجار اكبر حجماً بارتفاع سبعة مداميك كحجر للزاوية . ومن الواضح عند هذه النقطة ان المباني المشادة بالحجارة الصغيرة قد ربطت باحجار كبيرة تخص مبنى مصرياً قديماً .

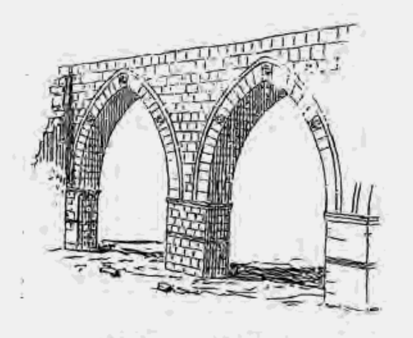
وهكذا نجد الاحجار مختلفة الاحجام وقد ربطت مع بعضها . ومع ذلك فإننا نجد القاعدة اكثر سمكاً من الحوائط التي فوقها بمقدار الضعف تقريباً .

---

(١) انظر اللوحة رقم ٢٠ .



شكل رقم ١٥ : قصر ابريم ـ الشباك والحائط



شكل رقم ١٦ : قصر ابريم ـ والعقدان

ويلاحظ ان ترتيب النوافذ فى الحائط (ا ب) يرتبط بمراكز العقود التى مازالت قائمة ؛ مما يجعلنا نفترض بناء على هذه الحقيقة والتشابه فى البناء الحجرى انها تعود الى نفس تاريخ الحائط .

ويوجد فى الموقع (ل) عمود من الجرانيت الاحمر خشن الصنعة وقد رسم فوقه صليب بالنحت البارز . وقد استخدم عمود مشابه كقاعدة للباب فى منزل مجاور . وأشك فى أن هذا العمود لم ينقل من مكانه الأصلى ، ولم يكشف الحفر حوله عن قاعدة عمود او حجر اساسى . والعمود منغرز فى الارض والجزء الاسفل منه تحت مستوى الأرضية(١) .

وفى الشكل رقم ١٦ يظهر الممر الذى تعلوه البواكى ، والعقود المدببة قليلا تكاد تشكل عقوداً تامة اما الدعامة (ت) فهى لا تبرز نحو الغرب كعقد آخر ولكنها محمولة راسية . وقد اعيد بناء هذه القطعة من الدعامة . وحسب النوافذ نستنتج ان هناك عقدين آخرين ، وقد بنيت رابطة من الواح الخشب فى الدعامتين (س) و (ع) فى منتصف الارتفاع وايضاً تحت قرمة التاج . وهناك صليان بالنقش البارز فوق حجر الزاوية عند اثنين من العقود . ويوجد اثنان آخران فى العقد الشرقى فى منتصف المسافة الى اعلى . اما فى العقود الاخرى مثل تلك التى فى الدعائم فقد وضعت هنا وهناك أحجار منقوشة لزخرفة الشريط او العقد ، من الواضح انها مأخوذة عن مبان اخرى قديمة . ومن الواضح أيضاً أن الصلبان قد خصصت للمواضع التى نراها فيها .

وهناك آثار نقوش محفورة على رابطة الالواح الخشبية تحت مخدة الدعامة الشرقية . كما نجد زخرفة مكونة من الدوائر والأزهار فوق قطعة اخرى من رابطة الألواح الخشبية .

وقد حولت الكنيسة الى مسجد ، ومازلنا نرى بقايا القبلة وبها عقد مدبب وتظهر درجات المنبر على يمينها . أما الجزء العلوى من سلم الشرفة فقد تهدم . ولا يوجد دليل يبين المكان الذى يقود اليه . ولو كانت هناك شرفة فى الكنيسة كما هو متوقع ، فلن تكون فوق الجناحين

---

(١) A Report on the Antiquities of Lower Nubia, 1906-7 : A.E.P. Weigall, Oxford 1907.

انظر اللوحة رقم ٦١ ، وقد أصدرته مصلحة الآثار بالقاهرة .

الجانبين كما هى العادة ؛ لأنها لو وجدت بالفعل لشاهدنا دليلا على الحائط الجنوبى بالقرب من النوافذ . وربما كانت موجودة فقط عبر الطرف الغربى او فوق الرواق .

وابريم ذات اهمية خاصة لان بقايا التاثير المصرى القديم قد أزيلت، ولكن لا شك فى ان التحقيق سيظهر الكثير مما لا نراه حاليا . لقد وضع الرومان فى هذا المكان حامية مكونة من أربعمائة رجل بعد ان اجتاحه بترونيوس . ووصف لنا ابو صالح الأرمنى هذه الكنيسة (فى نهاية القرن الثانى عشر او بداية القرن الثالث عشر) بالعبارات التالية (١) :

« توجد مدينة ابريم على الجبل فى اراضى النوبة . ويسمى جميع سكانها الى مقاطعة ماريس . وهى محاطة بسور . وتوجد هنا كنيسة كبيرة وجميلة ذات تخطيط رفيع ، وقد اطلق عليها أسم سيدتنا العذراء الطاهرة مريم ، وعليها قبة عالية يرتفع فوقها صليب كبير . وعندما قام شمس الدولة اخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردى اخو شيركوه (الأخ الاكبر لصلاح الدين الذى مات سنة ١١٨٠ ميلادية) بدخول مصر العليا اثناء خلافة المستعضد العباسى ، بعد زوال الأسرة الفاطمية فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٦٨ للهجرة (١١٧٣ ميلادية) تحت حكم الغزو الكردى (*) ، غزا هذه المقاطعة بجيوشه التى صاحبته وتلك التى اجتمعت اليه (اثناء تقدمه) وجمع القوارب من الشلال . وكان فى هذه المدينة الكثير من المؤن والذخائر والأسلحة ، ودخلت الى هناك (قوات شمس الدولة) . وعندما هزموا النوبيين ، تركوا المدينة خربة بعد اندحارها ، واخذوا النوبيين الذين كانوا فيها أسرى . وقيل ان عدد النوبيين كان يقدر بسبعمائة الف من الرجال والنساء والاطفال، كما وجدوا هناك سبعمائة خنزير . وأمر شمس الدولة بإحراق الصليب الذى كان فوق قبة الكنيسة وأن يؤذن المؤذن للصلاة من فوقها . وقد نهبت قواته كل ما كان فى هذه المقاطعة ، وقتلت الخنازير . ولما وجدوا احد الاساقفة فى المدينة نكلوا به ؛ ولكنهم لم يجدوا لديه شيئاً يستطيع ان

(١) The Churches and Monasteries of Egypt, B.T.A. Evett & A.J. Butler, Oxford, Clarendon Press, 1895, p. 266.

(*) شيركوه هو عم صلاح الدين الايوبى وليس شقيقه ، ويخطىء المؤلف حينما يستخدم لفظ الغزو الكردى ، فصلاح الدين وان كان كرديا ، لكنه كان قائدا لجيش السلطان نور الدين محمود ، وقد جاء لنجدة مصر من الغزو الصليبى — (المحرر) .

يعطيه لشمس الدولة الذى سجنه مع الباقين والقى به معهم فى القلعة التى كانت مشيدة على تل مرتفع وقوية للغاية » .

ويتضح لنا من النص الذى اوردناه — بصرف النظر عن المبالغة — اهمية المكان كجزء من المملكة النوبية اما رقم السبعمائة الف سجين نوبى الذى يعنى سكان مقاطعة كبيرة فانه يصعب تصديقه . اما السبعمائة خنزير فربما لم تكن موجودة فى ابريم نفسها ، ومن الطبيعى ان يقضى المسلمون على الخنازير . ومن المحتمل ان يكون وصف الكنيسة مبالغاً فيه . اما القبة العالية فلا بد انها كانت من الخشب نظراً لعدم وجود دعائم او بقايا دعائم ترتكز عليها القبة المبنية من الطوب ، كما ان المكان كما نشاهده الآن لا يساعد على انشاء مثل هذه القطع من المبانى.

لقد استغرق المسلمون زمناً طويلا فى اخضاع النوبيين الذين كانوا شعباً مسيحياً ، وخرب البلد بضراوة وتحول الى صحراء بسبب الاهمال والعنف ، واختتم العنف الذى اجتاح وادى النوبة بالدمار الذى اقترفه شمس الدولة (*) .

وعاد السكان إلى الثورة . وآخر ما سمعناه عن المكان هو ما أورده ج. ل. بوركاردت (١) وقد عدنا الى هذا المرجع من قبل .

وهناك تاج عمود منحوت من الجرانيت الأحمر ملقى بالقرب من البوابة التى فى شمال المدينة (انظر الشكل رقم ١٧) .

---

(١) Travels in Nubia, by the late John Lewis Burckhardt. Second ed, John Murray, 1822, p. 30.

(*) الحديث عن التخريب والتدمير الذى الحقته جيوش شمس الدولة يبدو مبالغة لا يمكن الوثوق بها فى ضوء ما اظهره صلاح الدين الأيوبى من نبل وتسامح فى معاملة اسرى الصليبيين والرعايا المسيحيين اشاد به مؤرخو وكتاب الحوليات الصليبيين انفسهم . ولا يستبعد بطبيعة الحال فى خضم المعارك الحربية وعمليات الحصار أن يتعرض المدنيون للأذى وأن تخرب بعض المنشآت الدينية . وقد فعل الصليبيون انفسهم هذا بالكنائس والاديرة الشرقية ، ولم يتورعوا ان يقتلوا المسيحيين داخل كنيسة ايا صوفيا ، أعظم كاتدرائيات العالم المسيحى انذاك . والحقيقة التى يجب أن نؤكدها اليوم أن المسيحية براء من اى فعل ياتيه متعصب وان الاسلام برىء من اى فعل ياتيه متعصب وأن المسيحى الذى يكره ليس جديرا بالانتماء لرسالة المسيح وأن المسلم الذى يتعدى على حرمة غيره ليس جديرا بالانتماء الى رسالة الاسلام — (المحرر) .

وتوجد عند المنخفض الذى فى جنوب المدينة (عندما نتحدث عن الأماكن التى على النيل فان الجنوب هو أعلى النهر والشمال هو أسفل النهر سواء أكان ذلك يتفق مع اتجاهات البوصلة أم لا) بقايا فاخورة وكميات من الفخار المكسور وبقايا آنية فخارية فاخرة ذات نقوش سوداء من العصر الرومانى المتأخر والقبطى .

والى الشمال قليلا من قصر ابريم توجد خرائب كنيسة صغيرة من الطراز (ب) (اللوحة رقم ١٩) . ونجد فى هذا النموذج أن القبة المركزية تلعب دوراً مهما بوصفها أحد المعالم الداخلية ، بالرغم من أنها تظهر خارجياً أعلى قليلا من القبو الأسطوانى للصحن . ويظهر الهيكل فى الرسم التخطيطى مربعاً ، ولكن القبو الذى فوقه أقيم بحيث يأخذ شكل ربع الدائرة المتصل وذلك عن طريق مثلثات الأركان . وقد غطى كل جزء من الكنيسة فيما عدا القبة بالأقباء الأسطوانية ، ولكن لا يوجد فيها الآن قبو واحد كاملا . وقد بقيت حوائط المبنى سليمة وعليها العديد من النقوش اليونانية والقبطية . وتقبع الكنيسة فوق طرف صغير على قارعة الطريق الذى يمر بينها وبين النهر . وما زال بعض الطمى الأصلى الصلب موجوداً فى الجناح الجنوبى وهو يلى انحناءة الصخرة التى اقيمت فوقها الكنيسة .



شكل رقم ١٧ : تاج عمود من قصر ابريم

المضيق

(اللوحة رقم ٢٠ ، والشكل رقم ٢)

يقع هذا المكان شمال كورسكو . وتمت بقياسه فى أول فبراير سنة ١٨٩٩ . وهو يقع فى الجانب الغربى للنيل ، ويرتفع عنه بشكل ملحوظ . وبه كنيسة من الطراز (ب) لها قبة تمثل الصورة الظاهرة المركزية — وقد بقيت الحوائط من الحجر غير المصقول حتى ارتفاع ٣ أمتار ، أما ما يعلو ذلك فقد بنى بالطوب المجفف فى الشمس . وبقيت

الدعائم التى تحمل القبة من الحجر حتى بروز العقود . ولا توجد اية شرفات فى هذا المبنى ولذلك فاننا لا نجد السلالم المعتادة . ويظهر الطرف الشرقى فى الرسم التخطيطى مربع الشكل مع غياب الأبواب العادية التى تفسح سبيلا للوصول الى الحجرتين من الهيكل . ويعتبر مبنى الكنيسة اكثر روعة ودقة مما هو موجود فى غالبية النماذج ، ويبلغ ارتفاع العقود التى فوق القبة حوالى ١٥ر٣ متراً ، أما الحوائط الجانبية فتبدو مناسبة لحمل قوة دفع الأقباء الأسطوانية التى تغطى معظم المبنى ، ولكن بالرغم من أن الجزء الاكبر من هذه الاقباء قد تساقط ، الا ان الحوائط لم تندفع فى اتجاه الخارج . وتوجد البلاطات عند المدخل فى (أ) قائمة فى الطرف ، ومازال باقياً منها البلاطة الموضوعة عند القمة مكونة بروزاً للباب .

ويقع حوش الدفن فى شمال الكنيسة على مسافة تبلغ حوالى ٣٠٠ ياردة ، ومن المعتاد ان يكون موقعه بالقرب من النهر على قمة صخرة منخفضة تشرف عليه . والصخرة التى من الحجر الجيرى تتكون من الطبقات الأفقية المعتادة وبها تصدعات رأسية قسمت الصخرة الى كتل مربعة ضخمة . وقد أزيلت الرمال والأحجار الصغيرة التى كانت موجودة فى الشقوق التى بين هذه الكتل ، ووضعت بدلا منها الجثث . ومع رص الجثث فى وضعها الطبيعى شرقاً وغرباً استخدمت الشقوق كمقابر . وقد سلبت القبور بلا رحمة . أما العظام فقد تناثرت فيه على شكل أكوام ، بينما نقل الطمى ليضاف الى الحقول عبر النهر ، ولا يوجد هنا الا القليل من الفخار . وعلى بعد خطوات شمالا ، غطى سطح الصخرة العارى بطبقة من الأحجار غير المصقولة وقطع الطوب اللبن يبلغ سمكها متراً تقريباً . وهذه هى بقايا المنازل التى بنيت فوق المقابر . وقد وضعت قوالب الطوب وقطع الاحجار فى أكوام للكشف عن المقابر التى تحتها وتفريغها لاستخدامها فى الاغراض التى ذكرناها .

ويقع المبنى الذى قدمنا رسما تخطيطياً له فى الشكل رقم ١ (اللوحة رقم ٢١) على بعد ياردات قليلة جنوب الكنيسة . ولا استطيع تخمين ماهية هذا المبنى . وأجازف بوضعه ضمن الرسومات التخطيطية الأخرى على امل ان تتيح لنا البحوث المستقبلية تقرير ما اذا كان مبنى ديرياً أم لا . وتبين الرسومات التخطيطية التى سأقدمها الآن مبانى

تختلف عن النوعيات الأوربية . ولأننا لا نعرف الا القليل عن المباني الديرية في مصر واقل القليل عن تلك التي في النوبة ، فلا نستطيع الجزم بأنها مبان ديرية موجودة بوضعها الحالي قريباً من الكنيسة .

اما الحوائط فقد بنيت من الحجارة غير المصقولة مع المونة الطينية. واستخدمت الكتل الحجرية لوضع عتبات المداخل الصغيرة ، اما المداخل الاكبر فقد استخدمت فيها عقود من الطوب . وتختلف ارتفاعات الجدران فوق الأرض بمقدار مترين او ثلاثة امتار . وليس هناك دليل على وجود دور علوى او سلم (١) .

ماهندى

(اللوحة رقم ٢١ الشكل رقم ٢ واللوحة رقم ٢٢)

تعتبر ماهندى افضل عينات المدن القديمة القائمة بين حلفا واسوان ، وقد تكون كذلك بالنسبة لأى مكان على ضفتى النيل . ولا شك فى انها قديمة ولكن من الصعب تحديد تاريخ لها ككل وحوائطها مبنية من الحجر غير المصقول . وقد وضعت الأحجار فى الجزء الاكبر منها بدون تنسيق فيما عدا القلب المكون من الطوب فانه مرتب بشكل جيد . وأجازف بالقول بأن هذه الحوائط ذات اصل رومـانى من حيث انتظـام تخطيطهـا ، والابراج المربعة التى تتقارب فى اتجاه القمـة ، والبوابات المخططـة بعنايـة .

ويقع مقابل البوابة الجنوبية جزء كبير من شكل للنسر الرومـانى منحوتاً نحتاً جيداً . وتحمل بعض الأحجار المبنية فى برجى البوابة قطعـا من النحت المصرى الغائر . واظن أن الكثير من قوالب الطوب تنتمى الى قدماء المصريين بالنظر الى حجمها وجودة شكلها . ومن الانصاف القول بأننا نقف هنا فى بقعة مصرية قديمة اغتصبها الرومان ، وفيما بعد سكنها المسيحيون المصريون . ويستمر الحـائطان اللذان فى الشـمال والجنوب متجهين الى اسفل المنحدر الحاد الذى يمتد من مستوى سطح المدينة الى جانب النهر . اما المدينة نفسها فتقع على قمـة هذا التـل المنخفض . ويقع خلفها الى الغرب واد له جوانب شديدة الانحدار ، يقوم بدور الخندق فى حماية جزء من الحائط المحيط به .

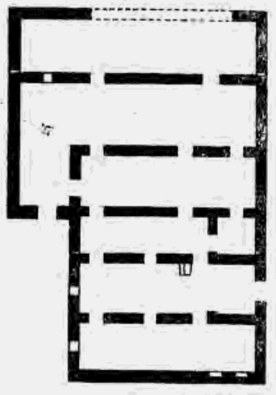
(١) انظر كتاب :
A Report on the Antiquities of Lower Nubia. A.E.P. Weigall, Oxford, 1907, p. 96.
اصدرته مصلحة الاثار بالقاهرة .

لـوحة رقم ٢١

المضيق

المبنى المجاور للكنيسة -

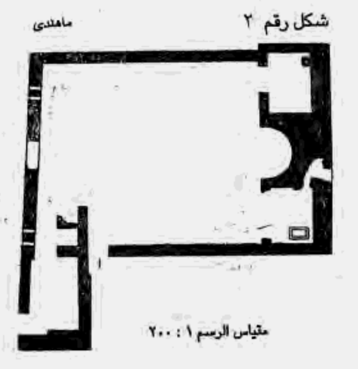
شكل رقم: ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

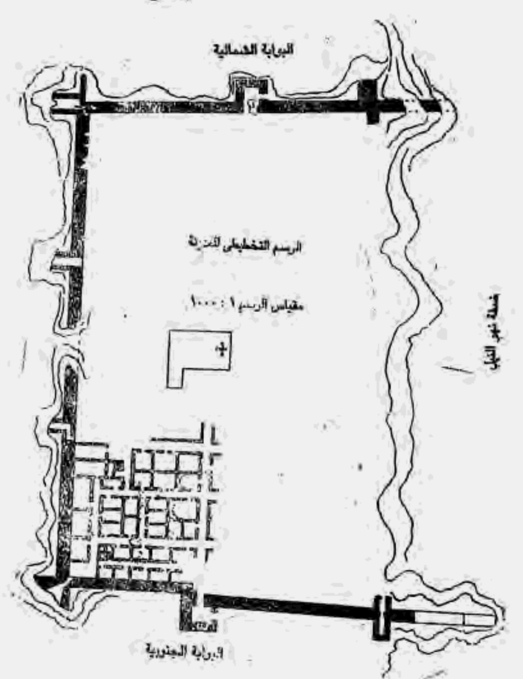
شكل رقم ٢

ماهندى



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لوحة رقم ٢٢


البوابة الشمالية
الرسم التخطيطي
مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠
ضفة نهر النيل
البوابة الجنوبية

وفى داخل الحوائط مباشرة تقع بقايا العديد من المنازل المبنية من الطوب اللبن . وهناك رسم تخطيطى لمجمع المنازل فى الزاوية الجنوبية الغربية ، ومنه نعرف كيف كانت المبانى تتزاحم معا . والشوارع شديدة الضيق بحيث لا يستطيع حمار يحمل سلتين أن يتحرك من خلالها . وهى مسقوفة بأقبية ! ولذلك فان المنازل تشكل كتلة متصلة فوق سطح الارض . وتقودنا الملاحظات التى اجريناها على خرائب المدن الاخرى الى الاعتقاد بان هذا هو الوضع المعتاد . ومثل هذا المكان لا بد وان يكون موطنا للأمراض من كافة الانواع .

وقد بنيت كنيسة صغيرة فى وسط المدينة ، تحولت كلها الى أنقاض تقريبا ، ولكن بقى منها ما يكفى ليوضح لنا انه كان هناك ممر ضيق خلف الهيكل كما هو الحال فى الأمثلة الأخرى التى قدمناها .

وتوجد خارج حوائط المدينة والى الجنوب منها خرائب كنيسة اخرى من الطراز (أ) سليمة الى حد ما (انظر اللوحة رقم ٢١ ، الشكل رقم ٢) .

جرف حسين

(اللوحة رقم ٢٣ الشكل رقم ١)

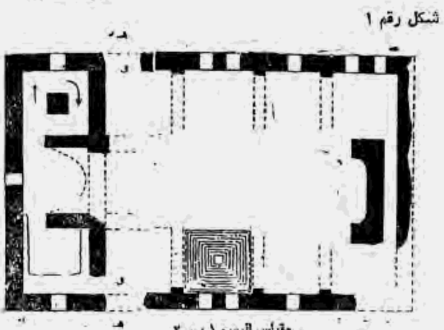
ليس من السهل تحديد طراز هذا المبنى : لانه مبنى كله بالطوب اللبن فيما عدا ثلاثة او اربعة مداميك فى الطرف الشرقى الذى بنى كله من الحجارة غير المصقولة . وهو يقع على منحدر شديد الانحدار وقد قطع طرفه الغربى فى الصخر الذى يتشكل منه المنحدر ، وتعتبر نوافذ الكنيسة أكمل الاجزاء من نواح عديدة وذلك بالنسبة لاى كنيسة أخرى من الكنائس التى وصفناها ، والجزء الاكبر منها سليم حتى القمة تقريبا . وبالرغم من عدم ضخامة المبنى ، فان مساحة الاجزاء المنفردة أكبر من المعتاد ، بينما تم تنفيذ البناء بانتظام اكبر من معظم النماذج التى قدمناها .

وتبين دراسة الحوائط الجانبية (انظر الشكل رقم ١٨) عدم وجود شرفات فوق الجناحين ، ونرى أن الصحن والجناحين كانا من نفس الارتفاع . اما السلم الموجود فى الركن الشمالى الغربى فكان يقود الى قمة الحوائط مباشرة ، كما يتضح لنا من الخرائب . ولم يزود بأبواب او فتحات فى منتصف المسافة الى اية شرفات ، ولسوء الحظ فاننا نواجه

لـوحة رقم ٢٣

جرف حسين

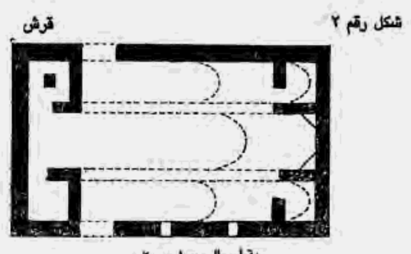
شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

قرش



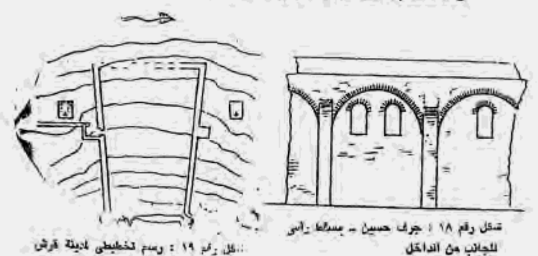
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

الشك حول كيفية دعم العقود التى بين الصحن والجناحين والتى كانت تحمل السقف المقبى المقام من الطوب . ان اختفاءها الكلى مع وجود الاجزاء الاخرى من الكنيسة سليمة ، يقودنا لافتراض وجود دعائم خفيفة من البناء الحجرى . وربما كانت اعمدة تستحق السرقة . ولو كانت هناك قبة فوق احد اجزاء الصحن ترتفع فوق بقية السقف ، لتوقعنا أن نجد اشارة لوجود بناء حجرى يدعمها ، ونفترض انه كان اضخم من دعائم السقف بوجه عام ، ولكن لا توجد بقايا لمثل هذا البناء .

اما الهيكل فان تخطيطه غير عادى ، فلا هو مربع ولا هو نصف دائرى . وهناك ممر ضيق خلفه ، انه حقاً يشبه الترتيب الذى اعتدنا عليه فى بطن الحجر .

اما الحوائط الجانبية للكنيسة (هـ هـ) (انظر الرسم التخطيطى) فهى كاملة حتى القمة . اما المتحنيات التى أوجدتها الاقباء عند ربطها بالحوائط فهى واضحة جيداً .

ان الفتحات التى فى (و) تبين أماكن الابواب ولكن توائم الابواب مكسورة . وبقيت النوافذ سليمة وقد اقيمت فى تجمعات ثنائية وهى من المعالم غير العادية ! ولكننا نجد فى معظم الحالات ان هذه النوافذ الثنائية مجرد شقوق طولية ، اما فى هذه الحالة فانها فتحات نوافذ جيدة التكوين . وقد تمت بقياسها فى ٧ فبراير سنة ١٨٩٩ .



شكل رقم ١٨ : جرف حسين - مسقط رأسى للجانب من الداخل

شكل رقم ١٩ : رسم تخطيطى لمدينة قرش

قرش
(اللوحة رقم ٢٣ الشكل رقم ٢)

تقع مدينة قرش المخربة والمهجورة تماماً فى الوقت الحالى ، على الضفة الشرقية ـ على منحدر صخرى شديد الانحدار ، وتخطيطها غير منتظم ويحيط بها من الجانبين الجنوبى الشرقى والشمالى حائط (انظر الرسم التخطيطى فى شكل رقم ١٩) .

ويمضى هذا الحائط مرتفعاً بطول المنحدر وهو مبنى من الحجارة المنحوتة المغبورة فى كمية قليلة من طمى النيل على طريقة المؤنة . وساترك هذا الموضوع للدارسين لتقرير التاريخ الذى بنيت فيه حوائط المدينة واجازف بالقول بأنها ربما بنيت فى اواخر العصر الرومانى .

وهناك طريق يخترق المدينة من الشمال الى الجنوب . وتقع الكنائس على هذا الطريق . وهناك بقايا منازل متفرقة بالقرب من كل كنيسة خارج الحوائط الواطئة . وتنتمى الكنيسة التى فى جنوب المدينة الى الطراز البازيليكى وطرفها الشرقى مربع . وتتولى مثلثات الاركان رفع القبو الذى ينتمى الى شكل القوقعة المعتاد . وقد زالت الدعائم التى تحمل العقود الجانبية وما زال فى الامكان تتبع آثار القبو الاسطوانى الذى فوق الجناحين ، وكذلك قبو الصحن . وقد زرتها فى ٧ فبراير سنة ١٨٩٩ .

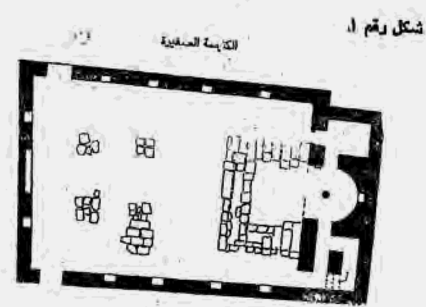
أما الكنيسة التى فى الجانب الشمالى للمدينة فهى متناهية فى الصغر وتظهر حنية الهيكل فى الرسم التخطيطى مثل انحناءة مسطحة على مثال ذلك الموجود فى جرف حسين وماهندى . وهناك بقايا ممر ضيق خلف الحنية . وقد احيط الصحن بثلاثة عقود صغيرة تنفتح على الجناحين . وهنا سلم فى الركن الشمالى الغربى يقود الى الشرقتين . وينتمى المبنى الى الطراز البازيليكى .

فيلة
(اللوحة رقم ٢٤)

عاش على هذه الجزيرة مجتمع مسيحى كبير . ومازال المعبد يحمل بعض الدلائل على انه قد استخدم ككنيسة ولا أجد افضل من أن احيل القارىء الى تقرير الكابتن هـ. ج. ليونز H. G. Lyons ـ وعنوانه :
A Report on the Islands and Temples of Philae.

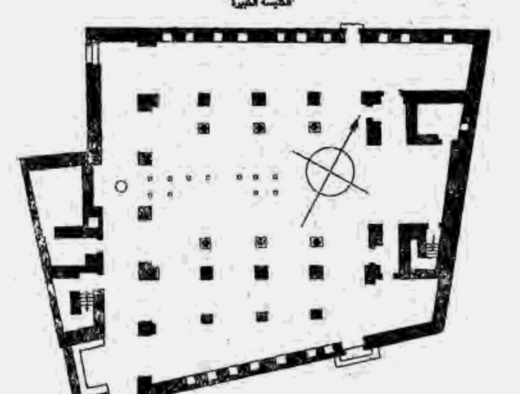
لـوحة رقم ٢٤

شكل رقم ١



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

وهو مطبوع بمعرفة مصلحة الأشغال العامة بمصر فى سنة ١٨٩٧ . ونرى فى خريطة الجزيرة الملحقة بالتقرير أن هناك مبنيين مخصصين ككنيستين هما (ر) ، (ش) . ولا شك أن أصغرهما (الشكل رقم ١ من اللوحة رقم ٢٤) يمثل كنيسة من الطراز البازيليكى ، ويتوجه البناء نحو الشمال ، وذلك بحكم الشوارع والمبانى الموجودة فى المدينة .

ويوجد سلم صغير فى موضع غير عادى وهو بالتحديد فى الطرف الشرقى على يمين حنيه الهيكل مباشرة (١) وتظهر على الرسم التخطيطى بعض الأحجار المسطحة . وربما استخدم الموجود منها بالقرب من الحنية كمقاعد . وفى الامكان تتبع خط باهت يمر فوقها وهو موضح على الرسم . وربما كان الحجر الكبير هو احدى درجات السلم . أما مجموعة الأحجار التى فى الغرب فربما كانت هى القواعد الضعيفة المجهزة للأعمدة . وترتفع من الحوائط التى فى ثلاثة جوانب من الكنيسة — الشمالى والغربى والجنوبى — اربعة مداميك من الحجارة المربعة المأخوذة من المعابد المجاورة . وترتفع فوقها بقية الحوائط التى بنيت من الطوب اللبن . وما زال البناء الحجرى موجوداً فى الطرف الشرقى بارتفاع كبير . ولا أعتقد بان العمود الذى يظهر قائماً فى حنية الهيكل ، قد وضع فى هذا المكان منذ عصر قديم ؛ ولكنه وضع هناك منذ عدة سنوات عند اخلاء المبنى جزئياً من الانقاض .

أما المبنى الأكبر الممثل بالحرف ش على الرسم التخطيطى الذى رسمه كابتن ليونز والذى أوضحناه فى (الشكل رقم ٢ من اللوحة التى رسمتها) فلا بد انه كان كنيسة لأن العديد من أجزاء الأحجار المنحوتة التى وجدت فيها ، كنت مزينة بالصلبان والتصميمات التى لا نجد شبيها لها فى بقايا المبانى الكنسية . ويدل الرسم التخطيطى على بناء من الطراز البازيليكى أو مكان للاجتماعات العامة . ولتسهيل الوصف نقول انه قائم على خط الشرق والغرب .

وهناك ترتيب شديد الغرابة فى الطرف الشرقى من المبنى . ذلك أن الحائط الشرقى ليس فقط مبنياً على زاوية خارج المحور الطولى ، بل تظهر ايضاً بداخل صغيرة فى مواضع غير مطروقة . ويقود أحدها

(١) انظر :
Plan of the Southern Church, Farras, Churches in Lower Nubia, Milcham and Mac Iver, Plate XVII.

الى سلم صغير لا يمكن الوصول اليه الا من هذا المدخل . اما السلم الذى نجده فى الكنيسة الاخرى (ر — أ) ، فانه يمكن الوصول اليه من اتجاهين ، وهؤلاء الذين يستخدمون السلم لا يدخلون بالضرورة الى الموضع المقدس (الهيكل) — حيث يقع المذبح خلف حجاب تشريب . ونجد ايضاً سلماً فى الطرف الغربى للمبنى . ونفترض ان ذلك هو وسيلة الوصول الى الشرفتين اللتين تعتبران واسعتين بالقياس الى حجم المبنى . ولا أظن أن السلم الشرقى كان وسيلة لدخول العامة الى الشرفتين . وبالنظر الى عدم تناسق الحائط الشرقى ، فان هناك رسما تخطيطيا متناسقا داخل نطاق الحوائط غير المتناسقة . وهناك صف من الأعمدة على كلا جانبى المحور . وتوجد خلف الأعمدة دعائم مربعة الشكل ، ودعائم اصغر فى الناحية الجنوبية ، والمدخلان فى موضعين غير عاديين فكل منهما على عكس الآخر ، وينفتحان على الجانب الشرقى من الصحن ، ولا يوجد فى اية عينة من عينات المساقط الافقية للكنائس البازيليكية التى وجدتها اية مداخل فى مثل هذا المكان . وهناك بابان اضافيان فى الطرف الغربى من الصحن . وبالرغم من انهما غير طبيعيين فربما املت الاحوال الخارجية مثل هذا الترتيب . وقد استدعت طريقة البناء الشديدة الاهمال التى تشبه طريقة بناء الكنيسة (ر — أ) ، وضع مثل هذا الترتيب وتصنيفه ضمن مبانى الكنائس .

وما زال جزء كبير من الارضية المرصوفة رصفاً بدائياً فى مكانه الاصلى . ويوجد هنا صف من التجاويف المربعة كما لو كانت مجهزة لوضع اعمدة خشبية فيها اثناء ظروف معينة . فما الغرض منها ؟ ان الفراغ الذى بين الاعمدة الصغيرة لا يقل عن ٦٫٥٠ متراً ، وهو فراغ لا يمكن تغطيته الا بسقف خشبى — وليست الاعمدة أو الدعائم قوية بما فيه الكفاية لحمل العقود المبنية من الطوب ، حتى مع افتراض ان البنائين كانوا قادرين على بناء مثل هذه العقود الكبيرة الاتساع . ولكن ليس هناك دليل يؤيد هذا الاستنتاج .

وقد بنيت المداميك السفلية من الحوائط بالحجارة المنحوتة المأخوذة من المعابد المجاورة ، اما ما يعلو ذلك فقد بنى بالطوب اللبن .

نموذج مسقط افقى
(اللوحتان رقم ٢٥ ، ٢٦)

قبل دخولنا الى ذلك الجزء من النيل شمالى اسوان ، حيث سنلتقى بالرسوم التخطيطية للكنائس التى تختلف فى ترتيبها عن تلك التى شاهدناها حتى الآن ، يجدر بنا ان نستعرض نموذج مسقط افقى لمبنى كنيسة ، من العينات المختلفة التى درسناها . ومن السهل القيام بذلك لانه من الطراز البازيليكى ، والرسم التخطيطى يتحدث عن نفسه (الشكل رقم ٣) ، فنجد الهيكل ملحقاً به غرفة فى الشمال واخرى فى الجنوب ، وفى حوائط الهيكل ثلاث حنيات ترتفع فوق المقاعد . وقد اقيم المذبح بحيث يستطيع الكاهن الدوران حوله . ويظهر قوس النصر غرب المذبح وبه عمودان منعزلان فى العارضتين الراسيتين ويبدو من المستحيل بالنسبة للكنائس التى من هذا الطراز المرسومة بمقياس رسم صغير — ان تزود بثلاثة مذابح ؛ لان فراغ الحائط فى الطرف الشرقى لكل جناح صغير جداً (١) . ومن الناحية الاخرى ، فان الرسومات التخطيطية تدعونا الى الدهشة بالنسبة لكيفية استخدام المذبح خاصة اذا كان من الضرورى اخلاؤه ، وهى ليست بالرسومات القليلة العدد .

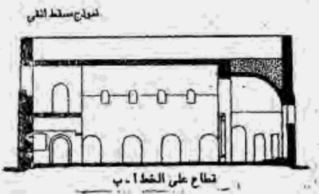
وقد اوضحنا مكان الحجاب الذى يطوق الهيكل . ومع تسليمنا بهذه المعالم فاننا سنلتقى حالا مع باب واحد — فى الوسط — واحياناً بابين فى كل منهما نافذة صغيرة فى الوسط . ولا بد من ذكر اننى لم اجد كنيسة واحدة من بين الكنائس التى تمت بقياسها فى السودان سليمة بحيث تتضمن اثراً للحجاب . وان الحجاب المنفصل عن الجناحين بدعائم من الحجر غير المصقول ، مبنى من حجارة غير مصقولة التقطت من المنطقة المحيطة . ويبين المسقط الراسى على الخط (ا — ب) مدى صغر هذه الفتحات بحيث تظهر كحوائط اكثر منها مداخل تعلوها طاقات . اما القسم الذى يطل على الناحية الغربية (الشكل رقم ٢) ، فيبين لنا الجناحين الصغيرين اللذين يغطيهما قبو اسطوانى فوقه شرفة او دهليز به المزيد من الفتحات الصغيرة المطلة على الصحن وقد برز من خلال نتوء قبو الصحن .

---

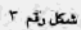
(١) ذكر البعض انه من الضرورى وجود ثلاثة مذابح على الاقل فى كل كنيسة .

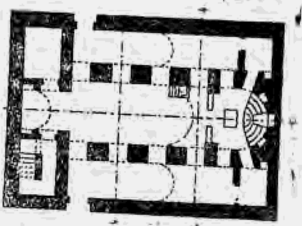
لـوحة رقم ٢٥

شكل رقم ١







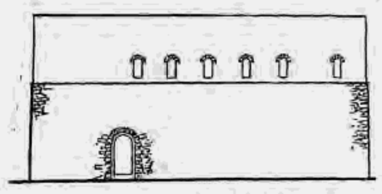


شكل رقم ٤



قطاع على الخط (جـ-د)

شكل رقم ٥



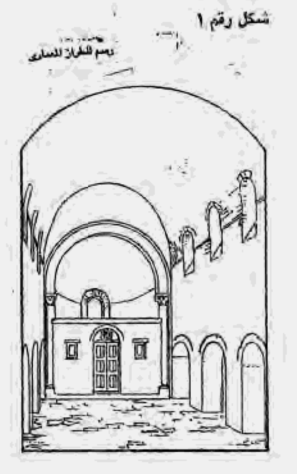
ارتفاع الجانب الجنوبي

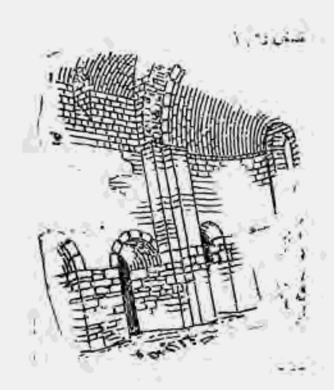
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لـوحة رقم ١ ٢

شكل رقم ١

رسم للطراز السارى







منظر من ناحية الجنوب للغربى

ويبين هذا القسم أيضاً القنطرة التى عبر الطرف الغربى للصحن الذى يمكن الوصول عن طريقه الى الشرفة التى فى الجانب الشمالى بصعود السلم الذى فى الركن الجنوبى الغربى .

ويظهر الصحن فى هذا القسم ، مغطى بالقبو الاسطوانى . أما القبوان اللذان فوق الشرفتين فهما محمولان حتى نفس هذا الارتفاع ، بحيث يحملان سقفاً دعليز مسطحاً .

ولا بد أن مصدر النور الرئيسى داخل هذه الكنائس الصغيرة هو الشباك الذى فى الحائط الغربى ، وتوجد أيضا نوافذ متناهية فى الصغر ظاهرة فى الارتفاع الخارجى وفى القسمين ، وهى تعطى ضوءاً الردهة ، كما يدخل منها ضوء قليل الى الصحن . ولا بد ان نتذكر ان الفتحة المتناهية الصغر فى مصر تعطى وفرة من النور (١) .

ويظهر القبو الذى فوق الصحن مبنيا بنفس الطريقة التى بنيت بها الاقباء ، التى ما زالت موجودة بدير القديس سمعان فى أسوان (انظر الشكل رقم ٢ — اللوحة رقم ٣٠)،وهذا افتراض من عندى لاننى لم أصادف انقاضا تحتفظ بقبو الصحن ولا يظهر الا آثار البروز والانحناءات . ويظهر البابان الخارجيان احدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب وينفتحان على الجزء الغربى من الجناحين .

وكان الجزء السفلى من الحوائط حتى منتصف ارتفاعها تقريبا مبنيا من الحجر غير المصقول المبنى بمونة من الطمى . وما يعلو ذلك كان بكامله من الطوب اللبن . ويعطينا المنظر الخارجى فكرة واضحة عن هذا البناء كما يظهر كاملا (انظر اللوحة رقم ٢٦ ، الشكل رقم ٣) .

وكانت السطوح الداخلية مغطاة بالجبس ، وازدانت مرة أخرى برسومات بألوان القرية التى تنتمى الى الطراز البيزنطى الصارم . أما القطع القليلة المتروكة فانها تجعلنا نشعر بالأسف العميق لكثرة ما فقدناه . وتظهر العظمة القديمة والتقليدية فى بساطة الصنعة التى نشاهدها فى القطع الصغيرة المكسورة .

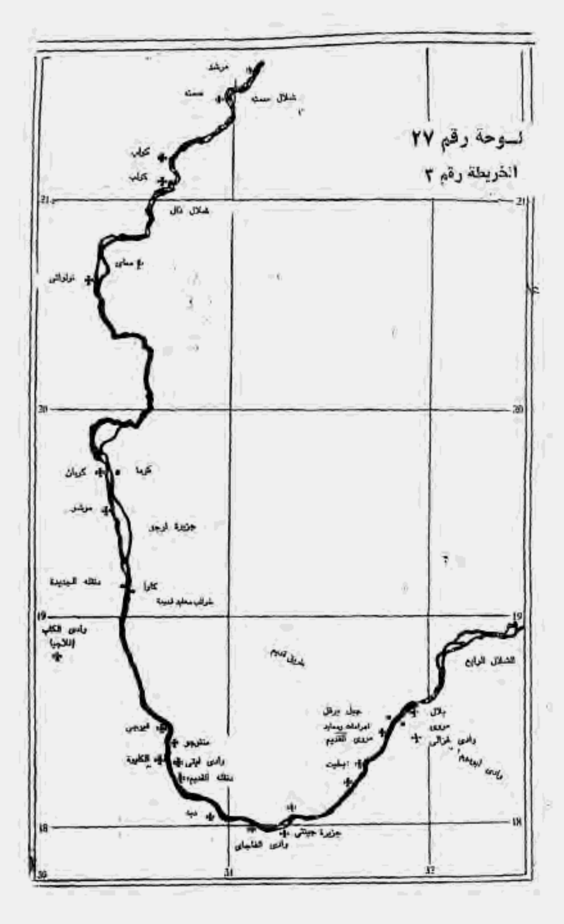
---

(١) انظر فى ذلك ، ص ١٦ من كتاب مايلهام . Churches in Lower Nubia

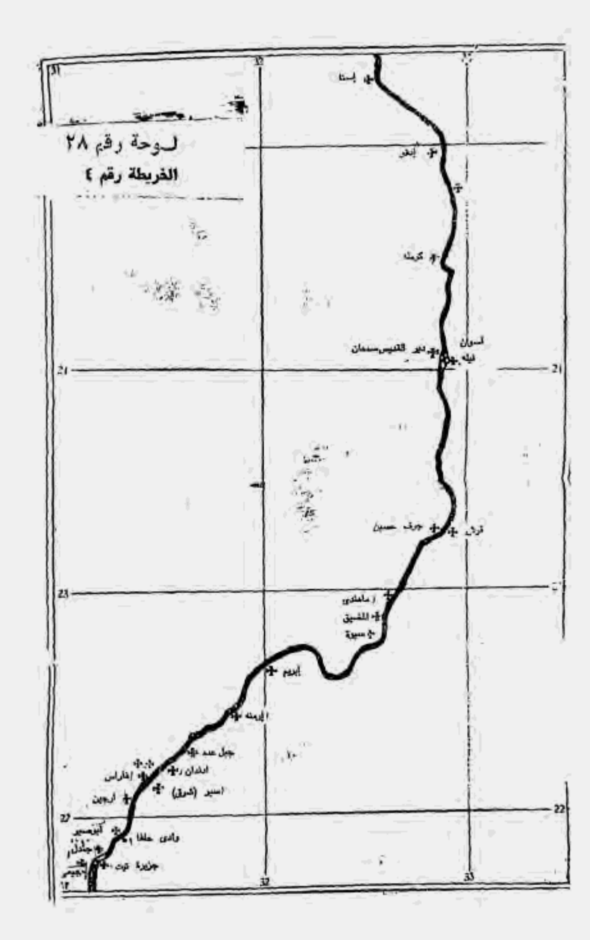
وهناك فى الشكل رقم (١) من اللوحة رقم ٢٦ ، منظر عام لداخل الكنيسة التى يمثلها هذا الطراز وهى تطل ناحية الشرق ، ويظهر الحجاب وفى وسطه الباب . وفى الشكل رقم (٢) من نفس اللوحة ، يظهر تخطيط لوسائل البناء المستخدمة . ويظهر البناء المقام من الطوب فى الحائط من (أ) الى (ب) معلقا قليلا بحيث يقلل من اتساع السقف المقبى . وتظهر حلقات القبو المبنى من الطوب منحنية نحـو الحـائط الشرقى حسب الطريقة التى تظهر فى الشكل رقم (٤) فى الفصل الثانى من هذا الكتاب . وقد بنى قبو سقف الهيكل بنفس الطريقة . انظر ص ١٥ من كتـاب مايلهام : Churches in Lower Nubia .

اما عن كنائس الطراز (ب) وبالذات تلك التى تغطيها قبة تمثل اوضح معالم المداخل ، وحسب ما افترضناه فانها المصـدر الرئيسى للاضاءة فى الداخل ، ولا يفيدنا كثيراً عمل نموذج لاستعادة شكلها .

وتظهر فى دراسة الرسومات التخطيطية حقيقة أن هـذا الجـزء الرئيسى كان محمولا أحياناً بطريقة وأحياناً بطريقة أخرى ، وهناك دعائم بنيت خصيصا لهذا الغرض . ونجد أن القبة فى حالات أخرى تستقر فوق امتداد الحوائط الجانبية للصحن . ونشاهد فى بعض الحالات جهداً مباشراً لعمل تخطيط على شكل صليب . وفى حالات أخرى لا يوجـد اى تخطيط .



لوحة رقم ٢٧
الخريطة رقم ٣
شلال سمنه
سمنه
شلال دال
كرما
جزيرة ارجو
كاوا
خرائب معابد قديمة
الشلال الرابع
جبل برقل
مروى القديم
بلال
وادى الغزالى
جزيرة جيتى
وادى القابات
دبه
21
20
19
18
30
31
32


لوحة رقم ٢٨
الخريطة رقم ٤
إسنا
إدفو
كرمنة
أسوان
فيلة
دير القديس سمعان
قرتاس
جرف حسين
الشيق
سبوع
إبريم
جبل عدا
إفاراس
أرجين
وادي حلفا
جزيرة توت
21
23
22
27
31
32
33

الفصل الخامس

الكنائس التى بعد أسوان شمالا

مازلنا حتى اليوم ومع الأسف الشديد ، نجهل الفكرة التى تحكم الرسومات التخطيطية لبناء الأديرة فى مصر بشكل عام ، مع كثرة عدد هذه المبانى ، ان بعضها وهو يشكل الأغلبية ، يقع فى أماكن منعزلة حيث تتيح التلال الصحراوية التى تحيط بوادى النيل ملاذاً هادئاً يسهل اقامتها فيه ، ولكن بعضها الآخر كان بعيداً عن الأرض المزروعة وبالتالى عن أماكن سكنى الناس .

وتبدو الأديرة دائما سيجة بحائط مرتفع كوسيلة دفاعية (١) ومن الواضح ان مثل هذه الحماية كانت ضرورية لتلك الأديرة التى تقع فى الصحراء أو على حافتها ، لأن قبائل الصحراء كانت تمثل رفيقا لا يلتزم بالقانون . وعندما كانت المبانى قريبة من الأرض المزروعة كما هى الحال فى الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، أو دير الملاك ميخائيل فى نقادة ، فانه لم يحدث الاستغناء عن حائط السياج . ان ضرورات الخلوة الدينية جعلت مثل هذا الحائط ضرورة بصرف النظر عن الأسباب الأخرى .

---

(١) انظر الملحوظات التى فى الفصل الثالث من كتاب Ruins at Wadi Ghazali & near Abu Sir . وانظر الملحوظات المأخوذة عن كتاب أبو صالح .

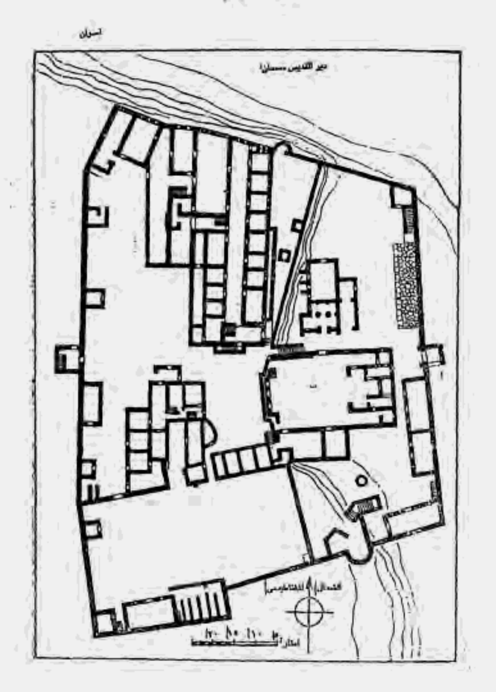
دير الانبا سمعان باسوان
(اللوحات ارقام ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢)

تقع هذه المجموعة من المبانى مقابل مدينة اسوان بعيدة فى واد على الضفة الغربية للنيل ، ولكن بالقرب من النهر . والمبنى له قيمة غير عادية لأننا نجد فيه ديراً ، خرباً فى حقيقته ولكن بقيت معالمـه الاساسية . ويقدم لنا مسيو دى مورجان رسما تخطيطياً للدير فى القائمة التى بدا فى طبعها ، وقد خاطرت بنقل هذا الرسم عنها لانه افضل الرسـومات الجاهزة للنشر ، ولكن تفاصيله ابعد ما تكون عن الدقة كما هو واضح فى الأجزاء المتعلقة بالبرج (القصر) والكنيسـة وعند رسمه للمنظر وضع الشمال فى محل الجنوب . ولم يسمح لى الوقت بعمل رسم تخطيـطى محدد القياسـات ، وخشيت اننى لو حاولت تحاشى بعض اخطاء مسيو دى مورجان ان اقع انا نفسى فى اخطاء اخرى .

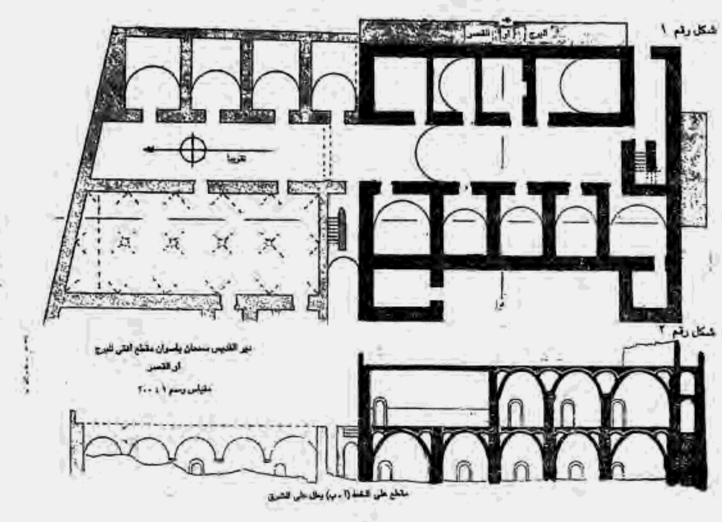
وليس من السهل بالنسبة للقارىء الذى لم يقم بزيارة احدى هذه الخرائب الجليلة ان يعرف مدى صعوبة اجراء عمليات القياس او عمل الملاحظات الدقيقة داخل حوائطها ، مع عدم وجود حائطين متوازيين ، او خطوط راسية ، ومع اشتمال الجزء الأكبر منها على قلايات مظلمة لا تتحصل على الضوء الا من خلال شقوق فى السقوف المقوسة المبنية من الطوب اللبن . وقد امتلأت كل غرفة بالانقاض حتى نصفها ، واغرقت فى التراب الناعم ، ومع درجة حرارة تتجاوز ٨٥ مئوية يخرج الدارس من احدى هذه القلايات فى حالة يرثى لها . ويستطيع فقط ان يرجو الا يكون نهر النيل المبارك الذى سيغتسـل فيه بعيداً .

ويلاحظ ان المسقط الأفقى (اللوحة رقم ٢٩) على شكل مستطيل غير منتظم ومتفق مع تضاريس المكان . ويقع محوره الطولى متجهاً من الشمال الى الجنوب . وبعد ان نترك الضفة الغربية للنيل ، ندخل فى فم واد صغير ينحنى نحو اتجاه الشمال الغربى . ونرى على راسـه وعلى بعد نصف ميل من النهر ، المبنى الذى يشبه القلعة مطلا علينا وظاهراً من اماكن عديدة محيطة به ، ونشق طريقنا بصعوبة مصعدين فى منحدر رملى ، ونقترب الى الحائط الشرقى الذى يطوق المكان من بين الصخور المحطمة . ويقع المدخل بالقرب من وسط هذا الحائط (انظر (ا) على

لوحة رقم ٢٩



لوحة رقم ٣٠

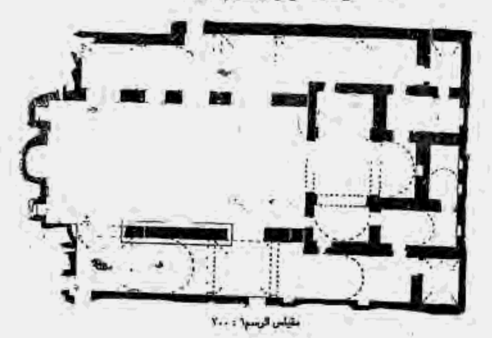

شكل رقم ١
شكل رقم ٢
دير القديس سمعان بأسوان مقطع افقي للبرج
او القصر
مقياس رسم ١ : ٢٠٠
مقطع على الخط (أ - ب) يطل على الشرق

لـوحة رقم ٣١

شكل رقم ١

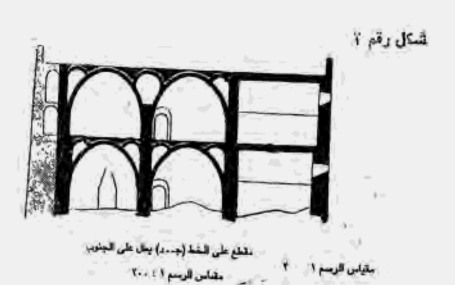
أسوان

"مسقط أفقي للكنيسة التي في دير القديس سمعان



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم ٢

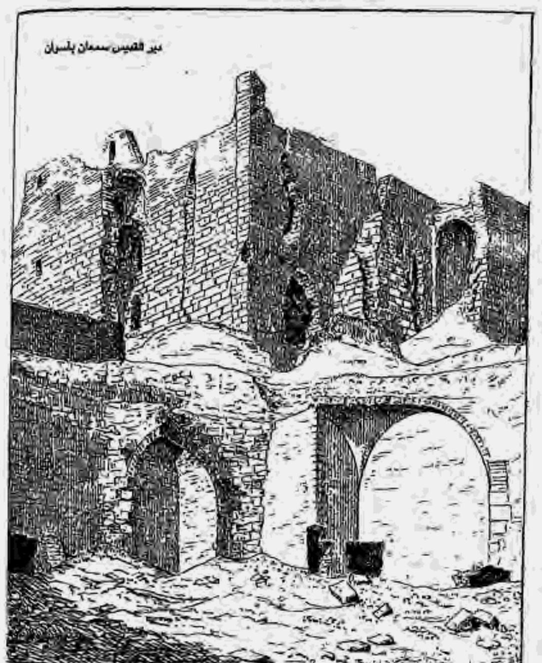


مقطع على الخط (جـ - د) يطل على الجنوب

مقياس الرسم ١ ٢

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لـوحة رقم ٣٢



دير القديس سمعان بأسوان

الرسم التخطيطى) ويشكل هذا برجا صغيراً ناتئا . ويقع المدخل فى الجانب مشكلاً زوايا قائمة مع المدخل الذى يعلوه طاق (عقد) فى الحائط الذى يطوق المكان ·

وعند فتح الباب لا يستطيع الزوار رؤية فناء المدخل بشكل مباشر . ومثل هذا القطاع من المدخل يسهل الدفاع عنه بخلاف المدخل الذى يستطيع الأعداء أن يندفعوا منه الى الأمام · ونرى نفس المسقط الأفقى تقريبا فى مداخل جميع المدن الحجرية فى النوبة ، كما نرى مثل هـذا الترتيب فى كافة المنازل الشرقية الأصيلة فى القاهرة أو غيرها من الأماكن فى الشرق .

وتنحدر الأرض سريعاً مع ارتفاعها فى المدرجـات من الشرق الى الغرب ولكن الحائط الذى يطوق المكان على خط الشمال ينحدر بشكل مجالى . وترى فى داخل الطوق مجموعتين من المبانى ؛ وتقع الكنيسـة (ب) وملحقاتها عند المستوى المنخفض (الذى فى ناحية المدخـل) بينما يقع البرج أو القصر (ج) عند مستوى أعلى ؛ ويطل على الركن الشمالى الغربى للكنيسة فى طابقين مع صفين من القلايات ذات العقود .

أما الطرف الغربى للكنيسة فقد بنى مقابل دهليز من الصخر بـه بعض الحجرات التى يمكن الوصول اليها من الصحن . ويستمر هـذا الدهليز فى اتجاه الشمال ويعلوه حائط . وبهذه الطريقة ينقسم الفضاء المحيط الى قاعة علوية وقاعة سفلية . وحتى عندما تسقـط القاعـة السفلية فان القاعة العلوية التى بها الحصن (القصر) يمكن الدفـاع عنها فترة طويلة . أما المدخل الوحيد الظاهر الآن من القاعة السفلية الى القاعة العلوية ، فإن الوصول اليه يتم عن طريق سلم يقع مقابل الحائط الشمالى للكنيسة . وقد بنيت المداميك السفلية للحوائط مـن أحجار الأنقاض المأخوذة من جانب التل والمستخدم فى بنائها طمى النيل حيث يمكن رؤية المونة . وقد بنى الجزء الأعلى من الحوائط بالطـوب اللبن . وطلى المبنى كله بطبقة من طمى النيل على شكل طبقة بعمرة من الجص فى مناطق جنوب مصر الخالية من المطر . ولا بد ان المصدر الوحيد للمياه بالنسبة للدير هو نهر النيل . ونجد فى هذه الأديرة أن الورع والقذارة يتماسكان يداً بيد .

وعند دخول القاعة السفلية من المدخل الذى وصفناه من قبل ؛ نرى أمامنا وعلى بعد عدة امتار حائطاً منخفضاً من الطوب اللبن هو الحـائط

الشرقى للكنيسة وقد اخترقته الآن عدة شقوق ويبدو ان المدخل الرئيسى للكنيسة كان فى مكان واحد فى الحائط الشمالى عند موطىء الدرجات الصاعدة الى الحصن (القصر) . وقد خرب هذا المبنى بشكل مريع أما المحاولات القليلة التى حدثت الحفر فقد تمت بطريقة عشوائية أدت الى المزيد من الارتباك .

وبالنظر الى المسقط الافقى للكنيسة (اللوحة رقم ٣١ ، الشكل رقم ١) نلاحظ ان المبنى الممتد من الشرق الى الغرب يتكون من صحن به جناحان فى الشمال والجنوب ، وأن الطرف الشرقى بما فيه سقفه المقبى ، هو مسقط يصل الى عنفوان عظمته فى الديرين اللذين بالقرب من سوهاج (انظر اللوحتين رقم ٦٥ ، ٦٩) ويمكن ملاحظة الفارق الكبير بين المسقط الأفقى الذى قدمه دى مورجان للكنيسة ، وذلك الذى تمت بقياسه ، والسبب هو ان هذا المسقط رسم قبل القيام بأية حفريات فيما عدا قليلاً من التنظيف فى الطرف الشرقى . وقد اخذت مقاييس دى مورجان سنة ١٨٩٣ ، أما المسقط الأفقى الذى طبعته الآن فقد تمت بقياسه فى يناير سنة ١٩٠١ ، وروجع فى مارس سنة ١٩٠٨ . وقد جرت التحقيقات التى اعتمدنا عليها فى الفترة الزمنية الواقعة بين التاريخين .

وقد أوضحت على المسقط الذى رسمته ، الروابط المستقيمة فى اماكن عديدة . ويلاحظ ان الحوائط التى تطوق الهيكل الثلاثى الحنيات منفصلة عن تلك الواقعة الى الغرب منها ، وأن الجانب الشمالى للصحن يكشف عن قواعد دعائم مستطيلة وضعت بدون نظام ، وأن الجانب الجنوبى من الصحن قد فصل بحائط طولى عن الصحن (ينقسم هو نفسه الى جزءين) ، ويقوم فوق مصطبة عريضة مبنية بالحجر ، ولا تعطى قوالب الطوب اللبن الموضوعة بدون عناية اية دلالات عن زمن بنائها . وربما مضت مئات عديدة من السنين بين اقامة قطعة من حائط وقطعة اخرى مجاورة لها . ولا توجد أية تفاصيل مصبوبة أو محفورة تمد لنا يد المساعدة ، وكذلك فإن الجص الذى لا نشك فى أن كافة الحوائط كانت مطلية به فى ناحيتها الداخلية ، قد ضاع فيما عدا الطرف الشرقى .

وظلت الحوائط الخارجية باقية الى الآن حتى ارتفاع يصل الى خمسة امتار . ويصل مستوى الارض الطبيعية فى الطرف الغربى الى قمة هذه الحوائط . ويكشف لنا فحص الحائطين الخارجيين الشمالى والجنوبى عن كيفية عمل سقوف الجناحين على التوالى ، وتتقاطع فى الجناح الشمالى ثلاثة عقود . اما الجزء الذى فى اقصى الغرب والجزء الثانى من الغرب فانهما مسقوفان بقبوين اسطوانيين متقاطعين . وهى طريقة معروفة لعمل قبو المساحات المستطيلة والمبنية بدون مساعدة أى « مركز » من الخشب . اما الجزءان الثانى والرابع فهما مغطيان بقبوين أسطوانيين . والذى فى اقصى الشرق منهما طويل . ولا بد ان العقود التى تنفتح من الصحن الى الجزء الثانى غرباً كانت شديدة الانخفاض ، كما ان تيجانها كانت كذلك تحت مستوى بروز القبو . أما المسافة التى بين الدعائم فهى توحى بأنه كانت هناك تأثيرات غير معمارية عن طريق عقدين صغيرين بجوارهما عقدان آخران اكبر حجماً واكبر ارتفاعاً .

وتبين لنا الدلائل التى على الحائط الجنوبى ان الاقبية التى فوق هذا الجناح هى نفسها التى فوق الجناح الشمالى . ولدينا ايضاً دليل على وجود عقدين اوسع ولكنهما لم يبقيا حتى نتبين منهما الترتيب الذى كان يعلو المنصة الحجرية .

ويبين لنا فحص الطرف الغربى انه كان يوجد هنا ايضاً بعض الاقبية ، التى تصل الى نفس ارتفاع الاقبية التى فوق الجناحين .

وقد بقيت فى الركنين الشمالى الغربى والجنوبى الغربى شظيات صغيرة وهى مبينة على الرسم التخطيطى بخطوط منقطة . وكانت هناك ابنية حجرية فى ركن الدعامة عند (د) ولكنها الآن محطمة ، وافترض انه ربما كانت هناك عبر الطرف الغربى شرفة ضيقة محمولة على اعمدة وهذه الاعمدة رسمتها بخطوط منقطة . ولا بد ان مثل هذه الشرفة التى تربط الادوار العليا للجناحين الشمالى والجنوبى تتطابق مع الترتيب الذى رأيناه بوصفه ترتيباً شائعاً فى كنائس النوبة . ولكننى من جهة أخرى لا استطيع ان اجد اقل دليل على وجود مثل هذه الشرفات .

ويحسن بنا أن نصف الطرف الشرقي للكنيسة قبل النظر في السؤال المتعلق بكيفية عمل سقف الصحن ، وفي الوقت الحالي بقيت القبة النصفية المبنية من الطوب ، التي تغطي الحنية التي في أقصى الشرق ولا يتجاوز ارتفاع تاجها خمسة الى ستة أمتار فوق الأرضية . أما القباب النصفية الثلاث فانها تنفتح على حجرة مربعة ربما كانت مسقوفة بقبة من الطوب . وكانت هذه الحجرة متصلة بالصحن عن طريق عقد تحول الى انتفاض . ونلاحظ مدى ضيق هذا العقد بالمقارنة مع اتساع الصحن الذي يتراوح ما بين ٣٫٢٠ الى ٧٫٦٠ مترا . ويبين لنا فحص المسقطين الأفقيين للكنيستين اللتين في سوهاج بالدير الأبيض والدير الأحمر أن هناك تشابها بين الثلاثة بالرغم من مقياس الرسم الكبير . وفي كل حالة نجد أن العقد الذي يقود الى الهيكل ضيق اذا قورن باتساع الصحن . واذا عدنا الى اللوحة رقم ٢٤، الشكل ٢ الذي يقدم لنا المسقط الأفقي لما تعودنا أن نطلق عليه اسم « الكنيسة الاكبر » بجزيرة فيلة ، نسرى أنه ربما كان هناك تفسير آخر للرسم التخطيطي الذي بين أيدينا الآن . وفي فيلة نجد أنه بينما كان الجناحان الشمالي والجنوبي منفصلين عن الصحن بصف من الدعائم المستطيلة ، فقد كان هناك صفان داخليان من الأعمدة متوافقان تقريباً مع اتساع قوس النصر . ولو كانت هذه الأعمدة موجودة في كنيسة القديس سمعان لاختلت صعوبة وضع سقف خشبي فوق الصحن . ولو لم توجد مثل هذه الأعمدة فقد كان على بناة الكنيسة مواجهة صعوبة أن مساحة ٢٤ قدماً لم تكن شيئاً هيناً في بلد خال من ألواح الخشب . ولا شك في عدم وجود وصلة تستطيع ان تسند أو تحمل سقفاً مقبياً يغطي هذه المساحة .

وبالعودة الى الطرف الشرقي للكنيسة فان الحنية التي في أقصى الشرق وشكلها مربع على مستوى الأرضية ، تتجمع فوق الأركان وبذلك تكون مستعدة لاستقبال العقد على شكل قبة نصفية تغطيها . وما زالت الرسومات الملونة التي كانت تغطي هذا العقد واضحة . ويقدم لنا مسيو دي مورجان في قائمته التي أشرنا اليها سابقاً ، لوحة ملونة تبين هذا العقد ولكنها لا تمثل عرضاً جيداً ، وليست دقيقة تماماً .

اما ترتيب الأبواب التى تقود من الجناحين إلى الحجرات الصغيرة المجاورة فهو غير عادى . وتبين الفتحة التى فى الجانب الشمالى للهيكل الشرقى علامات تدل على انها قد شقت خلال الحائط ؛ ولكنها ربما كانت باباً أصلياً تم توسيعه .

وعند مبارحة الكنيسة عن طريق الباب الذى فى الجناح الشمالى نجد انفسنا عند موطىء سلم ضيق ومتحدر يوصل الى المستوى الأعلى الذى اقيم فوقه الجزء الأكبر من المبانى الديرية . وسرعان ما تبهرنا كتلة المبانى المهيبة التى تشبه البرج والتى ترتفع الى أعلى (اللوحتان رقم ٣٠ ، ٣٢) أما المسقط الأفقى (انظر اللوحة رقم ٣٠) و الشكل رقم ١ من نفس اللوحة رقم ٣٠) الذى يبين ارضية هذا المبنى فإنه يوضح لنا انه لم ينشأ كله فى وقت واحد وأن بعض الجوائط قد اقحمت عن طريق بناء من الطوب اقيم فى مقابلها .

لقد ذكرنا منذ قليل أن بعض الأديرة كانت مجهزة للدفاع ؛ ويمكن الحصول على دليل فى هذا الصدد بدراسة تاريخ « أبو صالح الأرمنى » الذى أوردناه من قبل . وهو يقول فى الصفحة ٢٣٧ عند وصفه الدير الذى فى أتريبيس (الدير الأبيض فى سوهاج) : « ويوجد فى هذا الدير حصن ، ويحيط بالحصن والدير سور فى داخله حديقة مليئة بكافة انواع الاشجار » .

ويقول عن الدير الذى فى سمالوط (ص ٢٤٧) : « وهناك بجوار الكنيسة حصن ضخم ومرتفع ؛ بارز فوق مستوى الجدران » .

وعن دير العسل يقول (ص ٢٤٨) : « يحيط بكنيسة مارجرجس سور به حصنان وحديقة » . وفى مقدورنا تقديم اقتباسات أخرى ولكننا ننتهى باقتباس واحد يخص أسيوط (ص ٢٥٠) فيذكر ابو صالح : « وتوجد ستون كنيسة عند أسيوط على الضفة الغربية ، كما توجد على الجبل كنائس منحوتة فى الصخر باستخدام المعول ؛ وفى كل منها حصن » .

وسنقدم فيما بعد (اللوحة رقم ٥٢) الرسوم التخطيطية لبعض الكنائس المنحوتة فى الصخر بالقرب من أسيوط . وعندما يتفحصها القارىء قد يسأل نفسه ، ما طبيعة الحصن الملحق بمثل هذا المكان ؛

بافتراض ان الحصن عبارة عن برج قوى ومسيطر ؟ وآخر نقطة للمقاومة ، ومعقل حسب مفهومنا عنه من حيث ارتباطه بقلاع العصور الوسطى أو مواقع الدفاع ؟

وفى دير القديس سمعان نشاهد بوضوح وجود حصن ضخم كأحد المعالم المحيطة . اما فى حالة الكنائس المنحوتة فى الصخر فعلينا ان نتسلق ممراً منحدراً حتى نصل الى ارتفاع ٢٠٠ قدم فوق الوادى ثم نصل الى حفائر ممتدة بطول واجهة الصخرة ، ربما كانت قبراً او محجراً قديماً . وترتفع الصخرة عمودياً الى مسافة ٢٠٠ قدم أخرى . فأين مكان الحصن او البرج المسيطر ، او على الأصح ضرورة وجوده ؟ واذا افترضنا أن الحصن « مكان منيع » فلا بد انه كان برجاً فى بعض الحالات او حنية محفورة فى قلب الصخرة فى حالات اخرى .

واذا عدنا الى الحصن الموجود بدير القديس سمعان فى اسوان فاننا سندخل عن طريق مدخل صغير (هـ) فى الحائط الشرقى عند طرفه الجنوبى . ويرتفع امامنا سلم ضيق يقود الى الطابق العلوى ثم يمتد الى السطح المنبسط الذى يرتفع امامنا . وهناك على اليمين مدخل صغير يقود الى ممر طويل مسقوف بقبو من الطوب ، وتنفتح الحجرات على كلا جانبيه (اللوحة رقم ٣٠ ، الشكل رقم ١) وفيما عدا الطرف البعيد حيث تبرز بعض النوافذ الصغيرة من الحائط الشمالى ، يبدو انه لم تكن هناك اية وسيلة لدخول الضوء الى هذا الممر . وبعض الحجرات التى على الجانب الغربى مزودة بنوافذ او طاقات صغيرة فى اعلى الحائط . ولا بد أن بعض الاشعة المنعكسة كانت تشق طريقها بصعوبة من خلال مثل هذه الفتحات ، ولكن هذه ايضاً لا تستطيع الوصول الى الممر الا بالمرور من المداخل الصغيرة للحجرات . والممر مقبى ، وكذلك جميع الحجرات مسقوفة بما يشبه صدفة رقيقة من الطوب اللبن . وقد تمزقت هذه الصدفة الآن فى اماكن عديدة ، وبذلك تسرب الضوء الى كل مكان . ومن الصعب ان يتصور الانسان مدى الظلام الدامس الذى كان يلف المكان قبل أن يتحول الى خرائب .

ويبين لنا الرسم التخطيطى (اللوحة رقم ٣٠) هذه الحوائط المظللة بالنقط ، التى يبلغ ارتفاعها طابقين والتى يبدو انها بنيت قبل الأجزاء

المتاخمة للشمال . وسنطلق على هذا الجزء اسم « الحصن » وقد تمت تقوية حائطيه الجنوبى والشرقى كما ذكرنا من قبل . والأجزاء السفلية من هذه الكتل المبنية بالحجارة صلبة ، ولكن الأجزاء العلوية تشقها ممرات ضيقــة .

وهناك فرن كبير فى الحجرة الثانية التى على يمين الممر الأوسط ولكنه للأسف قد تحول الى انقاض ، ويبدو أنه قد برزت منه فى سمك الحائط مدخنة لخروج الهواء الساخن . ولو كان اعداد الطعام يتم فى هذه الحجرة المظلمة التى لا يتجدد هواؤها ، ومنفذها الوحيد هو الباب المطل على الممر، فلا بد ان الرهبان كانوا يستمتعون برائحة الطبخ .

ونجد على الجانب الأيسر أو الغربى من الممر ، وفى اتجاه طرفــه الشمالى ، بقايا حجرة كبيرة يستند قبوها ، المبنى بالطوب اللبن ، على صف من الاعمدة — فهل هو المطعمة ؟

واستميحكم العذر فى الخروج عن الموضوع بمحاولة تأكيد ماهيــة الحجرات المعتادة فى الدير بقدر ما استطيع :

من الأفضل العودة الى الحكايات المتضاربة قليلا التى تركهــا لنا ابو صالح . وبهذه الطريقة قد نعرف على الاقل بعض الاشياء التى نبحث عنها عند استكشاف مثل هذا المبنى . لقد أوردنا من قبل هذا الاقتباس الخاص بالحصن . وسأضيف اقتباساً آخر او اقتباسين . اننا نجد فى (ص ٢٤٧) اثناء وصف الدير الذى فى سمالوط انه لا يوجد فقط سور بل يوجد فى داخله ايضاً طاحونة (١) وفرن ومعصرة للزيوت .

وتوجد فى دير العسل الذى ذكرناه من قبل ، حديقة تقع فى جنوب الكنيسة ، وتحتوى على طاحونة وتلالى للرهبان . وهناك حديقة اخرى فى شمالى الكنيسة ، ومعصرة لزيت الزيتون .

ويصف لنا على صفحة ٢٥٠ ديراً اطلق عليه اسم القديس سفيروس وهو ظاهر على قمة الجبل وفيه حصن وصهريج للماء يسع ملء الف جرة من الماء ، ويمتلىء عن طريق نهر النيل المبارك ، وفيه طاحونة وافران

---

(١) لا يمكن ان نخطئها فنظن انها ساقية ؛ وهى تدار بواسطة ثور او حمار او جمل .

عديدة ومعصرة لزيت الزيتون وبه ثلاثون راهباً . وتقع الحدائق فى الأرض المستوية التى تحته .

ويتحدث فى ص ٢٥٧ عن دير النور ، الذى به حصن من خمسة ادوار ، وقد بنى بمهارة فائقة ويحيط به سور احتضن فى داخله ٤٠٠ نخلة .

واعتماداً على هذه المذكرات والاقتباسات السابقة ، نستطيع تجميع بعض النقاط الاسترشادية فيما يتعلق بالدير . وسنجد انه كان مكتفية بذاته ومسيجاً بحائط . وتبين لنا هذه البقايا المتروكة ان هذا المكان مربع الشكل تقريباً وبداخله على الأقل كنيسة واحدة . وسنرى أنه فى حالات كثيرة كانت هناك كنائس عديدة تحتوى كل منها على مذابح عديدة . وهناك الحصن : ويبدو أن قلالى الرهبان كانت فى داخل هذا الحصن بدير القديس سمعان فى اسوان . وكانت هناك افران وطواحين ومعاصر للزيوت . واذا كان الموضع مناسباً تنشأ حديقة فيها اشجار النخيل والخضراوات ، ومازالت الآبار المبنية موجودة فى حالات معينة وهى محددة بالحجارة المنحوتة ، وكبيرة بما يكفى لهبوط وصعود سلسلة الأوانى المربوطة فى الساقية .

ويشكل نفس مبنى الكنيسة أو مجموعة الكنائس ، عنصراً واحداً فى المبانى المختلفة المحاطة بحائط السياج ، وعندما نعود الى ضرورة تخزين الحبوب واقامة الخدم ، وربما ايضا اعاشة الماشية كما يحدث اليوم فى الدوار الكبير او الصغير ، فاننا نرى بسهولة انه كان لابد من وجود عدد كبير من الأكواخ والمبانى داخل حائط السياج . وعلى ذلك فان الدير الذى لا يفاخر بكثرة عدد الرهبان قد يغطى مساحة كبيرة .

وقد وجدت بناء على دراستى لمثل هذه الاديرة التى استطعت زيارتها او التى جمعت عنها المعلومات ، انه من المستحيل رسم مسقط افقى عمومى ينطبق على جميعها . وتقع الكنيسة او الكنائس دائماً فى الشرق والغرب ، وهى فى الغالب تقع بطول الحائط الشرقى للسور . ويبدو

الباقى مشوشاً . ولا شك أن هذه الأديرة كانت بالنسبة للأماكن القريبة والبعيدة التى أنشئت فيها — تقع مقابل واجهة صخرة — مثل أعشاش الطيور أكثر منها منازل للناس ، وبذلك لا يمكن تطبيق نظام عام محدد للمسقط الأفقى . وفى حالات قليلة كانت الكنيسة تطل على المنطقة المحيطة بها بالطريقة العظيمة التى تعودنا عليها ، والحقيقة أن العظمة كانت قليلة أو معدومة .

وكما كان المعبد المصرى القديم منعزلا تماماً داخل سور من الطوب اللبن لا يسمح برؤية ما بداخله إلا إذا استكمل بناء برج المدخل ، فكذلك كانت الأديرة . والاختلاف الوحيد هو أن المعبد كان بناء ضخماً محاطاً بحوائط صلبة ومستقيمة ، فى حين كانت مبانى الكنائس وملحقاتها فى معظمها متواضعة وغير متقنة ومختفية خلف حائط سياج متواضع وأعوج وحقير .

ويمكن إلقاء أضواء أخرى على موضوع الأديرة المصرية بدراسة كتاب : بستان الآباء القديسين The Paradise of the Holy Fathers الذى أشرنا اليه من قبل، فنجد فى الصفحة ٤٤ (تاريخ القديس باخوميوس ، وهو جدير بالاهتمام لأنه يبين مدى تحرر حياة الراهب من القوانين الصارمة فى العصور القديمة . وتتراوح الفترة التى تحدث عنها هذا الكتاب ما بين عامى ٣٥٠ ، ٤٠٠ ميلادية . وربما تبلورت الأمور بعد ذلك . وحينذاك قد نتساءل عن بقايا المبانى الديرية التى طبقت النموذج وطورت طرازاً ثابتاً . وعندما نفحص الأجزاء الباقية من المبانى الديرية التى مازالت موجودة نجد أن تلك التى تعود الى التاريخ الأقدم لا تختلف عنها اختلافاً جوهرياً ؛ لأنه من الصعب القول بوجود نظام محدد لتخطيط المبانى التى نشاهدها الآن . ويبدو أن الذين تحركوا لتطبيق حياة التكريس قبل القديس باخوميوس لم يسكنوا معاً فى تجمعات ، ولكنهم سكنوا فى الغيران والصوامع . ولا بد أن نضع فى فكرنا أن انشاء التجمعات لم يضع نهاية لحياة النساك الذين مازالوا يعيشون أو على الأصح يتضورون جوعاً فى الصحارى فى أماكن بعيدة ، وبأعداد كبيرة .

ويذكر الكتاب فى الصفحة ١٤٤ ما يلى :

« كان يوجد فى مدينة طيبة والمقاطعة التى تحيط بها وهى التى تسمى تابنيسى (١) الرجل المبارك الذى يسمى باخوميوس . وقد عاش هـذا الرجل حياة نسكية مثالية مكللا بمحبة الله والانسان . وعندما كان جالسا فى صومعته ظهر له ملاك وقال له : « حيث انك اكملت حياة التكريس فلا تلزمك الاقامة هنا ، ولكن اجمع حولك هؤلاء الشاردين ، واقم معهم، واعد لهم القوانين التى سأعطيها لك » . وأعطاه الملاك كتاباً (أو الواحا) كتب فيه ما يلى :

١ ــ اسمح لكل فرد بأن يأكل ويشرب عندما يريد ، وافرض أداء الاعمال حسب قدرة هؤلاء الذين يأكلون ويشربون ، ولا تتحكم فى الاكل او الصوم . واكثر من ذلك عليك أن تفرض أعمالا عديدة على أقوياء البنية ، بينما تفرض اعمالا خفيفة على ذوى القوة المحدودة والـذين يمارسون الصوم .

٢ ــ وتبنى لهم صوامع ، ويسكن كل ثلاثة منهم فى صومعة واحدة .

٣ ــ ويشتركون معاً فى تناول الطعام فى غرفة واحدة (أو منزل) .

٤ ــ لا يقضون فترة النوم راقدين ولكن عليك أن تنشىء لهم مقاعد بحيث يستطيعون ان يسندوا رؤوسهم اثناء الجلوس .

٥ ــ واثناء الليل يرتدون اردية بدون اكمام ويضعون مناطق على احقائهم واغطية على رؤوسهم ... الخ .. الخ .

٦ ــ وان تجعل لهم اربعاً وعشرين رتبة .. الخ » .

ونعرف من هذه القوانين أن النظام الذى اتبعته هذه الجماعة الدينية عند نشأتها كان شيئاً اقل تفصيلا فى كافة نواحيه بالمقارنة مع القوانين التى وضعت فى الغرب . وهذا القانون الذى وضعه باخوميوس لم يتطلب مجموعة من المبانى المنظمة مثلما نجد فى أديرة أوربا . ونحن نفترض أن فقر وعزلة الحياة النسكية قد أثرت فى القانون الذى وضعه القـديس باخوميوس .

---

(١) تقع مقاطعة تابنيسى على الضفة اليمنى للنيل حيث يتحول النيل الى الغرب عند قنا ، وهى تمتد من قرب قنا الى قصر الصياد . انظر اللوحة رقم ٤٣ ، الخريطة رقم ٥ .

وتزايد عدد الرهبان بسرعة :

« وعاش فى هذا الجبل حوالى سبعة آلاف اخ ، وكان فى الدير الذى عاش فيه القديس باخوميوس الف وثلاثمائة اخ . والى جانب هؤلاء انشئت أديرة اخرى اقام فى كل منها ثلاثمائة أو مائتان أو مائة من الاخوة الذين عاشوا معا . وكانوا يعملون بايديهم ويعيشون هناك . وكانوا يقدمون القليل الذى يمتلكونه لأديرة الراهبات التى أقيمت هناك . وكان هؤلاء الذين يتولون الخدمة الأسبوعية يستيقظون مبكرين ويؤدون اعمالهم ، بينما يقوم آخرون بالطهى ، وآخرون يعدون الموائد ويضعون فوقها الخبز والجبن وأوعية الخل والماء . وكان بعض الرهبان يأتون لتناول الطعام فى الساعة الثالثة من النهار ، والبعض الآخر فى الساعة السادسة وبعض اخر فى الساعة التاسعة ، وآخرون فى المساء ، والبعض يتناول وجبة واحدة يومياً ، وكان البعض منهم يتناول وجبة واحدة اسبوعيا ... ، وكان بعضهم يعمل فى الفردوس (أى البستان) ، والبعض فى الحدائق ، والبعض فى ورشة الحدادة ، والبعض فى المخبز ، والبعض فى ورشة النجارة والبعض فى ورشة الصباغة . وكان البعض يصنع السلال والحصير من سعف النخيل ، وكان أحدهم يصنع الشباك ، بينما يقوم راهب آخر بصنع الصنادل ، ويعمل راهب آخر بالكتابة . وكان جميع هؤلاء الرجال يعملون ويرددون المزامير وأسفار الكتاب المقدس بانتظام » .

وقد عرفنا ضخامة عدد الرهبان والأديرة من القصة التى وردت عن أوكسيرنكوس فى ص ٣٣٧ ، وهى كما يلى :

« واتينا ايضا الى أوكسيرنكوس وهى مدينة عظيمة باقليم طيبة ، ولكننا عاجزون عن ذكر الأشياء العجيبة التى رأيناها هناك ؛ لأن المدينة مليئة بالسكان من الاخوة حتى اكتظت بهم جدرانها . لقد كان عدد الاخوة كبيراً . وهناك اديرة اخرى كثيرة حول هذه الجدران من الخارج ، مما جعلنا نظن أنها تشكل مدينة اخرى . وقد امتلأت هياكل المدينة ومعابدها والفضاء الذى حولها بالرهبان . والى جانب هذه الأديرة كانت هناك ثلاث عشرة كنيسة يجتمع فيها الناس لأن المدينة كانت كبيرة . وكان

فى كل دير مكان مخصص للرهبان لكى يصلوا فيه ؛ مما جعلنا نظن أن عدد الرهبان لم يكن اقل من عدد سكان المدينة لانهم كانوا كثيرين ؛ حتى انهم ملئوا المبانى فى بداخل المدينة . وعاش بعض الرهبان فى الأبراج التى بجانب البوابات ، وذكر الناس ان عدد الرهبان الذين عاشوا فى داخلها بلغ خمسة آلاف . وان هناك خمسة آلاف آخرين عاشوا حولها ... ، والآن فاننا نعرف من الاسقف المبارك الذى كان هناك انه يشرف على عشرة آلاف راهب وعشرين الف عذراء » .

وقد ورد ذكر تجمع آخر من الرهبان بالقرب من انتنوى . وحتى اليوم فاننا نرى هنا بقعة تسمى المحيقة ، تحتوى على خرائب مجموعة ضخمة من المبانى ، والعديد من الكنائس ولكنها تحتاج الى تحقيق دقيق .

لقد خاطرت بذكر الاقتباسات السابقة لانها تلقى قدراً كبيرا من الضوء على موضوعنا ، ونجد أن عدد الرهبان كان كبيراً فى العديد من الحالات ، حتى ان مدينة اصيلة مكونة من القلالى الصغيرة والأكواخ المبنية بالطوب اللبن قد تجمعت حول الكنيسة أو الكنائس التى تشكلت منهـا النواة . ولا بد انها تكدست جميعها مثلما تتكدس المنازل فى قرية حديثة . ويمكن لمثل هذا التجمع من المبانى غير المرتبة كما هو الحال فى القـرى اليوم ، اذا هجرت ، ان تختفى سريعاً تحت تاثير مياه فيضان النيل التى تتغلغل فى الارض ، والتجريف لصنع الطوب الذى يستخـدم فى مناطق اخرى ، ومثل هذه المجموعات من المنازل المهجورة التى بقيت سليمة تقع دائماً فوق تربة صخرية أو رملية جافة .

ولا شك ان العديد من الاديرة كان يقع فى وسط الحدائق والمزروعات، ونتيجة لذلك اختفت آثارها . ولو كان هناك نظام ثابت للتخطيط ، مع صلابة المبانى ، وطول الحوائط ، لبقى ذلك موجوداً ليحكي الحكاية لانه لم يكن من السهل تدميرها مثل حوائط الأكواخ . ونرى حول كنائس الدير الأبيض والدير الأحمر (انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٩) المجاورين للأرض المزروعة وليس فوقها ، آثار المبانى المبنية بالطوب اللبن ، والحوائط التى تحيط بها ، ولكن حتى هنا او فى انتنوى (المدينة) فقد ازال النهب الجزء الاكبر من الطوب ولم يتبق لنا اى اثر يدل على نظام شامل للتخطيط .

وهناك سبب آخر لوجود القليل من الآثار ، نعرفه من تاريخ القديس باخوميوس وكنيسته الصغيرة فهى لم تكن مبنى قويا أو جيـد التنفيذ ، ولذلك فانها سقطت بسهولة عند جرها بالحبال . وقد اختلفت قليلا عن معظم المبانى التى بقيت لدينا : لأن تلك المبانى التى بها اعمدة ، كانت رديئة الانشاء، واقيمت بطريقة مهملة ، حتى اننا نعجب لاستمرار وجودها . لقد ادت روح النسك المتاججة ، والتورع عن اتباع الهوى حتى فى اقل جهد يبذل لاضفاء لمسة جمال ، والرغبة الصادقة فى التضحـية ، الى نشوب الحرب ضد المبانى الفخمة التى حاول الرجال ان يبذلوا فى بنائها اقصى جهدهم لمجد الله . ومع وجود الاف الرهبان فقد كان فى مقـدور القادرين على العمل ، اقامة كنائس فخمة لو حسبوا ذلك عملا صحيحا .

وقد نجد فى مجموعة الأديرة التى مازالت قائمة على جبل آثوس ، شيئا لم ينقل من الأديرة القديمة التى وصفناها . وقد تعودنا أن نجد فى كل مكان برجا مرتفعا يشبه الحصن (القصر) . والكنائس الموجودة داخل حوائط السياج صغيرة وعديدة ؛ ولكننا لا نجد تخطيطا منهجيا للبناء كما هو الحال فى الغرب (١) .

وبالعودة الى دير القديس سمعان نجد أن الكنيسة لا تتصل بالطرف الشرقى مقابل حائط السياج ، أما الحصن (القصر) ذو الحجرات العديدة التى نظن انها كانت قلالى للرهبان ، فانه يحتل موقعاً مركزياً . وتوجد على ارضية بعض هذه الحجرات اجزاء مسيجة مثل الأحواض ، فهل هذه هى اسرة النوم ؟ وهناك حجرة كبيرة تقع فى الشمال وهى كما يبدو ليست جزءاً من المبنى الأول فربما كانت هى المطعمة ، وتوجد سلسلة من الأقسام فى الركن الجنوبى الغربى من المبنى ربما استخدمت كاسطبلات أو مخازن ، وتوجد آثار الطاحونة فوق ارضية حجرة اخرى . اما بقية المبانى فمن الصعب تحديد استخدامات الحجرات العديدة التى فيها وقد اصبحت الآن بدون سقوف . وقد تتيح لنا الحفائر الدقيقة الحصول على معلومات حول المواد التى نقلت من كل موقع . ويلاحظ فى مواقع عديدة وجـود درجات سلالم تقود الى قمة الحائط او الأبراج المحيطة .

---

(١) Athos, or the Mountain of the Monks, by Athelstan Riley. London, Longmans, 1887.

ولما كنا قد بذلنا اقصى جهدنا لاكتشاف بعض هذه الاشياء المتوقعة فى تخطيط الاديرة ، ومع فشلنا فى الاهتداء الى اى نظام عام ، فمن الأفضل أن نتساءل عن تلك الاشياء التى يجب أن نبحث عنها فى تخطيط الكنيسة، والتى ربما لا توضع دائما فى نفس المواقع بالنسبة لبعضها البعض كما سيظهر لنا من التجربة .

وبعد أن نعبر شمال الشلال الاول وندخل مصر، سنجد انفسنا — كما ذكرنا من قبل — فى مواجهة تخطيط كنيسة وطراز من المبانى لم نلتق به فى الجنوب . ان الكنائس فى الجنوب تصنف تحت طرازين اطلقت عليهما الطراز (ا) والطراز (ب) للملاءمة . وسنتقابل الآن مع الطراز (ج) وهو يختلف عن الطرازين الآخرين فى نواح عديدة — أن ارتفاعه لا يصل الى طابقين ، اى انه لا توجد شرفات أو دهاليز فوق الجناحين . اضف الى ذلك ان كنائس الطراز (ج) لا يحيط بها شىء من التخطيط البازيليكى لانها بنيت كلها ومنذ البداية بالحجارة غير المصقولة والطوب . وهى مسقوفة بقباب صغيرة ، لم يدخل الخشب فى بنائها . والقبة نصف دائرية محمولة فوق حجرة صغيرة مربعة ، وتحدها اربعة جدران . وعند تجميع عدد من هذه القباب مع بعضها ، كانت تستند الى اربعة عقود مع انفتاح كل حجرة صغيرة على الحجرة الأخرى . وعندما تتقابل العقود فانها تقف على عمود أو دعامة . ولما كانت القباب والحجرات الصغيرة ذات حجم موحد فاننا نصل الى الداخل البديع المنظر ، وهو منخفض وبه العديد من الاعمدة ويدخله الضوء من أعلى . والمبنى قابل للاتساع فى كل اتجاه بلا حدود . وفى معظم الحالات نجد أن هذا الاتساع لم يستغل لتوسعة المبنى فى اى بعد فيما عدا العرض . ويصل ذلك الى ذروته فى المسقط الأفقى الموضح على اللوحة رقم ٣٥ ، دير القديس باخوميوس فى ميداموذ حيث نجد اربع حجرات من الشرق الى الغرب ، وعدد لا يقل عن ثمانية من الشمال الى الجنوب . ومن الواضح أن التصميم المعمارى من الطراز (ج) ناتج عن فقر الخامات التى اضطر الصناع الى استخدامها . وربما استطعنا مساعدة القارىء بالمضى فى وصف الترتيبات وقطع الاثاث التى توجد فى الكنائس القبطية بوجه عام[1] .

---

(١) ربما يعترض البعض على ان هذا الوصف يأتى متأخرا زمنيا ، اما بالنسبة للكاتب فقد ظهر له عدم وصف الاثاث والترتيبات الطقسية ، لان المبانى الجارى =

وقد روعى اتجاه المبنى بدقة مع انه ليس دقيقا بالضرورة . وبقدر علمى لم يحدث ان وجدنا الاتجاه خاطئاً فى اى مبنى قائم ، وقد تحول فى جزء او آخر من اجزائه للاستخدام ككنيسة ، اللهم الا فى حالات قليلة .

ويوجد فى المبانى التى سنصفها مذابح عديدة مقامـة فى صف من الحجرات الشرقية الصغيرة ، ولكن كل مبنى يتضمن مذبحا يفوق بقيـة المذابح فى الأهمية . ويقع المذبح فى حجرة مجهزة تسمى الهيكل ، وحيثما يوجد العديد من المذابح فهناك ايضاً العديد من الهياكل . ويختلف عـدد المذابح : فبعض الكنائس ليس بها الا مذبح واحد . والبعض الآخر به عدد كبير . ولكن العدد ثلاثة هو الشـائع . ويقول البعض ان هذا العدد يشير الى الثالوث المقدس ، بينما يقول البعض الآخر أن المذبح الاول يشير الى مذبح البخور ، والثانى هو مذبح القربان ، والثالث هو مائدة تابوت العهد حسب ترتيب خيمة الاجتماع فى العهد القديم . والمؤكد هو ان ضرورة وجود أكثر من مذبح تعود الى اسباب طقسية ؛ لانه لا يمكن تحت اى ظرف ان يستخدم المذبح اكثر من مرة فى اليوم الواحد ، ويكرس المذبح الرئيسى دائماً باسم القديس شفيع الكنيسـة . ولكن دراستنا للرسـومات التخطيطية ستبين صعوبة تحديد المذبح الرئيسى . والكنيسـة لا تقسـام بخط محورى واضح .

والمذبح غير متصل بالحائط الشرقى حتى يستطيع الكاهن أن يدور حوله . وهو مبنى بالأحجار المغطاة بالملاط ، وبه حنية فى الجانب الشرقى ، ويوجد فى قمته غاطس توضع فيه المائدة المقدسة (١) ويطوق المذبـح حجاب سميك يطلق عليه اسم : حامل الايقونات . وبفحص الرسـومات التخطيطية نلاحظ ان الحجاب به باب رئيسى ، وعلى كل من جانبيـه شباك صغير . ويوجد احياناً بابان بينهما شباك صغير . ولا أستطيع ان اقدم سبباً لتفضيل اى من الاسلوبين على الأسلوب الآخر .

---

* وصفها قد تحولت جميعا الى خرائب حتى مستوى الارضية تقريبـا . وليست بينها كنيسة واحدة صالحة للاستعمال . اما الكنائس التى نصفها الآن فان بعضها يستخدم حاليا .

(١) انظر كتاب بتلر : الكنائس القبطية القديمة ــ الجزء الثانى ــ الفصل الاول .

ويصنع الحجاب من الخشب والطوب او الأحجار وليس له ارتفاع محدد ، ولكن ارتفاعه يتجاوز ارتفاع قامة الانسان ، وهو يختلف حسب أبعاد الكنيسة ومقدار الثراء ؛ ففي الكنائس التي بالقاهرة ونقوم بزيارتها كثيراً ، نجد ان الحجاب مصنوع من الخشب وبه زخارف عديدة، اما في الكنائس الريفية حيث تقل الأموال ، فان الحجاب يبنى من الطوب والأحجار .

وبالمرور من خلال الحجاب (بعد ان نخلع احذيتنا) ندخل الى الهيكل ؛ وهو يتضمن كل الجزء من المبنى الذي يقع شرق الحجاب . وقد ينتهي بحنية او يتخذ شكلا مربعاً . ويوجد في بعض الكنائس مظلة أو قبة فوق المذبح مصنوعة من الخشب وقائمة اما على أربعة اعمدة صغيرة او على عارضتين خشبيتين افقيتين تمتدان من الشرق الى الغرب من حائط الى الحائط الآخر وذلك عندما تكون المساحة محدودة . ولا يمكن مشاهدة المذبح الا اذا كان باب الحجاب مفتوحاً . ولكن حتى عندما يكون الباب مفتوحاً فلا يظهر الا القليل .

وفي بعض الحالات عندما تكون الكنيسة من الطراز (أ) البازيليكي ، يوجد باب صغير في شمال الهيكل ، وآخر في جنوبه ، يقود كل منهما الى الحجرة المجاورة . ويوجد في النوبة وبطن الحجر ممر يربط بين الحجرتين خلف الهيكل .

وعلينا ان نتذكر دائماً قول مستر بتلر انه لم يقم بزيارة أية كنائس سوى تلك التي في القاهرة او حولها او في وادي النطرون . ويحكي لنا بين حين وآخر عن بعض الاختلافات ولكنه كلما اتيحت له الفرصة لفحص اكثر من نموذج كان يمتنع عن مثل هذه العبارات المحددة ولا يستطيع شيء ان يقلل من اهمية وقيمة كتابه الذي رجعت اليه عدة مرات كما سأعود اليه مرات اخرى عديدة .

وكما يذكر هؤلاء الذين درسوا كتاب بتلر ، فان كنائس القاهرة يتكون جناحاها من طابقين، الطابق العلوي للجناح أو الدهليز(اذا اسميناه كذلك) ويطل منه فتحات على داخل الكنيسة ، وهنا تجتمع النساء ، والعديد من الكنائس التي وصفناها في هذا الكتاب لها جناحان من طابقين

ولكن الفتحات التى تطل على الصحن صغيرة ، أما الكنيسة التى تخص الرهبان فلا تحتاج الى دهليز للنساء نظراً لاستبعاد الاناث من الكنيسة والديــر .

ونجد فى الكنائس التى من الطراز (ح) ان جسم الكنيسة ينقسم الى اقسام باستخدام الاحجبة الخشبية او جدران ساترة . وتوجد المعمودية فى احد هذه الأقسام ، وفى قسم آخر يوجد مكان للنساء ، وهكذا . والسبب فى ذلك هو تقلص عدد السكان فى القاهرة القديمة كما يذكر مستر بتلر ، ان الشرفات العلوية فى كنائس القاهرة قد هجرتها النساء المتعبدات وكذلك الصحن الذى تم تقسيمه حسب الطريقة المذكورة حيث يجلس جميع الحاضرين على الأرض . وستبين الرسومات التالية أن تلك الاقسام الفرعية ليست دائما فى نفس مواقعها النسبية . والهيكل هو المكان الوحيد الثابت ، أما المعمودية على سبيل المثال فانها تبنى فى اماكن مختلفة ، ولكنها غالبا تقام فى احدى الحجرات الصغيرة المجاورة للهيكل ، ولكنها قد تقام احيانا فى القسم الغربى من الكنيسة كما هو الحال فى كنيسة الملاك ميخائيل فى ادفو (١) او فى ركن قاص كما هو الحال فى الميدامود (٢) . ولا بد من ملاحظة ما اذا كانت المعمودية فى العديد من الحالات لا تمثل شيئا اقحم منذ عهد قريب . واذا كان المبنى يمثل كنيسة لاحد الاديرة فان الأمر لا يتطلب استخدام معمودية ، وقد مضى زمن طويل على نهب الاديرة وقد اجهز على العديد منها ، ونحن متأكدون من ذلك كما هو الحال فى الدير الابيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج لأنها الآن تعادل كنائس ابروشية ، وقد بنيت المنازل فى حرم الكنائس المخربة لتعيش فيها عائلات تطالب بالعماد وغيره من الطقوس الكنسية ، وقد ازيلت هذه المنازل ، وينتشر الفقر والقذارة فى كل جزء من اجزاء المبانى القديمة ، وفى خلال الاثنى عشر او الاربعة عشر عاماً الأخيرة ، تحسنت الاحوال فى القاهرة والمناطق المجاورة لها ، ولكن التغيير فى الريف طفيف . وبعد أن نترك أسوان ستكون أول كنيسة نقدم وصفاً لها هى :

---

(١) انظر اللوحة رقم ٣٣ .

(٢) انظر اللوحة رقم ٣٥ .

دير الملاك ميخائيل فى ادفو
(اللوحة رقم ٣٣ — الشكل رقم ١)

يقوم هذا البناء فى غرب ادفو على حافة الصحراء ، ولم اجد له ذكراً فى كتاب « ابو صالح » . وقد عملت الرسم التخطيطى له فى ٢٣ يناير سنة ١٩٠١ .

وتتصل الكنيسة بحوائط من الطوب اللبن عبارة عن اجزاء مبان أقدم من الكنيسة نفسها وقد ابلغنى الكاهن ان الكنيسة التى نراها الآن بنيت منذ سبعين او ثمانين عاما . ومن المدهش أن نرى انه حتى ذلك الوقت لم يحدث تغيير فى طراز المبنى عن ذلك الذى أستخدم على مدى قرون عديدة ، والكنيسة القبطية التى تقام اليوم تمثل خليطاً من الاشياء هى الاناقة والاعتدال والبهرجة . وقد هجرت الأسطح ذات القباب ، وحلت محلها كمرات غير مستولة وهى ما قيل عنها انها كمرات مختفية وراء سقف مغطى بالجص الابيض . ونرى فيها نوافذ كبيرة امتلأت بمربعات من الزجاج الاصفر والاحمر والأزرق اللامع . وليست هناك مهارة فى اقامة البناء او جمال فى المحصلة النهائية . واليوم يتم استيراد الواح الخشب بكميات كبيرة بحيث يستطيع اى انسان مبتدىء أن يقيم حائطين من الطوب ويضع فوقهما بعض قطع الأخشاب .

ودير الملاك ميخائيل هو اول نموذج أقدمه من الطراز(ج)الذى يختلف عن النموذج البازيليكى ، فالعقود التى تحمل القباب مدببة اما الساحة التى تتكون من اربعة عقود فقد تجمعت فى شكل مثمن الاضلاع فى الأركان . وارتفعت فوق المثمن حوائط منخفضة مكونة ما يشبه رقبة القبة ، وقد اقيمت فوقها نوافذ صغيرة . وترتكز القبة نصف الدائرية على رقبة القبة . واقيمت فيها ايضا فتحات صغيرة (١) . ولا توجد فتحات بهـا زجاج وبذلك فان كمية الضوء الداخلة كافية ، بينما يظهر جمال توزيعها من اعلى . اما المذابح فقد كرست كما يلى :

(ا) الملاك ميخائيل .

(ب) العذراء ، المذبح الرئيسى .

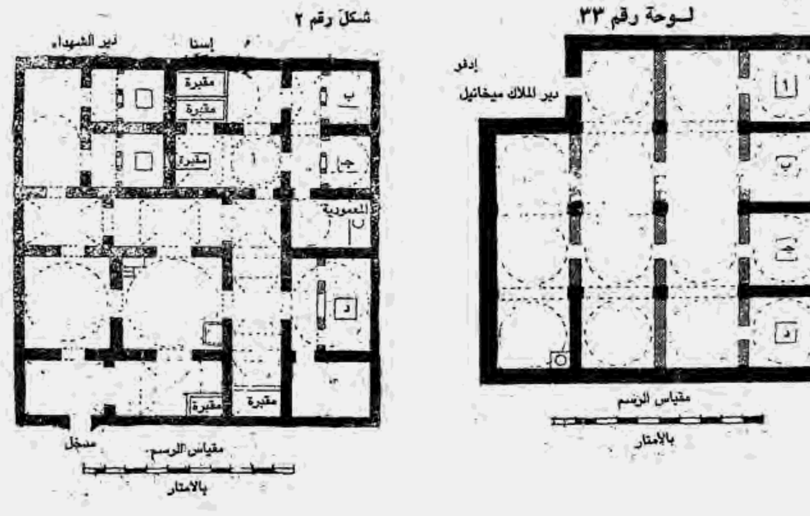
(ج) القديس باخوم .

(د) القديس يوحنا . والمعمودية بعيدة عن المذابح فى القسم الذى فى اقصى الغرب من الكنيسة . اما جدران الحجاب التى ترتفع حتى مستوى بروز العقود فهى صلبة وتشتها المداخل الصغيرة .

---

(١) انظر الشكل رقم ٥ من هذا الكتاب .

لوحة رقم ٣٣



شكل رقم ١
إدفو
دير الملاك ميخائيل
أ
ب
جـ
د
مقياس الرسم
بالأمتار
شكل رقم ٢
إسنا
دير الشهداء
مقبرة
مقبرة
مقبرة
مقبرة
مقبرة
المعمودية
مدخل
مقياس الرسم
بالامتار

واظن ان المكان المخصص للسيدات هو القسم الذى فى اقصى الغرب حسب ترتيب كنائس القاهرة اما القسم الثانى نحو الشرق فقد يكون مخصصاً للرجال . والقسم الذى يليه فى اتجاه الشرق مخصص للشمامسة واحتفالات الكنيسة . اما ما لا يقدر ان يراه المصلون فى العديد من هذه المبانى فهو محدود لانهم يقومون بالمشاركة . والتأثير الداخلى للكنيسة التى تنتمى الى هذا الطراز يبعث بالسعادة ، ويدخل الضوء المنتشر بشكل مفرح من خلال النوافذ العلوية الصغيرة . اما العقود العديدة التى تحمل القباب ، فإنها تعطى احساساً بالفخامة وكذلك الارتفاع الذى يتجاوز المقاييس المجردة للمبنى .

دير منأوس (١) والشهداء فى إسنا
اللوحة رقم ٢٣ ، الشكل رقم ٢

اقامت الامبراطورة هيلانة هذه الكنيسة حسب ما ورد فى التقليد الكنسى واخشى ان تكون هذه الحكاية فى طبيعتها مجرد امنية من الناس الاتقياء اكثر منها حقيقة يمكن التثبت منها ، لأن تأسيسها على يد الامبراطورة هيلانة يمثل امتيازاً لكنيستهم ويسعد المسئولين عنها . وكما نرى فان المبنى لا يمكن أن يعود الى تلك التاريخ وهو يقع الى الجنوب الغربى من اسنا على حافة الأرض المزروعة .

وقد ورد ذكر تكريس كنيسة الشهداء بإسنا فى السنكسار الاثيوبى تحت اليوم التاسع عشر من طوبة ويحتفل بعيدهم فى اليوم التاسع عشر من شهر أبيب .

والحوائط مبنية من الطوب الاحمر . وتقوم الكنيسة فى داخل سياج يبدو فى الرسم التخطيطى مربع الشكل ، وهى ملحقة بالجانب الشرقى من الفناء المسيج ، الذى يوجد داخله خرائب العديد من المبانى التى كانت مبنية بالطوب والتى يبدو انها بقايا مبان ديرية . وسأقدم وصفاً لها بكلمات فلاديمير دى بوك (٢) :

---

(١) القديس أمونيوس هو اسقف شهيد استشهد فى عصر دقلديانوس ويقال انه دفن فى قرية الشيخ عبادة ، وهى القرية المجاورة لموقع انتنوى .

(٢) 'L'intérieur du rectangle, formé par les murs d'enceinte du couvent et mesurant à peu près 150 pas sur change côté, présente, comme tous les couvents coptes un dédale de petites constructions voûtées en berceau ou surminiées de couples et entourant l'église et un baptisère. Toutes ces cinstructions dont une partie a dû servir d'habitations et de communs, remplissent le coté ouest du rectangle. Le côté est occupé par une cour dans laquelle se trouve une saquieh, =

ويستمر مستر دى بوك فى وصف الزخارف العديدة التى بقيت على الجدران ولكنها مشوهة بشكل يؤسف له . وقد وجد تاريخ احداهـــا مدونا فوقها وهى تعود الى سنة ٥٠٢ للشهداء اى سنة ٧٨٦ ميلادية . اما المسقط الافقى للكنيسة فهو يختلف عن الكنائس التى فى ادفو . وهو يندرج تحت الطراز (ب) ولكن بحجم كبير . ويبدو أن حجمه قد زاد بمقدار الضعف . والمبنى الأول هو الواقع فى الجنوب الشرقى ويرتبط به المذبح الرئيسى ، والمبنى الثانى الذى به مذبحان ، ملاصق للشمال الشرقى . اما المبنى الثالث الذى به مذبحان فانه يقع غرب الثانى . واخيرا فــان التعديلات قد جمعت الثلاثة فى رسم تخطيطى مختلط ووضعوا فى داخل مستطيل .

* وندخل فى الجنوب الغربى ونجد انفسنا فى داخل الجناح الجنوبى ، وهناك فراغان تغطيهما قبتان شمال ذلك الجناح ، وعلى الخط المحورى الرئيسى . والمبنى الثانى الذى به مذبحان ، ملاصق للشمال الشرقى . المحــور تخرج منه الهياكل .

وهناك ثلاث حجرات تنفتح من الدهليز المستعرض للكنيسة الاصلية الرئيسية على اتجاه الشرق ويقع الهيكل فى الوسط ويداخله المذبح وهو مفتوح فى الجانب الغربى نحو الدهليز عن طريق عقد واسع ، ولكــن الحجرات التى فى الشمال والجنوب لا تظهر منها اية فتحات نحو الغرب كما هو متوقع وقد بنيت المعمودية فى الحجرة الشمالية . ونلاحظ أن العقود التى على خط المحور وجميع الحجرات الاخرى تقريبا صغيرة الحجم ، وهى الآن اكبر من الداخل . والحوائط غير سميكة فى كل مكان ، واشك فى

= fournissant l'eau au couvent, et un long couloir voutè près de la port d'entrée.

'Le baptistère, separt de l'église par un long passage à récouvert, est formé par une assez grande chambre carrée avec un grand font de baptême destiné aux personnes adultes. La couple qui recouvrait le baptistère s'est effondrée. Deux rangée de cellules séparées par un couloir voûté sont accolées aux murs ouest du baptistère. Au bout ouest du passage qui sépare l'église du baptistère et des cellules, le mur d'enceinte a une grande porte actuellement murée, bien visible dehors Le long du mur sud du couvent s'étend une longue construction avec voute en berceau. Une construction semblable se rencontre près des murs est ouest de l'église.'

Wladimir de Buck, Matériaux pour servir à l'archéologie de l'Egypte Chértienne, St. Petersbourg, 1901, p. 72.

انها كانت قادرة على حمل ثقل القباب عند بنائها مع اتساع عقودها وهى متناهية فى الصغر بهذا الشكل .

وبعد عبور الدهليز المستعرض فى اتجاه الشمال تدخل الى ما جازفت بأن أطلق عليه اسم الكنيسة الثانية ، وهنا نجد قطعة العمارة الوحيدة المزخرفة فى هذا المكان ، وهى عبارة عن القبة الصغيرة المبينة بالرمز (أ) على الرسم . أما الشكل المثمن الأضلاع والزوايا الذى ترتكز عليه القبة فهو محمول على مثلثات ركنية مزينة بمقرنصات ، وجميع عقودها مسطحة الجوانب ، وهى تفاصيل تمثل خصائص العصر الفاطمى . ونجد هنا مقبرتين على شكل مبنيين كبيرين من الطوب .

والمذابح مكرسة على اسم : (ب) مارجرجس ؛ (ج) الست مريم ؛ (د) الشهداء .

ويلاحظ ان الأحجبة التى تستر الهياكل تنتمى جميعها الى طراز واحد ، ولكل منها مدخلان بينهما فتحة صغيرة . وهذه هى المرة الأولى التى نلتقى فيها بمثل هذا الترتيب ؛ ولكن القارىء سيتعرف فيما بعد الى نماذج أخرى من نفس الطراز .

والعقود الأصلية التى تحمل القباب جميعها مدببة وهى مكونة من قطع الدائرة . والعديد من العقود التى فى أحجبة المذابح لها عقود مستقيمة الجوانب كما هو موضح بالخطوط المنقطة على الرسم وهذا التكوين من خصائص العصر الفاطمى (انظر الشكل رقم ٢٠) .

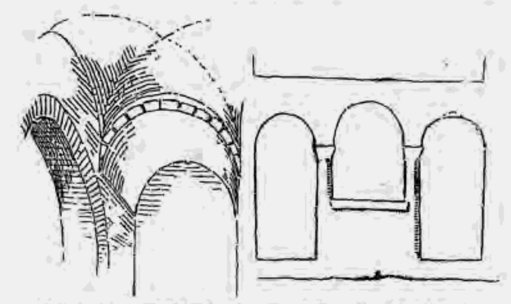
واعتذر لعدم تأكدى من تكريس المذبحين اللذين بالكنيسة التى فى الشمال الغربى ، حيث يوجد فى الركن الشمالى الغربى وتحت القبة المركزية للكنيسة تكوين من الطوب اللبن والجص هو المنبر .

وربما أثارت الطريقة البارعة التى قسمت بها السقوف المقبية فى شمال وشرق وجنوب القبة المركزية الانتباه من حيث وجهة النظر المعمارية . وقد بنيت جميع العقود والقباب من الطوب اللبن وأقيمت بدون استخدام السقالات التى نظن انها ضرورية . ومن السهل بناء قبو اسطوانى او تغطية فضاء مربع ، سواء باقامة قبة او قبو متقاطع ولكن الصعوبة ظهرت

فى هذه الكنيسة فقد ارتفعت العقود التى ارتكزت عليها القبة المركزيــة عالية بالنسبة لمرور تيجانها أسفل بروز القبو المستمر فوق الدهاليز التى فى الشمال والشرق والجنوب . وقد تغلب البناءون على هذه الصعوبة عندما بداوا باقامة قبو اسطوانى عند كلا طرفى الدهليز ، واختصــار الفضاء الذى بين العقدين الى مربع ، وبعد ذلك بداوا فى اقامة المعقــد المتقاطع ذى القاعدة المربعة ، وبذلك تغلبوا على المشكلة (الشكل رقم ٢١) . وفى حالات قليلة نرى القباب فى الرسم التخطيطى بيضوية الشكل تقريباً ، حيث يتجاوز طول المحور الأطول طول المحور الاقصر بمقدار مرة ونصف المرة ، ولذلك فان النظر اليها غير مريح بالاضافة الى صعوبة بنائهما ، لأن الطريقة السهلة الممثلة فى استخدام الخيط والعقدة التى وصفناها فى الفصل الثانى لم تستخدم هنا .

واود أن الفت الانتباه الى التشابه الموجود بين الكنيسة الاولى (كما اسميها) فى هذه المجموعة التى فى إسنا والمسقط الأفقى (اللوحة رقم ٣٠ ، الشكل رقم ٢) للكنيسة التى فى المضيق بالنوبة . وفى مدينة إسنا بالقرب من مكتب البريد توجد كنيسة قيل لى انها حديثة البناء ، وربما كان ذلك صحيحاً بالنظر الى مظهرها المتواضع .

واننى اقدم وصفاً لها لانها عينة لما حدث نتيجة اهـتزاز التـأثير الأوربى القوى ، والقدرة على الحصول على الألواح الخشبية التى حملتها السفن من البحر الأسود والأماكن الاخرى . ويغطى البناء حوالى نفس المنطقة التى تغطيها الكنيسة التى وصفناها فى ادفو . وفى الداخل ثلاثة حوائط تمتد من الشمال الى الجنوب على مسافات تبلغ كل منها اربعــة امتار بين الحائط والآخر ، وتبرز من كل حائط ثلاثة عقود . أما الفراغ الذى تنفتح عليه العقود التى فى اقصى الشرق فينقسم عن طريق استخدام الحوائط الى كنائس صغيرة بكل منها حجاب من الخشب الغليظ يتوسطه المدخل . وقد اقيم القسمان اللذان يخصان النساء والرجــال بواسطة حواجز من الخشب . والمبنى غير مقبى ، ولكن الفراغات التى بين العقود مغطاة بجذوع النخيل التى تحمل طبقة من البوص فوقها طبقة من الطوب اللبن وطمى النيل . وقد تركت ثقوب هنا وهناك لادخال الضوء .



شكل رقم ٢٠ : حجاب الهيكل فى اسنا   شكل رقم ٢١ سقف مقبى فى اسنا ٠

دير الشهيد تادرس المحارب بمدينة هابو

لوحة رقم ٣٤ ، الشكلان ١ ، ٢

تقع هذه الكنيسة منفردة فى الصحراء الى الجنوب قليلاً من معبد مدينة هابو (١) ، وتبتعد قليلا عن الارض الزراعية التى تقع فى شرقها .

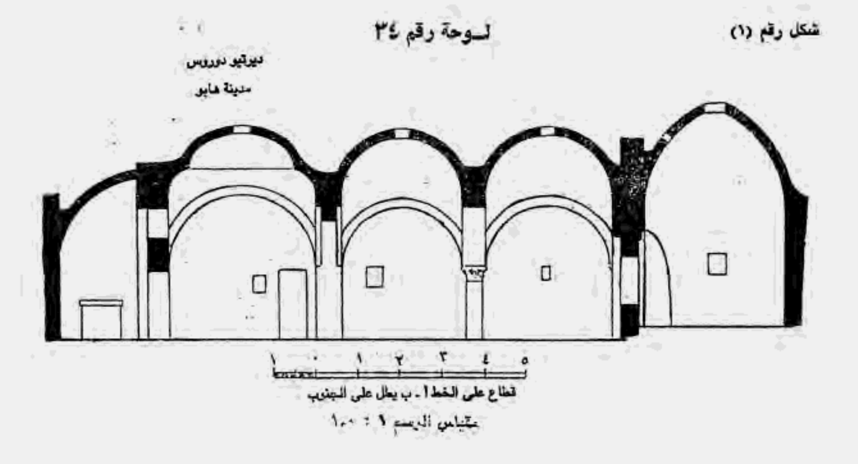
وقد تم اجراء مقاسات المسقط الافقى فى ١٩ مارس سنة ١٩٠١ وهو يمثل نموذجاً جيداً للطراز (ج) ويتكون من نواة مستطيلة الشكل ربما كانت هى المبنى الاول وقد اضيفت اليه حجرة فى الجنوب الشرقى وجناح فى الغرب . اما طبقة الجص الابيض الذى على الجدران ، فإن حالتها جيدة جداً سواء من الداخل او الخارج . وقد اكتشفت — بسبب الزيارات العديدة التى تمت بها — بعض الروابط المستتبة ، واذا كنت مصيباً فلا بد انها تمتد مع وصلات القطع القديمة والجديدة فى البناء .

ويتكون السقف من سلسلة من القباب تستند فى معظمها على عقود تبرز من مستوى منخفض لا يزيد على ١٫٧٥ متراً من الارضية . ويلاحظ ان هناك اربعة هياكل فى ناحية الشرق وهى بالرغم من انها مستطيلة

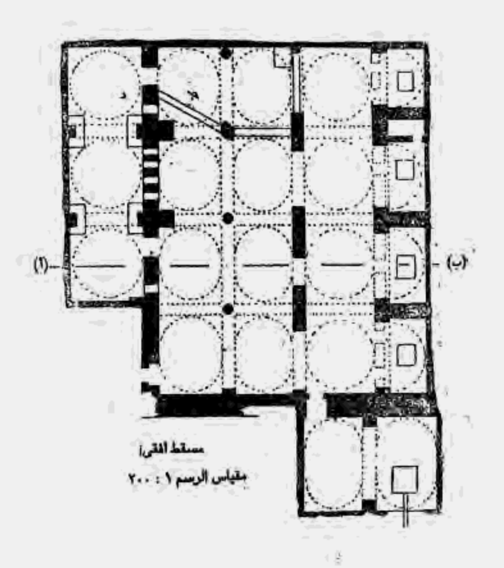
(١) نقول لفائدة هؤلاء الذين لم يزوروا اطلال طيبة ، ان معبد مدينة هابو الذى بناه رمسيس الثالث يقع على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة الاقصر ، ويمثل واحدا من مجموعة المعابد والمقابر التى اعطت الشهرة لهذا المكان .

شكل رقم (١)

لـوحة رقم ٣٤



شكل رقم (٢)



فى الرسم التخطيطى الا انها مسقوفة بأنصاف قباب ، وان الاحجبة ليست كلها متشابهة فان اثنين منها لكل منهما باب فى الوسط ، بينما نجد بابين فى كل من الحجابين الآخرين . ويتكون كل حجاب من حائط وبدون فاصل او حاجز خشبى . والسلسلة الاولى من القباب التى تقع غرب المذبح مباشرة بها عقود حاملة ، ترتكز ليس على دعامات او اعمدة بل على ما يشبه قطعاً من الجدران ، تبرز منها عقود تنفتح مباشرة على الاجنحة التى فى الغرب . وترتكز قباب هذا الجزء من الكنيسة وعقودها الحاملة على اعمدة من الحجر الصلب لها تيجان مشكلة بطريقة بدائية على شكل اوراق الشجر . وقد علمت أن الجناح الغربى قد اضيف مؤخراً كمكان للنساء حيث تبرز الفتحات من الحائط الغربى الاصلى للكنيسة .

ولا بد ان الحجاب (ج) المبنى من الطوب ، الذى يمثل الجزء العلوى من البناء المفتوح قد اقيم مائلا وبذلك اصبح المنظر الذى يبدو من الفتحة فى اتجاه الهياكل غير متقطع . ويلاحظ ان المعمودية موضوعة فى الحيز الذى يشكله هذا الحجاب . والاحجبة مبنية كلها من الحجارة والعديد من الاحجار تحمل صلباناً بالنقش الغائر البدائى .

ويتم الوصول الى المبنى المقبى فى الجنوب الشرقى من خلال الكنيسة وحدها . وفى داخله خزان غاطس فى الارضية يملأ من الخارج . وينحصر الحائطان الشرقى والشمالى داخل جدران تحيط بمنطقة مربعة الشكل بها حجرات متفرقة وحجرات اخرى صغيرة ذات طابع شخصى، وهى كلها متربة وخربة ومهجورة .

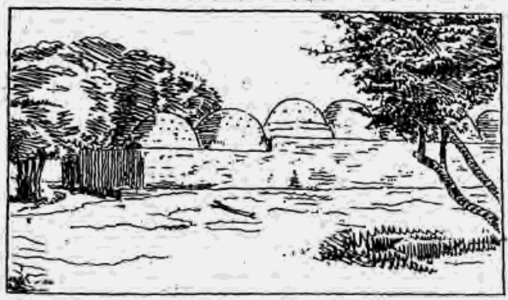
ويلاحظ ان بعض القباب التى تغطى هذه الكنيسة غير مستديرة ؛ ولكنها ذات محور اطول من المحور الآخر . والمبنى مضاء من خلال الفتحات التى فى القباب . وهو يعطى احساساً بديعاً ، وبالرغم من عدم وجود شىء يفوق بساطة الداخل المطلى بالجير المائى ، الا ان العديد من المبانى الطموحة لا تصل الى نصف هذه الروعة .

والمذابح مكرسة على اسماء : العذراء ، وابلادبوس (ابن اخت تادرس) والملاك ميخائيل .

دير القديس باخوم ـ الميداموود
اللوحة رقم ٣٥ شكل (١ ، ٢)

تقع هذه الكنيسة شمال شرق خرائب معبد الكرنك العظيم ، وهى تنتمى الى الطراز (جـ) وتعتبر من اكثر نماذج هذا الطراز غرابة ؛ لأن بها ما لا يقل عن خمسة مذابح فى صف واحد ، ويبدو أن المبنى كان بهـذا الترتيب منذ البداية . أما التأثير الداخلى فهو واضح من الشكل رقم ٣٢ . وهناك فى (جـ) مدخل السيدات ويحدد مكانهن حاجز من أشغال الخشب وبذلك يبتعدن عن المذبح الرئيسى وهو الأوسط من بين المذابح الخمسة . وتقع المعمودية فى القسم الخاص بهن من الكنيسة . وهناك احتياج كبير للتنظيم والتطابق بين الجناحين اللذين فى اقصى الغـربه والجناح الذى ينفتح عليه الهيكل . ويرتفع الحائط الذى تبـرز منـه الفتحات وبعض المنافذ ، بقدر الارتفاع الذى تنطلق عنده العقـود ، ونتيجة لذلك ؛ فإن الكنيسة لا تبدو للعين منقسمة الى قسمين كما هو ظاهر فى الرسم التخطيطى .

وقد بنيت الاحجبة جميعها من الحجارة وأبوابها فى الوسط . وقد اقيم البناء من الطوب الأحمر المخلوط بالمونة الطينية . وقد طلى جـزء صغير من الحوائط الداخلية بالجص فيما عدا القباب . وقد بنيت فى الحوائط هنا وهناك بعض الأحجار التى نقشت عليها الصلبان . ويدخل الضوء من أعلى عن طريق نوافذ صغيرة أو فتحات فى القباب .



شكل رقم ٣٢ : دير باخوم فى الميداموود

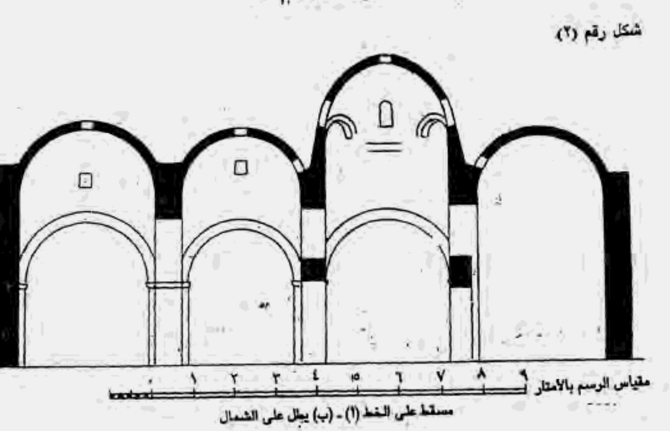
لـوحة رقم ٣٥

شكل رقم (١)

دير القديس باخوم الميدامود

لوحة رقم ٣٥

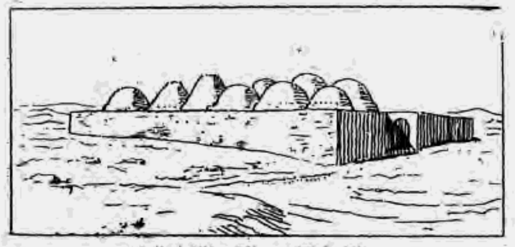
شكل رقم (٢)



مسقط على الخط (أ) - (ب) يطل على الشمال

وتوجد فوق المذبح الذى فى الهيكل الرئيسى قبة أو مظلة من الخشب على قاعدة مربعة . اما الأعمدة التى ترتكز عليها فانها قائمة بجوار المذبح مباشرة . ومن الصعب المرور بين المذبح ودعامات المظلة . وهى تنتهى فى اعلاها على شكل مثمن الاضلاع والزوايا . ويبدو من طرازها وطريقة عملها انها اقيمت حديثاً . وقد وضعت فى قمة الاعمدة الاربعة وعلى الامتداد بينها قطعة من النسيج على شكل مظلة ثانية للمذبح اسفل المظلة الأولى — حسب ما رأيته عند زيارتى للكنيسة ، وكان المذبح مستخدماً عند كتابتى لهذه البيانات . ولست متأكداً مما اذا كانت هذه المظلة التى من القماش قد وضعت اثناء القداس فقط أم لا .

ويتصل بالكنيسة فناء مستطيل الشكل ومناسب من حيث الحجم . وقد تمت بقياسه فى ١٩ مارس سنة ١٩٠١ .



شكل رقم ٢٣ : دير الملاك ميخائيل فى قامولا

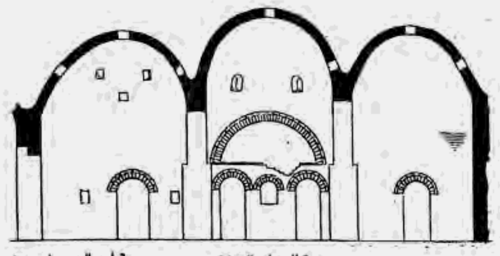
دير الملاك ميخائيل في قامولا
اللوحة رقم ٣٦

تقع هذه الكنيسة على الضفة الغربية للنيل . ويبلغ عرض الأرض المزروعة التى بين ضفة النيل والدير مسافة ملحوظة ، وتنتهى الزراعات كما تحدث دائماً ، بشكل فجائى مقابل حافة الصحراء التى ترتفع عدة امتار ، ونتيجة لذلك تصبح خارج متناول امكانات الرى . وعندما نتقدم قليلاً فى الصحراء باتجاه الغرب ، نشاهد أمامنا حوائط السياج المنخفضة المبنية من الطوب اللبن والمخربة بشكل محزن ، وتظهر قباب الكنائس المتواضعة مثل مناجين مقلوبة ، موضوعة فوقها . وتجد منظراً عاماً لها فى الشكل رقم ٢٣ . ويوجد بالقرب من الدير بئر عليها ساقية —

لـوحة رقم ٣٦

شكل رقم (١)

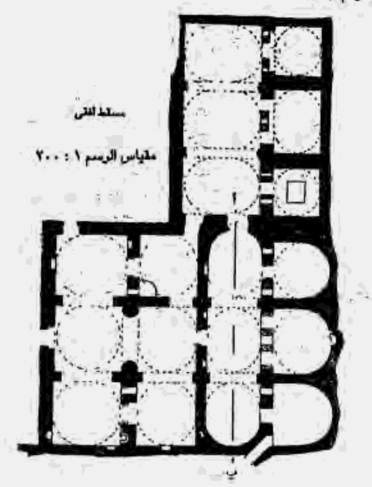
دير الملاك ميخائيل قامولا



قطاع على الخط أ - ب

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

شكل رقم (٢)



وتظهر قبور عديدة بالقرب من الناحيتين الجنوبية والشرقية . وهناك كنيستان متجاورتان تقع الكبرى منهما فى الجنوب . وهما مبنيتان من الطوب اللبن وبعض الطوب الأحمر . وتظهر شظيات قليلة من الحجر عليها كتابات هيروغليفية وقد أخذت من بعض المعابد القديمة . وتمت بقياسها فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠١ .

ويلاحظ ان الكنيستين متصلتان عن طريق فجوة فى الحائط . وقد اغلقت هذه الفجوة فى الجانب الشمالى بواسطة عقد ، ولا يوجد فى الجنوب شىء يكشف عن وجود مدخل . والطريق الذى يستخدم فى المرور عبارة عن ثغرة . وكل ذلك يقود الانسان للقول بان المبنيين لم يتم انشاؤهما فى نفس الفترة الزمنية . وربما كانت الكنيسة الشمالية هى الأحدث . وأسطح الحوائط التى بداخلها غير مطلية بالجص فيما عدا القباب التى من المؤكد انه جرى تجديدها اذ لا يظهر شكلها الأصلى. اما المقطع الافقى للكنيسة الجنوبية فلم تلتق بمثله من قبل . والحنيات الشرقية الثلاث لا تظهر على الرسم التخطيطى مجوفة وحدها ، بل أيضا نهايات القسم الثانى من المبانى مجوفة الى الشمال والى الجنوب ؛ ولا نستطيع ان ننظر اليها مثل نظرتنا الى دير اسوان أو الديرين اللذين فى سوهاج . والاحجبة التى تحيط بالمذابح غير متشابهة . والحجاب الأوسط له بابان بينهما نافذة صغيرة ، وهذا الحجاب لا يرتفع اعلى من مستوى بروز العقد الذى فوقه . اما الهيكلان الجانبيان فهما منفصلان بواسطة حائط ينفذ منه مدخل فى الوسط ، وعلى جانبيه نوافذ صغيرة . وعند زيارتى لم تكن هناك مذابح فى اى من تلك الحنيات . ويلاحظ ان هناك ممراً صغيراً من الهيكل الجنوبى يخرج الى الجنوب الغربى . وقد انتهى الآن فى شكل كومة من الأنقاض .

ويوجد فى الجزء الغربى من الكنيسة الجنوبية مدخل يوصل الى الكنيسة الشمالية وهو مجرد فتحة فى الحائط ، وبعد المرور من خلاله يسهل تقييم حقيقة ان هذه المبانى قد بنيت فى عصور مختلفة ، وربما استطعنا اعتماداً على الطريقة التى فصل بها الجزء الغربى من المبنى عن الجزء الذى يليه شرقاً ، ان نقرر ان تلك الاجزاء من المبنى ربما كانت

فى قسم النساء . وهناك العديد من المعالم فى هذا الجزء من الكنيسة لا استطيع أن اقدم عنها تفسيراً . وعندما زرت المكان كان يبدو مهجوراً تماماً ، ولكن هناك قاعدة عامة وهى انه اذا وجدنا الكاهن فى أى مكان بعيد (مثل هذا المكان) فلن يكون سوى فلاح فقير — اى مخلوق متواضع ، متسخ الملابس ، وجاهل ، ولا يعرف شيئاً أو يهتم بشىء ونتيجة لذلك فاننا لا نستطيع أن نحصل منه على معلومات ذات قيمة .

ونجد فى الكنيسة الشمالية ان الحجاب الملاصق للهيكل (الأوسط) قد اقيم داخل عقد وبه بابان بينهما نافذة . اما الهيكلان الشمالى والجنوبى فهما موصدان بالحوائط التى تفصل بينهما فيما عدا المداخل التى فى الوسط . ويجوارهما منافذ جانبية . وهناك مذبح فى الهيكل الجنوبى . وقد وضعت فى الحجاب الأوسط قطعتان مزخرفتان من الحجر يمثل احداهما الشكل رقم ٢٤ .

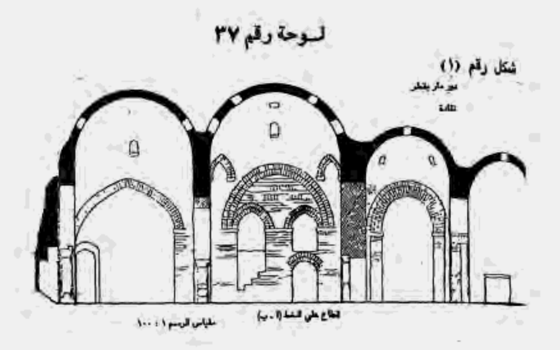
واتذكر انه كان هناك حجر مزخرف فوق النافذة الصغيرة التى تقع بين البابين وقد نقل منذ حوالى خمس سنوات بمعرفة مدير مصلحة الآثار ، وهو موجود الآن بالمتحف فى القاهرة ، ولكننا لا نتذكر شيئاً عنه لان هذا المتحف لا يحتوى على بطاقات توصيف للأشياء المعروضة . وقد ابلغنى احد الرجال النبلاء وكان قد زار هاتين الكنيستين وغيرهما من الكنائس المجاورة سنة ١٨٩٤ واعطانى بعض المعلومات — ان المذابح مكرسة على اسماء القديسين حسب الترتيب التالى : الكنيسة الأولى - الهيكل على اسم الملاك ميخائيل . والمذبح الشمالى على اسم القديس سرابامون ، والمذبح الجنوبى على اسم القديس باخوميوس . والكنيسة الثانية : الهيكل على اسم العذراء . والمذبح الشمالى على اسم مارجرجس . والمذبح الجنوبى على اسم : الأمير تادرس . ولكنه لم يذكر اى الكنيستين هى الأولى وايهما هى الثانية .

دير مار بقطر
اللوحة رقم ٣٧

بنيت هذه الكنيسة على مساحة كبيرة بالنسبة للكنيسة الأخيرة ، ويمكن تصنيفها ضمن الطراز (ب) . وقد اقيمت هذه الكنيسة التى تشرف على منظر جميل من وادى النيل فوق حافة بارزة من التلال الصحراوية داخلة فى الأرض الزراعية وترتفع فوقها بحوالى عشرين

لوحة رقم ٣٧

شكل رقم (١)

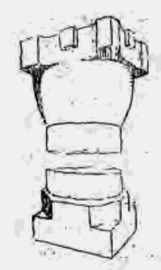


شكل رقم (٢)

قدماً . وقد بنيت الكنيسة داخل فضاء واسع على شكل مستطيل يحوطه حائط سياج . اما الحوائط والمبانى التى فى داخله فقد بنيت جميعها من قوالب الطوب اللبن الصغيرة الحجم التى رصت بجانب بعضها البعض مع وضع القليل منها على الحافة . وكلما كانت المبانى حديثة ، تأكد الانسان من أن صفوف الطوب المستعرضة قد وضعت مسطحة ، وان الصفوف المستطيلة قد وضعت على حافتها ، وكذلك كلما كانت قوالب الطوب مصنوعة باهمال ، شعرنا بوجود دلائل على وجود آثار قديمة فى المبنى . وقد قمت بقياسها فى مارس سنة ١٩٠١ .

وعند بناء الكنيسة نفسها اتخذ اجراء احتياطى باستخدام الطوب الاحمر لبناء المداميك الملاصقة للارض ، التى ترتفع الى مسافة متر تقريباً . ولو لم يتخذ هذا الاجراء لتعرض المبنى لخطر يتمثل فى أن الاملاح التى تتشبع بها الأرض قد تحيل قوالب الطوب اللبن الى مسحوق . حقاً ، ليس من المعتاد ان نرى الحجر وربما ايضاً الجرانيت يتفكك تماماً بفعل الامــلاح .

وعندما ندخل غرباً سنجد انفسنا فى حجرة ، مربعة على المسقط الأفقى ، ولها جناحان شمالى وجنوبى تنفتح عليهما بواسطــة عقود . وهذه العقود مدببة (انظر القسم الذى على الخط ا ـــ ب) والبروز الغربى لهذه العقود يستند على عمود غير مصقول به تاج مصنوع من الحجر الجيرى (انظر الشكل رقم ٢٥) وهذه الأعمدة منفصلة عـــن الحائط . وهناك عقد محمول فى وضع مستعرض يقابل الحائط الغربى ويرتكز على الأعمدة . ويوحى مظهر الأشياء بان النية كانت تتجه الى توسيع الكنيسة فى اتجاه الغرب . ومن جهة اخرى ، فان بناء هـــذا الحائط باستخدام قوالب الطوب يجعله حائطاً متراجعاً . اما العارضة الراسية الشرقية للعقد التى تظهر فى هذا القسم ، فقد اعيد بناؤهـــا فى وقت ما ، ورفعت القاعدة التى يخرج منها العقد اعلى من مستواها القديم وهى تتساوى الآن مع القواعد التى فى القسم الثانى نحو الشرق . ولم ينفذ العقد الخاص بالقسم الأول بهذا الشكل المشوه . ويلاحظ ان هناك عدداً غير عادى من المداخل وليس مدخلا واحداً فقط فى الطـــرف الغربى ، بل هناك ايضا مدخل آخر فى كل من الحائطين الشمالى والجنوبى للجناحين ، ومن غير المعتاد وجود بلب فى الطرف الغربى .





الشكل رقم ٢٤ : حجر مزخرف من دير الملاك ميخائيل فى قلمولا

الشكل رقم ٢٥ : تاج عمود مزخرف من دير ملى بقطر

اما القباب التى تغطى القسم الغربى وجناحيه فانها لا ترتكز على عقود مائلة كما هو الحال فى القبة المركزية .

وقد برزت قوالب الطوب التى فى الاركان صفا صفا دون الالتزام بخطوط معينة وبذلك اصبح الفضاء المستطيل تحتها جاهزا لوضع القبة، وهو يظهر على الرسم التخطيطى مستديرا تقريبا .

ويبين الرسم التخطيطى بوضوح ان القبة التى فوق القسم الأوسط تقف على اربع دعائم متينة . والقبة الآن لا تعلو عن القباب المجاورة لها فى الغرب ولكن من غير المعقول افتراض انها كانت قائمة فوق رقبة قبة فى وقت من الاوقات وأن ثقل البناء الاعلى هو السبب فى وضع الدعائم والجدران التى تسند العقود الأربعة .

وتوجد فى العقد الغربى اعمدة تحمل العقد المبنى فى داخل العقد الاصلى . وتم سد العقدين الشمالى والجنوبى بدعامة مركزية تحمل عقوداً فرعية (انظر الرسم) . والعقد الشرقى مسدود بنفس الطريقة

بفتحات طويلة تشبه النوافذ مثل هذين اللذين فى الشمال والجنوب ، وهناك ايضاً مدخل يشكل حجاباً مع الفتحات الجانبية . ومن المفروض أن القبة الجانبية قد سقطت بالرغم من هذه الاحتياطات . وبعد ذلك بنيت القبة التى نراها الآن ، أما ملء الفتحات لتقوية المعقود الذى تم باستخدام قوالب الطوب المستعرضة على حافتها ، فهو يعنى أنها تنتمى الى تاريخ لاحق لبناء المبانى الأولى .

وعند العبور فى اتجاه الشرق ندخل الى الفضاء الثالث المتبى — وهنا نجد أن العقد الشمالى فقط هو الذى تمت تقويته بوضع قوالب الطوب . وينفتح الجناح الشرقى بالمعقود على ثلاثة هياكل صغيرة ، وقد بنى حجاب كل هيكل بالطوب ، وأضيف اليه بابان فى وسطهما نافذة . ووضعت المعمودية فى حجرة صغيرة فى الجنوب (ج) . وهناك هيكل رابع الى شمال الهياكل الثلاثة التى ذكرناها ، أضيف اليه حجاب من نفس طراز الهياكل الأخرى . وقد لا يعتبر ذلك اضافة الى المبنى الاول . ونلاحظ فى الرسم وجود عقد حامل تحت القبة الرئيسية ، لمتلأ اسفله بعدد من درجات سلم ، ومن المحتمل أن تؤدى هذه الدرجات الى المنبر ولكننا لا نرى اثراً لهذه القطعة من الاثاث . وتوجد على الدعامة الجنوبية الغربية تحت القبة بقايا متناثرة لرسوم جصية . ويمكن تتبع اثر رسم لشخصين تحيط بكل منهما هالة وبعض الحروف اليونانية التى تتكون منها كلمة (قدوس) .

والمذابح الموجودة فى هذه الكنيسة مكرسة على اسماء القديسين بهذا الترتيب : الهيكل باسم القديس مار بقطر — الملاك ميخائيل — العذراء — مارمينا .

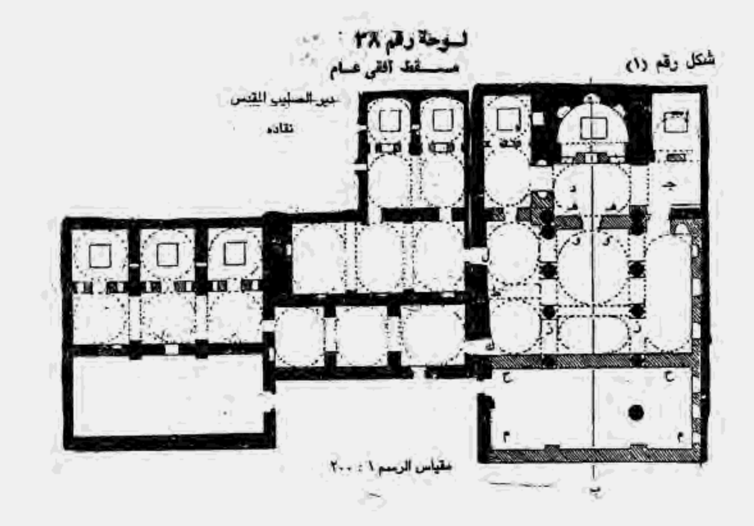
دير الصليب المقدس
(اللوحة رقم ٣٨)

بعد أن ركبنا الدواب لمدة ساعة فى خط مباشر من النيل عند العرابة، وصلنا الى حافة الصحراء التى ترتفع قليلا عن سطح الأرض المزروعة التى كنا نعبرها . واتجهنا نحو مجموعة من الكنائس . وهناك حائط سياج مستطيل الشكل تقريباً يضم أربعاً منها . وقد بنيت اثنتان مقابل الحائط الشرقى للسياج ، وبنيت واحدة أخرى مقابل هاتين الاثنتين .

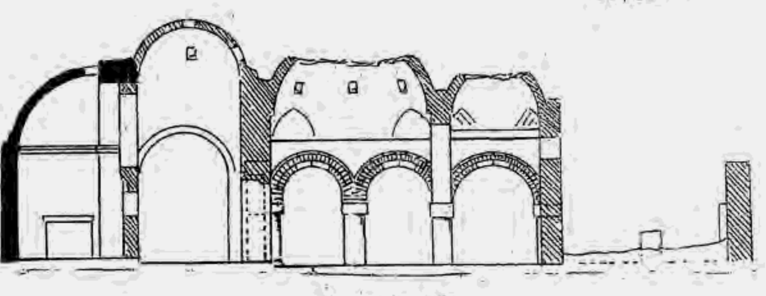
لوحة رقم ٣٨

مسقط أفقي عام

شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



قطاع على الخط (أ ـ ب)
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

أما الرابعة التى أعيد بناؤها حديثا فانها تتلامس مع الحائطين الغربى والجنوبى . وكان الكاهن والحارس غائبين ولذلك قمنا بتسلق الحائط . ولم يستطع أحد ان يدلنا على أسماء الكنائس فيما عدا رجلا عجوزا أكد لنا ان الكنيستين الغربيتين هما كنيسة الصليب والأنبا شنودة . وتمت بتقبيلهما فى مارس سنة ١٩٠١ .

وتقع مجموعة أخرى من الكنائس قريبة من الحائط الشرقى وتسمى « دير ابو الليف » . ويتضمن الرسم التخطيطى لدير الصليب ثلاث كنائس فى صف واحد ، أهمها تلك الموجودة فى الجنوب . وهى تختلف عن تلك التى ذكرناها فى الرسومات التخطيطية التى وصفناها مؤخرا .

وهنا نجد كنيسة من الطراز (أ) البازيليكى ، ولكن أجريت عليهـا تغييرات تالية للبناء الأول والغرض من هذه التغييرات هو احلال القباب المبنية من الطوب محل السقف الخشبى الأصلى . ويتكون البناء المقام بالطوب اللبن من هيكل ذى حنية بجواره آخران مربعان الى الشمال والى الجنوب منه . وينفتح الهيكل الرئيسى نحو الغرب عن طريق عقد ، ما زال جانباه البارزان عند ارتفاع ٧٥ر، مترا موجودين ، وما زالت على أسطحها المطلية أشكال أشخاص ملونة من القدمين حتى مستوى الكتفين . وقد أغلق هذا الهيكل الآن بحائط من الطوب الأحمر أقيم لكى يحمل القبة . وفى أسفله بابان بينهما نافذة . وهناك شرقية مشوهـة لا تصل الى الأرضية خلف المذبح ، وأيضا حنيتان رديئتا القطع عـلى كـلا الجانبين .

والهيكل الجنوبى الصغير شـديد الانخفـاض ، ومغـطى بقبـو اسطوانى . أما الهيكل الشمالى الصغير فليس بمثل هذا الانخفاض وقد سقطت قبته فى داخله . وهذان الهيكلان الصغيران بهما حجابان من الطوب تنفذ الأبواب من كل منهما . أما الفضاء الذى يقع فى غـرب الهيكل فقد أغلق الآن من ناحية الصحن بحائط ينفذ منه مدخل . ويظهر هذا الحائط مع الحوائط الاضافية الأخرى على الرسم التخطيطى باستخدام تظليل مختلف عن الحوائط الأصلية المبينة باللون الأسود الثقيل ، وتحمل

الدعامة المبنية بالطوب فى الطرف الشرقى من مجموعة الاعمدة المزدوجه الجنوبية ، عقداً أضافياً يبلغ سمكه ضعفى سمك العقد الأصلى الذى مازال ظاهراً فوقه . وتتناسب القبة فى النقطة (ج) مع العقد الاحدث . أما الجدران التى فى شرق وغرب وجنوب الهيكل الصغير (ج) فمازالت تحمل آثارا قليلة من الزخرفة فوق طبقة من الجص الأبيض . وتظهـر هنا هالة نورانية وبعض الحروف المتناثرة ، وبطنية العقد مزخرفـة بنقوش معاصرة لتلك التى على جدران الفضـاء (ج) . أما العقد المفروض انه كان موجوداً على الجانب الشمالى للمساحة الخالية (د) فهو غير ظاهر . ونرى الآن نقط الحائط الاضاف وينفذ منه مدخل . أما الاعمدة (هـ) فان كلا منها يتكون من حجرين ، ويبلغ ارتفاعها حـوالى ٢٫٢٠ متراً ، تحيط بها كتلة مربعة يبلغ ارتفاعها ٠٫٣٥ متراً . وهى مبنيـة بالحجر الرملى ، والجزء السفلى منها محاط بكمية من بقايا قوالب الطوب المكسورة . وهذه الأعمدة وهى الأطول من سـائر الاعمـدة التى فى الكنيسـة ، تحمل قوس النصر الذى يظهر منه بعـض قوالب الطوب البارزة . وقد أفسح العقد مكاناً للحائط (و) .

وبالمرور من المدخل الذى فى الحائط الاضافى الى الجانب الغربى ، تدخل الى الصحن الذى يتكون الآن من ثلاث فسحات طولياً ، وربما كانت فيما مضى خمس فسحات أو أكثر . وهو ينفصل عن الجناحين بواسطة ممر تعلوه البواكى ، يتكون من عقود نابة ترتكز على أعمـدة اسطوانية من الحجر الرملى تم تشكيلها بطريقة فظة ، وتحيط بها كتل مربعة غير مصقولة ، حيث انها طبقة حجرية فوق الأعمدة تركب فيها العقود التى تظهر فوق البناء الحجرى ، والمساحات الفضاء بين الأعمدة غير منتظمة . وقد وضع الآن عقد مدبب معتمد على الأعمدة (ز — ز) عبر الصحن ليحمل القبة . وهناك قبة ثانية تظهر فى المسقط الأفقـى مستطيلة الشكل وقد بنيت فوق المساحة الفضاء التالية فى اتجاه الغرب، وهى ترتكز فى جانبها الغربى على الحائط (ح) الذى أغلق به طـرف الكنيسة . وقد نقص طوله بسبب المساحتين الفضاء .

وكان الجناح الجنوبى مسقوفاً فى الأصل بقبو اسطوانى طويل ، وحل محله فى تاريخ لاحق سقف به أنصاف قباب فى الطرفين الشرقى

والغربى ، وقبو اسطوانى فى الوسط . وكما يظهر من الرسم التخطيطى فقد وضع البناء الذى أقيم بقوالب الطوب فى شكل واجهة داخلية فى مواجهة الحائط الجنوبى الأصلى لهذا الجناح . اما الجناح الشمالى فانه مغطى بعقد مدبب (ط — ط) يساعد فى حمل قبتين .

وربما كان المدخل الذى فى (ك) اصليا . وهو الآن اكبر من ان يكون مجرد ثغرة . ولا شك ان الفتحة التى فى (ل) تبدو اصلية . اما الحائط (م — م) فهو مبنى بقوالب الطوب الصغيرة بطريقة سيئة ، ويبدو أنه اقيم حديثاً وهو مجهز لوضع عقود الممر الذى تعلوه البواكى والذى تحول الآن الى انقاض . ونظراً لانه قليل السمك فلا يمكن ان يقاوم ضغط العقود .

وقد جازفت بالدخول فى التفاصيل التى ارجو الا تكون بالغة الاسهاب فيما يتعلق بالطريقة التى تم بها تغيير سقف هذا المبنى ؛ لانه اول نموذج نلتقى به من تلك النماذج التى تميزت بها هذه الكنيسة وغيرها من الكنائس فى وادى النيل ، ومن السهل تقدير ذلك . ومع صغر هذا المبنى ، فان السقف المصنوع من الواح الخشب المربوطة ببعضها بشكل جيد قد لا يحتمل الا القليل ولكنه لا يمثل ضغطاً على الجدران . ان السقف المكون من القباب المبنية بالطوب والتى تستند على العقود ، يتطلب تغييراً كبيراً فى البناء الحامل ، اما العقود الثقيلة فى حد ذاتها التى تمثل ضغطاً شديدا ، فهى محمولة على دعائم مما يعطى مقاومة للضغط الى حد ما . وعندما نصف الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج (١) ودير (ابو حنس) (٢) بالقرب من الشيخ عبادة (انتنوى) سنزداد معرفة فيما يتعلق بالتغييرات الجذرية التى كان من الضرورى تنفيذها لحمل السقوف المقببة . وقد تم التعامل مع بعض كنائس مصر القديمة بنفس هذه الطريقة ، ومنها على سبيل المثال كنيسة (ابو سيفين) حيث نجد ان الدعائم الحجرية الثقيلة قد اقيمت لحمل القباب التى لم يتم بناؤها بعد ، وكنيسة القديسة بربارة حيث أقيمت

---

(١) انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٥١ .
(٢) انظر اللوحتين رقم ٥٤ ، ٥٦ .

تية من الخشب المطلى بالجص منذ حوالى ثلاثين عاما مضت . لقد
استبدلت الأعمدة أو الدعائم الصغيرة المقامة من الطوب على كتل كبيرة
من الأحجار ، بينما نرى التأثير العلوى مختلفا تماما لأن السقف الخشبى
قد أخلى مكانا لسلسلة من القباب . ويقدم لنا أبو صالح تفاصيل
متفرقة عن تدمير السقوف الخشبية واحلال القباب والمعقود المتينة
محلها . واليك بعض الأمثلة : ص ١٠٦ : دير وكنيسة القديس مينا :
« فى شهر جمادى الأولى سنة ٥٥٦ عندما حضر الكرد والغز مع صلاح
الدين يوسف بن ايوب ، وطلبت مساعدة ملك الفرنجة لمواجهتهم ، احترق
هذا الدير وهذه الكنيسة حتى مستوى الأرضية فيما عدا الشرقية
والجانبين الشمالى والجنوبى من الهيكل فقد بقيت سليمة بالتمام ، ثم أعيد
بناؤها وأعيد بناء القباب والعقود والدعائم (أقيمت) بدلا من الأعمدة
الرخامية » .

ص ١٨٦ : دير ناهية : « دمر السوس اخشاب هذا الدير
والكنيسة ولذلك تم تكنيسها على نفقة ذلك السيد الذى بنى سقفا
مقببا بدلا من السقف الخشبى ، وأقام الأعمدة داخل الدعائم (من
الحجارة) ولم يبق منها ظاهرا الا عمودان قديمان من الجرانيت أمام
صورة السيدة العذراء الطاهرة » .

ص ٢٣٤ : قوص : « كانت هناك فى مقاطعة مارا العربية ، كنيسة
باسم القديس العظيم الشهيد مارجرجس ، وفى هذه الكنيسة التى فى
مارا حل سقف جديد محل السقف المصنوع من الألواح الخشبية » .
وهكذا نرى أن الكنائس لم تخش العنف والحريق وحدهما بل ايضا
هجمات السوس ، وكذلك النمل الأبيض الذى أثبت فى بعض الأماكن
وتحت ظروف معينة قدرته على احداث دمار شديد . ولا بد وأن تكون
لهذه الكنيسة قيمة أثرية كبيرة حيث ان النقوش الهيروغليفية التى تظهر
على الأعمدة تبين انها لم تنشأ الا بعد السماح بتخريب المعابد . ولكن
يتضح لنا من جهة أخرى انها قد واجهت تخريبا فعليا ، حيث نجد على
السطح الذى طلى حديثا فوق الطلاء القديم ، نقوشا تنتمى الى طرازا
موغل فى القدم .

ونجد فى مخلل البناء الذى وصفناه بؤخراً وفى الجانب الشمالى منه كنيسة ثانية ، لا يمكن الدخول اليها الا عن طريق الكنيسة الاولى . وهناك حجرتان صغيرتان فى الجانب الشرقى لهما طرفان مستويان ، وفى كل منهما مذبح يحميه حجاب له باب فى الوسط ونافذتان احداهما على اليمين والأخرى على اليسار . اما السقوف المقببة فقد سقطت تقريباً او انها على وشك السقوط . والمكان مهجور بشكل يؤسف له ، ومن المستحيل ان يعود البناء الى نفس الفترة الزمنية التى تنتسب اليها الكنيسة الجنوبية حيث أن بناء تلك الكنيسة اقل جودة .

وترى فى غرب الكنيسة التى وصفناها مؤخرا ممراً ينفتح من الجناح الشمالى للكنيسة التى وصفناها اولا ويقود الى كنيسة ثالثة فى ناحية الشمال . وهنا نجد حجرة مستطيلة تحدها عقود مدببة وهى ضيقة وذات جوانب مسطحة (بيان فاطمية ؟) والعقود تحمل القباب التى سقطت جزئياً . وتنفتح على الجانب الشرقى من هذه الحجرة ثلاث حجرات صغيرة مربعة بكل منها مذبح ، وقد بنى الحجاب فى كل منها بالطوب مع وجود باب فى الوسط . وهناك باب فى الحائط الغربى يقود الى غرفة اخرى محطمة .

وقد قيل لى ان المذابح مكرسة حسب الأسماء الاتية : الكنيسة الجنوبية ابتداء من الجنوب على اسماء القديس كلوديوس ، ومارجرجس ، ورئيس الملائكة جبرائيل . والكنيسة الشمالية على اسم القديس يوحنا ، واسم رئيس الملائكة ميخائيل . اما الصديق الذى اعطانى قائمة هذه الاسماء فى دير الملاك ميخائيل (انظر ما ذكرناه عن دير الملاك ميخائيل) فقد اعطانى ايضاً قائمة تكريس المذابح فى دير الصليب التى حصل عليها بمعرفته . وهى تختلف جذرياً عن القائمة التى عندى ، واتخذت هذه القائمة للاسترشاد لأنها جديرة بالاعتبار مثل قائمتى ، ولذلك نشرت قائمته حيث اننى لا اهدف الى تأكيد اقوالى هنا او فى اى مكان آخر بوصفها صحيحة ولكن لامداد قرائى بكافة المعلومات التى استطيع تجميعها . وهذه هى القائمة :

(ا) كنيسة الصليب المقدس (فى الطرف الجنوبى) : الهيكل الشمالى لمارجرجس ، والأوسط للصليب المقدس ، والجنوبى للرسل .

(ب) الكنيسة الثانية الى الشمال كرست كما يلى : المذبح الشمالى لرئيس الملائكة جبرائيل .

(جـ) شمالا كنيسة القديس يوحنا المعمدان : المذبح الشمالى لرئيس الملائكة ميخائيل والأوسط للقديس يوحنا المعمدان والجنوبى للقديس اوريل .

دير المجمع
(اللوحتان ٣٩ ، ٤٠)

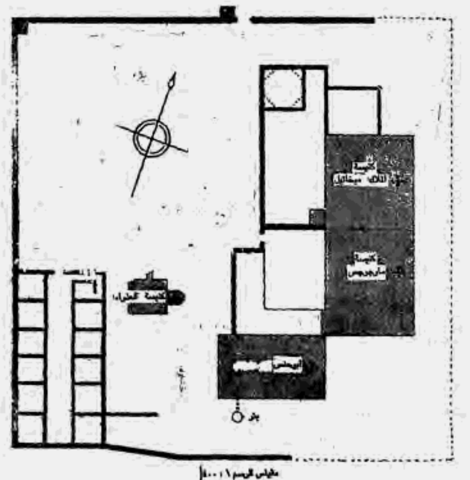
يتكون هذا الدير من مجموعة تشمل اربع كنائس ، ثلاث منها متصلة ببعضها البعض ، والرابعة منفصلة وحدها فى الغرب من الكنائس الثلاث الأخرى ، وهى مدفونة فى أنقاض المبانى المحيطة بها . ويحيط بالمجموعة حائط يبدو مربع الشكل فى الرسم التخطيطى ، وقد بنى بعناية تفوق ما هو معهود فى مثل هذه الحالة . وقد تهدم الحائط فى الجانب الشرقى ، ولكن من السهل تتبع أثره عن طريق خط صغير من بقايا توالب الطوب . ويقع المدخل فى الشمال . وقد بقيت دعامة صغيرة مبنية بالطوب فى الجانب الغربى ربما كانت قاعدة لبرج صغير لحماية المدخل . وهناك دعامة مشابهة فى الركن الشمالى الغربى للحائط . وقد بنى الحائط بتوالب صغيرة من الطوب اللبن موضوعة بطريقة جيدة .

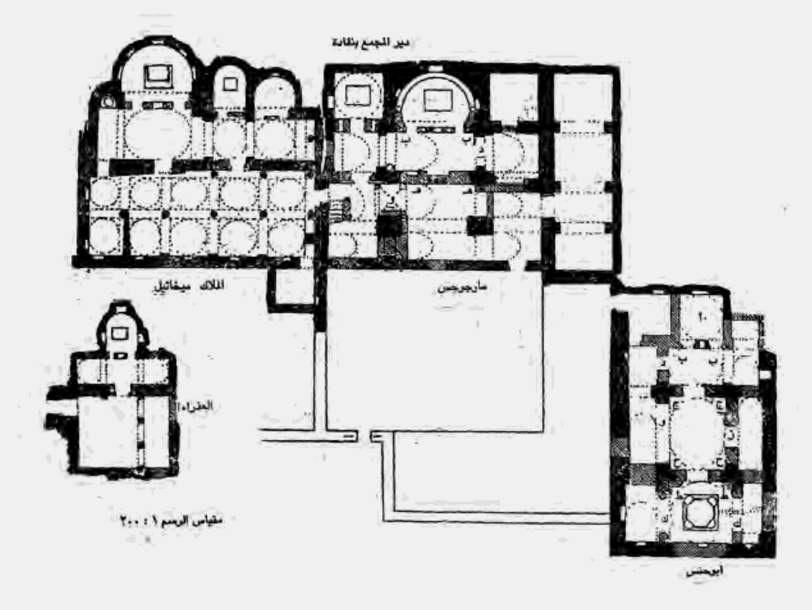
ويقع الدير على ارتفاع حوالى ستة أمتار فوق سطح الأرض المزروعة على حافة صغيرة من الصخر الجيرى تمتلىء بالعديد من المقابر القديمة . وقد ازيلت الارض الزراعية عن الدير لمسافة تبلغ عدة مئات من الياردات . ويلاحظ (انظر المقطع الأفقى ــ اللوحة رقم ٣٩) ان هذا الدير يختلف عن دير الصليب ، فهو ليس مجموعة من الكنائس ، ولكنه تجمع من الكنائس والمبانى مثل تلك التى وصفناها فى دير القديس سمعان بأسوان الا انها اقل زخرفة ، وسنجد مجموعات مشابهة فى الدير الأبيض والدير الاحمر بالقرب من سوهاج ، وكذلك خرائب دير آخر نجده مرسوماً فى اللوحة رقم ٨ . وفى جميع الحالات فان الكنائس غير متصلة بالحائط الشرقى للسور .

وهناك منطقة محصورة صغيرة يصعب اطلاق اسم (وادى) عليها، تقع مقابل الحائط الجنوبى وهى سبب الميل القليل الذى نـراه حيث

ديـر المجمـع

المسقط الأفقى للديـر




دير المجمع بنقادة
الملاك ميخائيل
مارجرجس
العذراء
أبوحنس
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

توجد مجموعة الحجرات التى سنتقدم وصفاً لها . ونجد هنا بهوا مستطيلا يمتد في الاتجاهين الشمالي والجنوبي وتنفتح منه حجرات على كلا الجانبين ، والجميع مسقوف بعقود من الطوب اللبن (اصبحت الآن خربة) ومبنية من نفس المادة . وكان المدخل موجوداً فى الشمال كما كان هناك سلم الى الشرق من المدخل مباشرة . وسواء ادى هذا السلم الى سقف منبسط فوق القاعات التى تحته ، او الى طابق أعلى فانتى لن أحاول تخمين هذا أو ذاك ، والرسم التخطيطى لهذه المجموعة المكونة من البهو والحجرات يتفق تماماً مع الرسم التخطيطى للحصن فى دير القديس سمعان بأسوان ، (انظر اللوحة رقم ٣٠) وعلى كل حال فإن الانسان لا يستطيع افتراض ان هذا يشكل جزءاً من (حصن). ان الحوائط غير سميكة ، ولم أستطع اقناع نفسى بوجود طابق علوى. واخيراً ، فإن المبنى لا يحتل الموقع المهيمن على الأرض المحيطة . وتوجد بقايا نافذتين بكل حجرة فى اعلى الحائط . ويلاحظ ان الكنائس فيما عدا الكنيسة الصغرى التى على اسم العذراء ، لها مدخل يغلقه حائط . ونجد ان الكنيسة التى فى الداخل تقترب فى طبيعتها من تلك التى فى الدير .

اما الكنائس الثلاث المتجاورة ، فقد كرست كما يلى : الكنيسة الشمالية على اسم الملاك ميخائيل ، والثانية التى فى الجنوب على اسم مارجرجس ، والثالثة على اسم ابو حنس (القديس يوحنا) . وهناك دلائل قوية على ان الكنائس الثلاث لم تبن فى فترة زمنية واحدة . وقد بنيت كنيسة الملاك ميخائيل مقابل كنيسة مارجرجس . ويختلف الجدار الشرقى من كنيسة الملاك ميخائيل عن الغربى من حيث التشييد . ومرة اخرى ، فإن كنيسة ابو حنس مميزة عن كنيسة مارجرجس .

كنيســة المـلاك ميخـائيل

سنبدا بكنيسة الملاك ميخائيل وهى مبنية من الطوب اللبن ، وليس لها باب خارجى ولكن يتم الدخول اليها من خلال فتحة فى الحائط الشمالى للصحن بالكنيسة المجاورة وهى كنيسة مارجرجس ، وتقودنا هذه الفتحة الى داخل ممر او حجرة صغيرة غريبة من المحتمل انها لم تكن على الحائط الغربى لكنيسة الملاك ميخائيل لاغلاق مداخلها . ومن الخطورة تحت مثل هذه الظروف ان نصف المسقط الأفقى لهذه الكنيسة كما نراه

الان وكأنه نتحة أو تصميم كامل فى حد ذاته ، بينما نستطيع أن نصل فى أمان الى اعتبار المسقط الافقى لكنيسة مارجرجس كبناء كامل فى حد ذاته .

ونجد فى كنيسة الملاك ميخائيل ممراً شرقيا ممتداً من الشمال الى الجنوب مكوناً من ثلاثة أقسام غير متساوية ، مغطاة بالقباب التى تحملها عقود متقاطعة — والقسم الثانى هو أكبر الأقسام الثلاثة ، وينفتح فى الناحية الشرقية عن طريق عقد على هيكل يظهر فى الرسم التخطيطى أكبر من نصف دائرة . وتتكون حوائطه من خمس حنيات عميقة لا تصل الى مستوى الارضية ، ويبدو أنها كانت مخصصة نقط للكتب ، وليس لها أى تأثير معمارى . ويوجد بابان فى الحجاب المبنى من الحجارة ونجد فى جنوب هذا الهيكل ، هيكلين آخرين أحدهما مغلق بحجاب من الطوب ، وبه باب فى الوسط ، والآخر بحائط أو حجاب به بابان .

ويوجد فى غرب هذا الجزء من الكنيسة بناء يتكون من قسمين فى الاتجاه الشرقى الغربى وخمسة اقسام فى الاتجاه الشمالى الجنوبى . وتمر بالمركز سلسلة من الأعمدة التى تحمل السقف المقبى . وقد بنى العمود الشمالى من الطوب ، أما بقية الأعمدة المبنية من الحجر فلا يوجد بينها اثنان متشابهان سواء فى الارتفاع أو البعد القطرى ، وتعلوها تيجان ذات أشكال لا تنتمى الى طراز محدد تتراوح أشكالها ما بين المستدير والمربع . وهذه التشكيلة غير المتناسقة من الأعمدة يختلف ارتفاعها ما بين ٥ر١ متر الى ١٠ر٢ متراً . وتبرز عقود غير سميكة من القرم أو الوسادات الحجرية التى فوق التيجان . وهذه العقود تسند الاقباء التى لا تعتبر قباباً ذات مقطع دائرى حقيقى ، بل تقترب من الشكل المربع .

والجزء الذى وصفناه من الكنيسة غير منفصل تماماً عن الجزء الذى يقع فى الجانب الشرقى : لأن الحائط الفاصل تخرج منه ثلاثة مداخل . أما فى القسم الجنوبى فان هذا الحائط فقط يملأ العقد الذى يحمل السقف المقبى . ويلاحظ أنه لا يوجد اتفاق فى مواضع الحمل الواقعة بين المبنيين

الشرقى والغربى ، والسقف المقبى فى المبنى الشرقى ايضاً اكثر ارتفاعاً من السقف المقبى فى المبنى الغربى .

كنيسة مارجرجس

بعد ان نعبر الى الناحية الجنوبية ندخل الى كنيســـة مارجرجس من خلال الفتحة السابق ذكرها ، والتى تمتد بين حائطى المبنيين وتصل بنا الى اسفل السلم الشديد الانحدار الذى يقود الى المنبـــر الـــذى سنصفه فيما بعد .

ويختلف المسقط الافقى لهذه الكنيسة تماماً عن ذلك الخاص بكنيسة الملاك ميخائيل الذى وصفناه الآن ، حيث نجد الصحن بجناحيه الشمالى والجنوبى ، ومحرابا ، وغرفة مربعة على كلا الجانبين ، وهى تنتمى الى الطراز البازيليكى .

والبناء مبنى فى معظمه من الطوب اللبن ، بينما بنيـــت العقـــود والدعامات من الطوب الأحمر . وقد اسىء استخدام المـــكان واعيـــد اصلاحه وتقويته بالدعامات ولكن بطريقة بدائية . وهو الآن خرابـــة مهجورة . وينتهى الصحن فى الناحية الشرقية بالهيكل الذى يتضمـــن حنية جيدة التكوين ، واتساعها يتجاوز نصف الدائرة . وهناك قاعـــدة مربعة منخفضة فوق مستوى الأرضية مباشرة ، مبنية من الطوب ويحتمل انها كانت مصطبة . ويبين الرسم التخطيطى ان هذه المصطبة لا تسير مع خط حوائط الحنية فى الطرفين الغربيين اللذين يقتربان من بعضهما وبذلك تظهر ارضية الحنية فى الرسم التخطيطى على شكل ثلاثة ارباع دائرة . ويرتكز على هذه المصطبة الآن عمودان (ب ، ب) ولكننى اشك فيما اذا كانا يحتلان موقعهما الاصلى من عدمه . ويبـــدو انهـــا يشكلان جزءاً من الحجاب الذى يحيط به . وتوجد شرقية غير عميقـــة فى الطرف الشرقى للهيكل ولكنها لا تصل الى مستوى المصطبة .

وما زالت اسطح حائط الهيكل تحتفظ بالجص فى بعض الأماكن مـــع بقايا طلاء جاف . ويستطيع الإنســـان أن يميز اشكال بعض الأشخـــاص الواقفين عن طريق الهالات النورانية . ويظهر ايضاً فوق قمة حنية

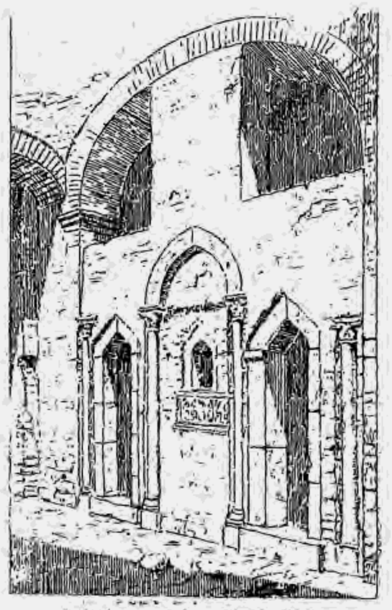
الهيكل نفسها طلاء يبدو انه يعود الى تاريخ سابق ، ونرى فى داخل دائرة كبيرة منظر السيد المسيح على العرش وقد وضع الكتاب فوق ركبته اليسرى . ونجد ان اليد اليمنى قد تحطمت مع الجزء العلوى من الصورة . وهناك اشخاص على كلا الجانبين ولكنها محطمة بحيث لا يمكن التعرف عليهم . والحجاب ممتاز وينتمى الى الطراز الذى يتكون من بابين بينهما نافذة (انظر الشكلين رقم ٢٦ ، ٢٨) .

وقد بنيت فى الحائط أربعة أعمدة من الحجر الجيرى غير متساوية الطول ، ولها تيجان وقواعد غير مصقولة . ولا اجد دليلا على أن هذه الاعمدة الاربعة قد ارتبطت بأى نوع من الاعتاب ، ويبدو انها قد استخدمت فقط كدعائم لتقوية الحائط ، وايضا للزينة ، وهى مدفونة تقريبا كما يظهر فى الرسم . وقد بنيت مداخل صغيرة فى الأعمدة الجانبية ، بينما غاص عقد مدبب فى واجهة الحائط محيطا بالنافذة الصغيرة التى تبرز من خلال العمود الأوسط .

وينقسم صحن الكنيسة فى الجهة الغربية من الهيكل الى ثلاثة اقسام تنفتح بالعقود على الجناحين الشمالى والجنوبى . والقسم الذى فى اقصى الشرق اكثر اتساعا من الشرق الى الغرب عن القسمين اللذين فى غربه . والعقدان الشمالى والجنوبى مسطحان ونتيجة لذلك فانهما يضغطان على دعامات وعقود القسمين المجاورين نحو الغرب . وتظهر الدعامات مستطيلة ومشوهة فى الرسم التخطيطى . وقد بنى سقف الصحن بطريقة لم التق بمثلها فى أى مكان آخر (الشكل رقم ٢٧) ، وقد تناثرت العقود عبر الصحن من الشمال الى الجنوب . وبنيت أقباء اسطوانية فوق هذه الدعائم فى الاتجاهين الشمالى والجنوبى . وفتحت نوافذ صغيرة فى الجدران التى تمتد هذه الاقباء لتشكل الجزء العلوى من حائط الكنيسة فوق سطح المبنى والذى ينفتح نحو الجناحين . وتمت تغطية كل قسم من اقسام الجناح بقبو اسطوانى . وفكرة هذا البناء مبتكرة وقوية ولكنها فشلت نتيجة للوصلة الناقصة التى فى الطرف الغربى للممر الذى تعلوه البواكى . ولم تنجح التقوية فى اصلاح عيوب التصميم الاصلية . اما العقد الغربى نصف الدائرى فهو مشوه ، وأما العقد الذى ينفتح على الهيكل فهو اهليليجى ، أى بيضى الشكل وشديد

الإتساع وهو الآن مسنود بدعامة بنيت فوق الحجاب (انظر الشكل ٢٦) .

وتظهر الدعامات المختلفة الموضوعة مع الحوائط على الرسم التخطيطى بخطوط مختلفة . وقد طليت الأجزاء المضافة الى الدعامة (د) مع الدعامة نفسها بأشكال مختلفة . وتم أتحام الحاجز (هـ ـ هـ) الذى



(شكل رقم ٢٦ : دير مار جرجس ـ الحجاب)

على الجانب الشرقى منه بالطوب وهو غير مطلى . أما الجانب الغربى فهو مغطى بالجص الأبيض الفاخر . ويتميز المدخل الذى يبرز منه والمبنى بالطوب ، بمجموعة من الزخارف فوق العقد المدبب . وهذه الزخارف ملونة باللون الأحمر . وهناك آثار نقوش مع صلبان ملونة فوق سطح الحائط .

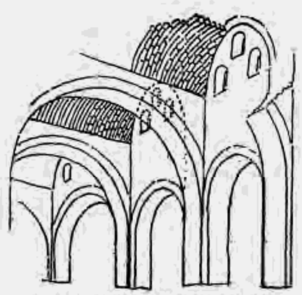
وهناك فى الجانب الشمالى من الصحن . وفى القسم الاوسط منه توجد منصة قائمة على أعمدة صغيرة لا شك فى انهـا هى المنبر (١) . وتقع ارضيته اعلى من مستوى الرأس ، ويتمشى الانسـان تحتهـا ؛ لكى يعبر شمالا للدخول فى كنيسة مارجرجس . ويوجد أسفلها عمودان بدون تيجان او قواعد ، وقد بنيت ارضية هذه المنصة من الطوب وهى مسطحة . ويتم الوصول الى المنبر عن طريق سلم فى الجناح الشمالى.

والجناحان الشمالى والجنوبى مزودان فى اتجاه الشرق بحاجزين من الطوب يبرز من كل منهما مدخل مقوس صغير . والجنوبى منهمـا مسدود تماماً مثل الحاجز الذى فى الشمال ويخفيه المنبر ، والوجه الغربى للحاجز الشمالى مغطى بصفائح عريضة من الحجر الرملى مصفوفـة على طرفها . ويكمل المدخل افريز جانبى متصل وعقد مستدير فى أعلاه ومنفصل من كتلة واحدة .

والحائط الغربى للكنيسة غير سميك وغير مزود بأية دعامات او تحصينات جانبية لمقاومة ضغط العقود فى الشرق وتبرز منه ثلاثة مداخل منها اثنان مغلقان حالياً بالطوب . وتتضمن ملاحظاتى التى دونتهـا فى هذا الموقع ان : « المبنى قد عدل وتشوه شكله وطمست معالمه حتى انه لا يستحق عمل قطاع او مسقط راسى ! فما الأصلى منه ، وما الذى جرى اصلاحه ؟ » .

وهناك شقة مجاورة للكنيسة فى الناحية الجنوبية ، يؤدى اليهـا مدخل فى القسم الأوسط من الجناح الجنوبى . ولا أستطيع القول بأنها اضافة الى الكنيسة ام انها جزء من المبنى الأصلى .

(١) انظر (و) على الرسم التوضيحى فى اللوحة رقم ٤٠ .



شكل رقم ٢٧ : دير المجمع ـ كنيسة مار جرجس

كنيسة القديس يوحنا (ابو حنس)

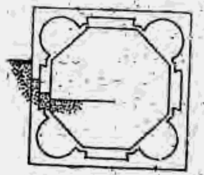
تقوم كنيسة القديس يوحنا فى جنوب المبنى السابق وصفه وتتلامس معه فقط فى الركن الجنوبى الغربى وهذا المبنى قريب الى حد ما من الطراز (ب) ونجد ما يوازى ذلك فى كنيسة مار بقطر التى تحدثنا عنهما سابقاً . وقد تعرضت لتعديل جذرى : ذلك أن القسم الشرقى (ا) وهو الهيكل ، والحجاب (ب ب) والعقود التى فوق هذين الجزءين قد اعيد بناؤها جميعاً وربما حدث ذلك منذ عهد قريب .

ويتكون المقطع الافقى من قسم مركزى يزيد طوله عن عرضه وينفتح على الجوانب الأربعة عن طريق عقود . ويقع الى غربه قسم مربع كما يظهر فى الرسم التخطيطى . ويقع الجناحان شمال وجنوب هذه الاقسام. ولا نستطيع معرفة الموجود فى الشرق ولكنه لا يشبه ذلك الذى اعيد بناؤه حسب الخطوط القديمة ؛ لانه من المؤكد ان الحائط الشرقى جزء من البناء الأصلى .

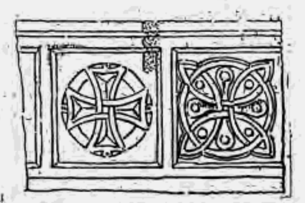
ونبدأ بوصف الخطوط الرئيسية للكنيسة . العقد (ج ج) الذى فى القسم الأول مدبب . اما العقد الذى فى (ح ح) فهو تام ، والعقدان (ك ك) مدببان . ويلاحظ ان المبنى يحوى خليطاً من العقود المدببة

والمستديرة يبدو انها قد استخدمت بالتبادل . ولكن الانطباع العام الذى يقدمه لنا المبنى والذى ظهر فيما بعد مختلفا عن الكنائس المجاورة هو انه كان من الأفضل لو بنى بعناية فائقة . ومن سوء الحظ انه قد استخدم فى اقامته القليل من العلم لأنه تداعى فى جميع الجهات ، وجرى تدعيمه فى كافة الأجزاء باعمدة ودعامات من الطوب كما تمت تقوية الحائط الغربى بما يكفى لمقاومة ضغط العقود التى فى الداخل .

والحجاب مبنى من الطوب الأحمر وهو من الطراز الذى فيه بابان وبينهما نافذة ، وقد اغلق العقد (ج ج) بحاجز فى وسطه باب . وهذا الحاجز ليس جزءاً من البناء الحجرى الأصلى للدعائم . وكان العقد الذى فوق الحاجز مفتوحا ، بينما نجد العقد التام الذى فى (د) يمثل بناء متينا . اما العقد الذى فى (ز) الذى يتشابه مع ذلك الذى فى (و) ، فهو بناء متين فى وسطه باب .



الشكل رقم ٢٩ : دير المجمع ـ خزان فى الكنيسة الجنوبية



شكل رقم ٢٨ : حشوات الحجاب المنقوشة

وقد اغلق العقد (ح) مع ترك فتحة مستديرة النهاية فى الوسط ، بينما تكومت كتل ضخمة من الحجارة عند الأركان (ط ط) لمساندة الدعامات التى يبرز منها هذا العقد ، والعقدان (ك ك) يسندهما عقدان مبنيان فى داخلهما . ويرتكز العقد المضاف فى الشمال على الوسادات الحجرية القصيرة التى فوق الاعمدة ، والتى نحتت على التيجان بزخارف نباتية تنتمى الى الطراز البيزنطى ، وفى الجنوب ، يرتكز العقد الحامل على دعامات من الطوب . اما التيجان العلوية التى تنتمى الى

الطراز البيزنطى ، فانها لا تدل على تاريخ العقد الذى تدعمه ، ولكنها كانت قريبة المنال واصبحت ذات مائدة .

ويوجد فى وسط القسم الغربى خزان تحت مستوى الأرضية يبلغ عمقه ١٫٢٠ متراً (الشكل رقم ٢٩) ، ويملأ الخزان عن طريق قناة تغذيها المياه من الخارج .

وهناك قطعة كبيرة مبنية بتوالب الطوب تسد الجناح الشمالى تماماً . وكذلك فان الجناح الجنوبى مسدود ايضاً بحوائط متقاطعة . وهناك ثغرة كبيرة فى الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى ولكنها مسدودة حاليا ، وتمر من خلالها قناة المياه التى تغذى الخزان . وهناك ما يدل على وجود ثغرة اكبر فى الحائط الغربى مسدودة ايضاً ، ولا يوجد فى خارجها ما يدل على ان الكنيسة قد امتدت الى اى من هذين الاتجاهين . ونلاحظ وجود فتحة مسدودة فى القسم الاول للجناح الشمالى ، ولكن اكثر المداخل اهمية حسب الطريقة التى أقيم بها هو ذلك الموجود فى الطرف الشرقى البعيد لهذا الجناح .

ولا توجد فى المبنى اية تفاصيل معمارية تساعدنا على تحديد تاريخ له اللهم الا شكل عقود معينة مع تفاصيل المدخل الحالى . وهناك عينة ممتازة لبناء من الطوب الأملس متصل به تماماً ، تطبيقاً لطريقة موجودة عادة فى القاهرة او المدن الكبرى الأخرى . وقد صنع العقد الذى بالمدخل من الطوب الأملس . ويبنى الحائط الجنوبى للكنيسة مقابل حائط آخر من الطوب فيه شباك ذو عقد مبنى بالطوب الجيد . وتبين علامة مقوسة اعلى الشباك موضع عقد قديم . ومن الممكن ان تكون الكنيسة الحالية قد بنيت مكان كنيسة اقدم منها . وهناك على بعد امتار قليلة جنوب الكنيسة بئر كبيرة مجهزة بساقية او سلسلة من الدلاء يمكن عن طريقها توصيل الماء الى الخزان السابق ذكره .

كنيسة العذراء

توجد داخل سور الدير وبين كنيسة مارجرجس ومجموعة القلايات، بقايا كنيسة صغيرة مكرسة على اسم العذراء . وهذا المبنى الصغير

متناسق وينتمى الى الطراز (أ) الباريليكى ، وينتهى الهيكل بحنية . اما المذبح فهو مختف تحت النفايات . وبالرغم من انه صغير فى حد ذاته الا انه يملأ الهيكل الصغير تقريباً ، وينتمى الحجاب إلى الطراز الذى به بابان ، ويوجد الى الغرب من ذلك جناح ينفتح عن طريق عقد على صحن يتكون من ثلاثة عقود ترتكز على أعمدة صغيرة ؛ وتوجد فى الحائط الشرقى للجناح آثار بابين مسدودين حاليا بالطوب . وقد تمت تقوية العقد الذى يمتد من الجناح الى الصحن رغم صغر مساحته من حيث دعاماته .



شكل رقم ٣٠ : دير الملاك - كنيسة العذراء

ويقع مدخل الكنيسة فى القسم الشرقى من الجدر الشمالى - وتوجد فى مقابله آثار فتحة مسدودة بالطوب . وهناك ثغرة فى الحائط الغربى ولكنها أصغر من أن تكون مدخلا حتى بالنسبة لمثل هذه الكنيسة الصغيرة . وعند دخولنا نمر خلال ما لا يقل عن ثلاثة حوائط مبنية بالطوب ، كل منها مقابل الآخر ، وللأسف فان المبنى متهدم . ولا بد انه كان صغيراً فلم يتجاوز ارتفاع اعلى جزء من حوائطه خمسة امتار . وهو الآن بدون سقف ، بينما تراكمت الأنقاض وقوالب الطوب المكسورة حوله لدرجة اننا نهبط عدة درجات لكى نصل الى مستوى الأرضية ، وتلك ايضا تكتنفها اكوام من الطوب المتساقط .

وقد وجدنا في هذه الكنيسة تاج عمود مزخرفا ، وعموداً آخر قدمنا له رسماً تخطيطياً (انظر الشكل رقم ٣٠) وقد نقلناه بمعرفتنا ووضعناه في كنيسة مارجرجس من باب تأمين السلامة .

وتوجد في الطرف الشمالي لحائط السور الذي به ابواب الكنائس الثلاث بقايا مبنى مربع الشكل في المسقط الافقي ، ونرى في الأركان دلائل على وجود عقود مائلة كانت معدة لاستقبال مبنى مثمن الأضلاع لا شك في أنه كان يحمل قبة . اما الحوائط الباقية فهي غير سميكة حتى اننا نشك في اقامة القبة على اية حال . اما اذا كانت قد اقيمت بالفعل فلا بد وانها عجزت عن البقاء لسنوات عديدة ، وقد تمت بقياسها في مارس سنة ١٩٠١ .

كنيسة بقدرة

(اللوحة رقم ٤١ ، الشكل رقم ١)

اقيم بناء هذه الكنيسة غير العادية بالحجارة التي لا نشك في انها اخذت من الماميزي (بيت الولادة) مع الجدران التي تتوازى وتتجاور مع جدرانها . وقد ربطت كتل الأحجار في العديد من الحالات عن طريق تعشيق الخشب (غنفرة) بالطريقة القديمة محاكاة لمباني المعبد المجاور . وكذلك رصت كتل الحجارة بنفس الطريقة المستخدمة في المعبد . وعندما كان الحائط سميكاً بما يكفي لوضع حجرين جنباً الى جنب ، لم تستخدم الأحجار الرابطة للربط بينها . اما السمك المتوازى الذى بنى به الحائط فانه يسهل فصل الواحد عن الآخر بدون عوائق . أما التفاصيل المحفورة — ولا بد ان الكثير منها كان موجوداً — فانها تتطابق تماماً مع تلك التي نجدها في الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وسنتقدم وصفها فيما بعد . وينتمي الرسم التخطيطي للمبنى الى الطراز (أ) البازيليكي . وقد تمت بقياسه في ديسمبر سنة ١٩٠٠ .

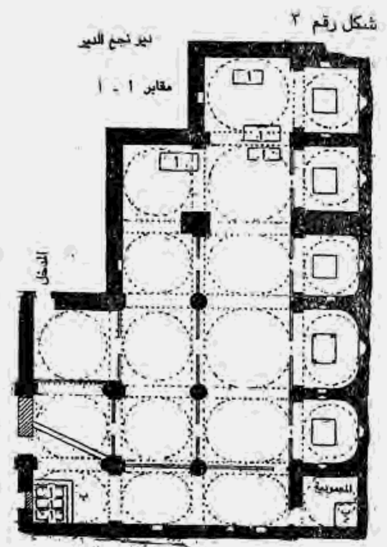
نجع الدير

(اللوحة رقم ٤١ ــ الشكل رقم ٢)

اقيمت هذه الكنيسة على الضفة الشرقية للنيل في مواجهة جرجا تقريباً . وينتمي مسقطها الافقي الى الطراز (د) وهي تمثل من الداخل عينة تسر الناظرين . ولم يكن المبنى كما نراه الآن مبنياً في فترة زمنية واحدة فقد اضيف اليه القسمان الشماليان . وتظهر الهياكل الثلاثة الخاصة بالمبنى الاقدم على الرسم التخطيطي غير دائرية ولا مستطيلة

لوحة رقم ٤١

شكل رقم ١



شكل رقم ٢

بل متوسطة بين الاثنين . ويغطى كل هيكل منها قبة وتظلل مذبح الهيكل الأوسط مظلة خشبية تقف الأعمدة الاربعة التى تحملها ملاصقة للمذبح كما هو الحال في الميدابود . وقد ربطت الاعمدة بعقود ، وتمت زخرفة السقف الذى فوقها باشكال هندسية ، وزود باطنها من الخشب باشغال الزخرفة بالتخريم ، ولونت جميعها حسب الطراز العربى الحـديث . وهى ليست قديمة ولكنها نموذج جيد لتلك النوعية . وينتشر في أرجاء الكنيسة جو غير عادى من اللياقة والنظافة . والأغطية التى فوق المذبح نظيفة وجديدة . وهناك منجلية صغيرة خارج الهيكل وشمعدان خشبى. وقد صنع الحجاب المجاور للهياكل من الخشب . وفي وسط كل منها باب عادى لا يستحق أن نتعرض له بالحديث . وتجد في غرب الهيكل الترتيب المعتاد للقباب المحمولة فوق العقود . ويبلغ ارتفاع الاعمدة التى تنطلق منها العقود ٢٫٩٠ متراً ، بينما يصل ارتفاعها حتى تويجات العقود ٤٫٣٠ متراً . ونستطيع بناء على هذه الأبعاد أن نعرف مدى تواضع حجم المبنى ، ولكن القبة التى في غرب الهيكل الأوسط مباشرة أكثر دقـة من حيث التصميم بالنسبة لبقية القباب ، وهى محمولة على مثلثات ركنية سيئة الصنع تتخذ شكل قرص العسل .

وقد بنيت الأعمدة والعقود جميعها من الطوب الأحمر ، بينما بنيت بقية المبنى بالطوب اللبن وطلى داخله بالجير الأبيض . ونرى في هذه الكنيسة أسلوب بناء شائع في القاهرة . وتوجد كتل من الخشب داخلة في مبانى تيجان الأعمدة بدلا من عمل وصلات لمقاومة دفع العقود ؛ ولكى توضع فوقها ألواح الربط الموصلة بين هاماتها . وتستخدم النساء الجزء من الكنيسة المنفصل بحاجز في الجنوب . وفي الطرف الشرقى منه توجد المعمودية (ب) ويمكن الوصول الى هذا الجزء من الكنيسة عن طريق « المندرة » أو غرفة الاستقبال التى تقع خارجـا في اتجـاه الغـرب « والمندرة » ملحق شائع في الكنائس .

وبالإضافة إلى الكنيسة بنى خزان في جانبهـا الشـمالى يغوص في الأرضية بمساحة مترين مربعين ، وقاعه على شكل مثمن الأضلاع . ويظهر هذا الخزان في التصميم العام مشابهاً للخزان الذى وصفناه في دير المجمع وفي كنيسة أبو خنس .

وهناك مقابر عديدة فى الكنيسة موضحة على الرسم التخطيطى بالرمز (أ) ، بينما نجد ثلاث مقابر متجاورة فى الجنوب الغربى ، يحوطها حائط منخفض الارتفاع ليس به مدخل . وقد احيط احد القبور التى فى الجزء الشمالى من الكنيسة بالكثير من التوقير ، وغطى بقطعة من الدمقس ، ويقال انه مقبرة لأحد الكهنة .

ولسوء الحظ ، فإن كاهن الكنيسة لم يكن موجوداً عند زيارتنا ، وكان الرجل المسئول جاهلاً ولم يعرف أو أنه لم يرغب فى ابلاغنا اية معلومات ، وقال ان المذبح الأوسط مكرس على اسم الملاك ، والجنوبى مكرس على اسم الانبا شنودة والشمالى على اسم الست دميانة . وأنا اقدم هذه المعلومات بتحفظ .

دير مار جرجس بالقرب من اخميم
(اللوحة رقم ٤٢ ، الشكل رقم ١)

يوجد على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل المنشاة تقريباً ، دير يرتفع فوق سفح تل متقدم من سلسلة التلال التى تحيط بالنيل فى هذا الجانب . ويقع المبنى على مسافة قصيرة من ضفة النهر . ويلاحظ الانسان عندما يمر بجواره ، حائط السياج المستطيل وقد ارتفعت فوقه قبة منخفضة، ويلاحظ أيضاً برجاً للحمام خارج مدخل السياج يشكل مع برجى الدير نسخة مصغرة من بوابة معبد فرعونى قديم . ومن الواضح ان هذه البقعة ذات اهمية اثرية ، ولكن ربما كانت الكنيسة الموجودة غير موغلة فى القدم . ومن حيث المسقط الأفقى فانها تنتمى الى الطراز (ج) . وتمت بقياسها فى ديسمبر سنة ١٨٩٢ .

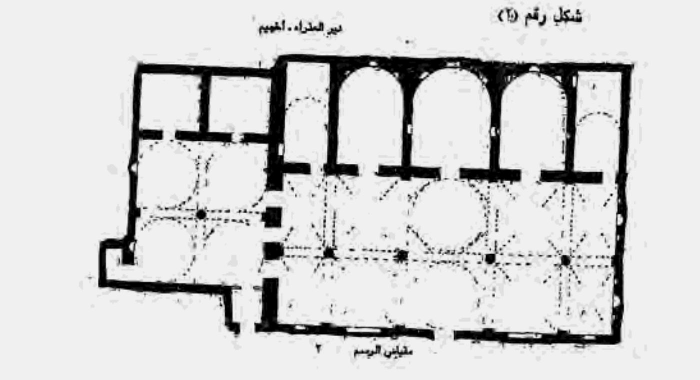
وعند الدخول الى ساحة الدير ، نرى العديد من المنازل الصغيرة والأكواخ المنخفضة ذات الطابق الواحد المسطحة السقف ، التى يخرج من ابوابها ليس اصحابها فقط بل ايضاً الدجاج والخراف والماعز .. الخ كما هو معهود فى كافة القرى المصرية .

وتقف الكنيسة مقابل الحائط الشرقى للسياج المستقيم ، ولم أجد فى هذا المكان أو فى غيره من الأماكن التى زرتها حنيات الهياكل بارزة الى الخارج .

لـوحة رقم ٤٢

شكل رقم (١)

شكل رقم (٤)



والمسقط الأفقى كامل التكوين ويتكون من هيكل مركزى يظهــر فى الرسم مجوفاً وعلى جانبيه هيكلان آخران مشابهان له . ويحوطهــم جميعا حجاب مبنى بقوالب الطوب . ولكل هيكل باب فى وسطه نافذة صغيرة على كلا الجانبين . وتميل الحنيات الى المداخل بما يتجــاوز الشكل نصف الدائرى . ويلاحظ ان هناك مدخلا يوصل بين الهيكــل المركزى والهيكلين اللذين فى شماله وجنوبه . وتنفتح الحنيات فى اتجاه الغرب عن طريق عقود ممدودة حتى مستوى بروزها من الحجاب .

ونجد خلف صف الهياكل حجرتين فى الشمال والجنوب ، مستطيلتين فى المقطع الأفقى ، ويتم الوصول اليهما عن طريق باب فى الغرب . ومن المحتمل أن تحتوى احدى الحجرتين على المعمودية . ولــكننى لم أرها نظراً لان الحجرتين تغصان بالقش وغيره من منتجات الريف .

وهناك فى غرب الهياكل والحجرتين ، صحن الكنيسة الذى يتكون من خمسة اقسام طولية من الشمال الى الجنوب وقسمين آخرين من الشرق إلى الغرب وهو مسقوف بالقباب التى ترتكز على العقود التى تحملها على اربعة اعمدة من الطوب .

وتنفصل اقسام الصحن الغربية عن القسمين الشرقــيين بحواجــز خشبية تتوسطها الأبواب وهى تملأ فقط الأقسام الثلاثة الوسطى . وهناك مدخل فى الحائط الغربى للقسم الأوسط من الصحن ، وأيضا فى الحائطين الشمالى والجنوبى عند طرفيهما الغربيين ، وهذه الأبواب لا تؤدى الى الخارج حالياً ، ولكنها تنفتح على مقصورتين جانبيتين يبدو انهما ملحقتان بالتخطيط الأصلى .

وهناك فتحات كبيرة فى الجدارين الشمالى والجنوبى ولكنها مسدودة بحواجز خشبية وبذلك تتصل المقصورتان الجانبيتان مباشرة بالجزء الرئيسى من الكنيسة . وتنتهى المقصورتان الجانبيتان بحنيتين فى الجهة الشرقية ، ولكل منهما فى الطرف الغربى مدخل يؤدى الى الخلاء . وقد زودت هــذه المداخل فى كل حالة بحاجز من الطوب على شكل صالة للانتظار . وهناك

لوحة رقم ٤٣   خريطة رقم ٥

قبة تغطى المقصورتين الجانبيتين . ونلاحظ ان المقصورة الشمالية قد اخذت منها شريحة لشق قبو الحنية والقباب ، وازيلت الأجزاء التى فى شمال الحائط الملحق . وهذا البناء المقام من الطوب متماسك بالرغم من هذا الاستخدام الردىء ، وقد التصقت القباب والعقود ببعضها دون ان يمسها اقل ضرر . ويعطى الشكل الداخلى للكنيسة المطلية بالجير المائى ، انطباعا بهيجاً .

دير العذراء باخميم
(اللوحة رقم ٥٢ ، الشكل رقم ٢)

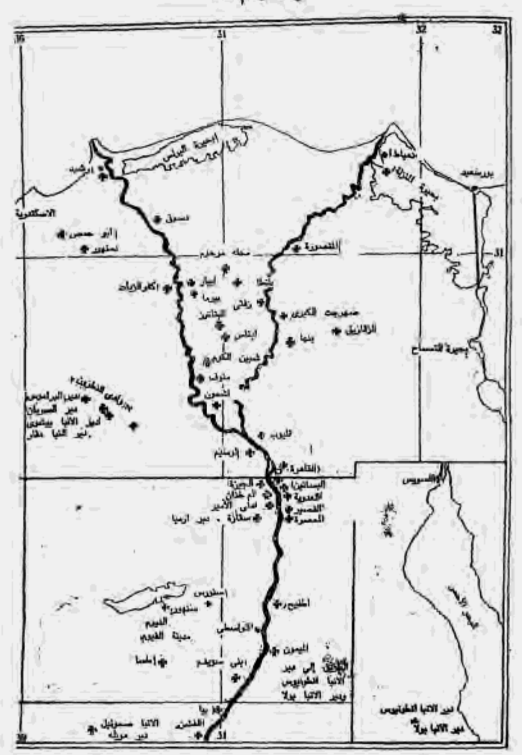
ونأتى الى اخميم التى تبعد قليلا الى الشمال على نفس ضفة النيل ، حيث نجد كنيسة تشبه فى تخطيطها الجزء الأوسط من الكنيسة التى وصفناها مؤخراً . والهياكل اكثر تداخلا فى العمق من الشرق الى الغرب ، وبجوارها حجرات مربعة ، وتوجد الأبواب فى وسط الحجاب .

والقسم الغربى من الكنيسة لا تغطيه القباب المعتادة ولكنه مغطى بأقباء تظهر مستطيلة فى الرسم التخطيطى ، فيما عدا القسمين اللذين فى الوسط ، وترتفع اعلى من هذه القباب مباشرة ، القبة التى أمام الهيكل الرئيسى الى ارتفاع ملحوظ . وقد بنيت اضافة فى الجانب الشمالى ، تتضمن حجرات صغيرة شرقية مربعة الشكل . ويغطى الجزء الغربى من هذه الاضافة اربع قباب من الطراز المعتاد ، وهناك ثلاثة عقود للربط تبرز من الحائط الشمالى . ويبين الشكل رقم ٢١ الزخرفة الداخلية لهذه الكنيسة : وقد لونت قوالب الطوب باللون الأحمر الداكن او البنى . اما الوصلات فقد تميزت باللون الابيض . والطرز تقليدية وهى نتيجة مباشرة للتعامل المخلص مع المواد المستخدمة . ونرى بعض قطع الزخرفة التى تنتمى الى هذا الطراز فى الكثير من الاماكن الاخرى .

دير الأنبا شنودة (الدير الابيض) بسوهاج
(اللوحات ارقام ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨)

يقوم مبنى هذا الدير فى الصحراء فى أقصى الطرف الغربى للأرض المزروعة . ويوجد عند سفح المنحدر الصخرى الذى يتكون من الحجر الجيرى ميل غير مستو هو فى حقيقته جزء من الصخر الذى يتكون من الحجر الجيرى ، ولكنه مغطى بطبقة رقيقة من الاحجار المكسرة والرمال والأنقاض ، وينتهى بشكل فجائى . وهناك التربة الطينية مقابله ، مثلما توجد مياه البحيرة مقابل شواطئها . وقد بنيت الكنيسة على هذه الحافة .

لوحة رقم ٤٤



الخريطة رقم ٦

لوحة رقم ٤٥

دير الأنبا شنوده
(الدير الأبيض)
بالقرب من سوهاج

بناء من الطوب (دعامة)

بناء من الطوب (دعامة)

الرواق

الصحن

غرفة
تحت
الأرض

بئر

منصة مرتفعة وحنية
تم كشفهما حديثا

القاعة الكبرى

مسقط أفقي
مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

لــوحة رقم ٤٦

شكل رقم (١)

الدير الأبيض

أعيد بنائه فى أيام محمد على

مسقط رأسى عند الطرف الجنوبى

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠

شكل رقم (٢)

مسقط رأسي عند الطرف الشرقي

مقياس الرسم ١: ٢٠٠

لوحة رقم ٤٧

الدير الأبيض منظر للمبنى كما كان في سنة ١٩٠٧

سلم مرتفع هنا

نافذة

نافذة

مقطع على الخط (أ - ب)، (هـ - د) يطل على الشرق

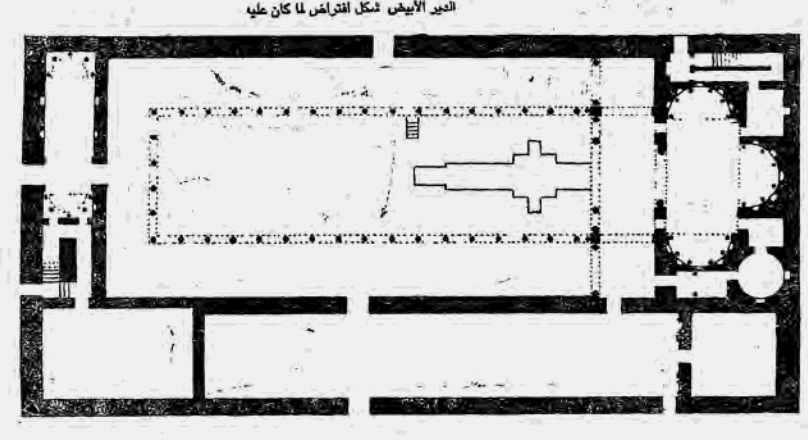
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

الطرف الشرقي للقاعة الكبرى

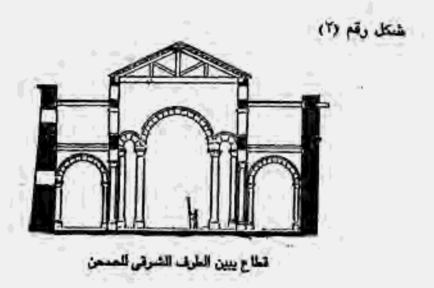
شكل رقم ١

لـوحة رقم ٤٨

الدير الأبيض شكل افتراض لما كان عليه

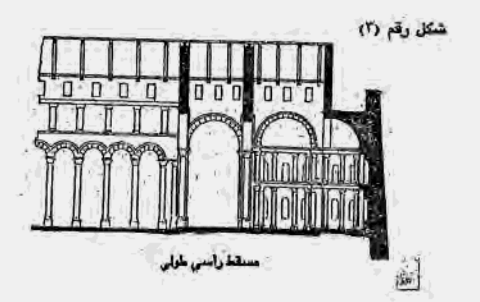


شكل رقم (٢)

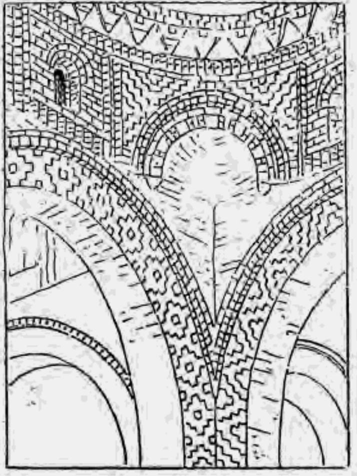


قطاع يبين الطرف الشرقي للصحن

شكل رقم (٣)



مسقط رأسي طولي



شكل رقم ٣١ : اخميم – زخرفة داخلية

والكنيسة محاطة فى جوانبها الشمالى والغربى والجنوبى بكمية كبيرة من انقاض المبانى ، سواء من قوالب الطوب الاحمر او اللبن . واذا وقفت على قمة حوائط الكنيسة ، نسترى ان الفضاء المغطى بالانقاض يمثل مستطيلا يتخذ محوره الطولى الاتجاه الشمالى الجنوبى . ويخرج مستوى ارضية الكنيسة فى طرفها الشرقى خارج الارض بارتفاع مترين على الاقل وذلك نتيجة لانحدار الارض نحو الشرق .

ومن الضرورى القول هنا بأن البناء الحجرى المستطيل الذى يطلق عليه فى العادة اسم : الدير – ليس الا كنيسة الدير وملحق بها صالة مستطيلة فى الجهة الجنوبية . اما الدير واماكن اقامة الرهبان والمطابخ والافران

والمخازن » . الخ فانه لا يتضمن المبنى الحجرى فقط ، بل ايضا عدداً كبيراً من المبانى المقامة بالطوب ، التى تحيط انقاضها بالدير كما سبق القول . وكانت هذه المبانى ومعها الكنيسة محاطة بحائط قوى مبنى بالطوب ، تستطيع ان نتتبع آثاره بوضوح عند دير الانبا بيشوى (الدير الاحمر) ولكن يصعب اكتشافها فى دير الانبا شنودة (انظر الشكل رقم ٣٧ الذى سيرد فيما بعد).

وقد اجريت بعض الحفائر فى هذا المكان خلال شتاء سنة ١٩٠٧ باشراف البروفيسور بترى(١) وتقع هذه البقعة فى جنوب الكنيسة مباشرة . وفى النهاية ايد البروفيسور بترى الرأى القائل بأن الكنيسة الحالية هى التى اقيمت فى هذا الموقع للمرة الثانية وان الكنيسة الأولى التى تمثل المبنى الرئيسى فى المستوطنة الديرية تقف فى داخل البقعة التى قام بفحصها . وينسب هذا المبنى الذى تحول الآن الى أنقاض ، الى زمن قسطنطين اعتمادا على نوعية الفخار . اما المبنى الذى قدمت له الرسم التخطيطى فمن المحتمل انه قد بنى بأجزاء من انقاض الكنيسة الأولى . ويقدم لنا فى اللوحة رقم ٤٣ الرسم التخطيطى الذى يبين المواقع المحتملة للكنيستين الأولى والثانية .

والحائط الخارجى مبنى من الحجر الجيرى الأبيض فى شكل كتل كبيرة الحجم مبنية بالمونة ، ويبلغ طول البعض منها مترين على الاقل ، ويتوسط عمق المدماك ٤٢ر. متراً وهى مصفوفة افقياً . وترتبط طريقة تصفيف الحجارة فى حالات عديدة باحدى الوسائل التى شاهدناها فى مبانى مصر القديمة ، اى فى غياب الروابط . وتوضع الاحجار دائما فى الاتجاه الطولى للحائط جنباً الى جنب . وقد لاحظنا نفس الشىء فى دندرة . ولا يمكن ان نذكر بالتاكيد ان البناء الحجرى مقام بنفس الطريقة المصرية القديمة (اى ان الاحجار توضع بنفس الشكل غير المصقول الذى خرجت به من المحجر على ان يتم صقل وجه الحجر فيما بعد)

(١) Athribis, by W. M. F. Petrie, J. H. Walker and E.B. Knobel, London, The Egyptian Research Account, 1908, p. 13.

ولا اظن — بناء على ملاحظاتى — انها كانت توضع بهذه الطريقة . ان علامات الادوات المستخدمة على السطح الخارجى للحائط لا تشبه تلك التى نجدها فوق المبانى المصرية القديمة . انها ناتجة عن استخدام معول له طرف مسنن . ومن المحتمل ان يكون الوجه الخارجى للحائط الخارجى قد صقل بعد وضع الاحجار فى مكانها . او ان البناء الحجرى لم يكن من المقصود اظهاره ، ولكنها حسب التقليد القديم كانت تغطى بطبقة من الجص . حقاً ، مازالت بقايا طبقة الجص الأصلية ظاهرة بنفس اللون. وقد سقط الركن الجنوبى الغربى لحائط السياج واعيد بناؤه . لقد اقيم البناء الحجرى هنا بطريقة بدائية مع وصلات واسعة ورديئة . وقد قيل لى ان الانهيار قد حدث فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وتم اصلاحه فى ايام محمد على .

ويتميز هذا الجزء باستخدام مجرد كسوة حجرية لان قلب الحائط كله مبنى بالطوب الاحمر . ولا شك ان العديد من هذه الأحجار المستخدمة قد جلب من المبانى القديمة . ونجد فى القليل من الحالات أن السطح الأصلى قد بقى ، وبذلك نشاهد بعض النقوش والحروف الهيروغليفية، ولكن من الأسلم القول بان الاحجار قد اعيد صقلها . وقد بنيت بعض البلاطات الضخمة من الجرانيت فى اركان الحائط الخارجى لتقوم بدور حجر الزاوية . ويقابل الجدران الداخلية فى معظم اجزاء الكنيسة البناء الحجرى ، ولكننا نجد الطوب الأحمر فى اماكن عديدة . ونشك فى بناء معظم هذه الحوائط من الطوب الأحمر . ونجد ان العقود وتيجان الأعمدة والاعتاب ... الخ مبنية من الحجر الجيرى . اما الاعمدة فهى من الرخام او الجرانيت ، كما ان العديد من القواعد صنعت من الرخام وبعضها من الجرانيت . اما الاضافات الأخيرة للمبنى فهى كلها من الطوب الاحمر او الطوب اللبن . اما الأحجار المستخدمة فى المبنى فهى على خلاف تلك التى فى الحوائط الخارجية من حيث انها كلها صغيرة الحجم .

ونلاحظ ان الحنيات قد بنيت بطريقة غريبة ، فنجد انه قد وضع فوق تيجان الاعمدة وتحت الاعتاب مباشرة مجموعة من الاخشاب

(انظر اللوحة رقم ٤٧) ونرى الواح القسم الاصغر التى وضعت فوقها احجار الأعتاب . وفى بعض الحالات نجد ان هذه الالواح قد وضعت فى سطح حائط مسطح كروابط . اما الاعتاب فقد بنيت من الأحجار الصغيرة التى لا يمكن وضعها فى مكانها الا بمعاونة الالواح الخشبية .

وغطيت حنيات الهياكل الثلاثة التى فى الشرق بأقباء من الطوب الأحمر . وليس هناك من سبب يدعونا للظن بان انصاف القباب هذه غير اصلية . وبعض الأقسام الأصغر أيضا مقبية . والحنيات التى فى نهاية الرواق مقبية بالطوب الاحمر (١) . أما بقية السقوف والأرضيات التى يمكن أن نتتبعها الآن فهى من الخشب . وقد وضعت مزاريب لتصريف مياه الأمطار من السطح العلوى للسقوف . وترى كذلك بعض المزاريب بارزة من الحوائط عند المستويات المنخفضة . ويتضح لنا ان العدد الاكبر من المتعبدين الذين وضعوا انفسهم تحت تصرف القديس الانبا شنودة لم يستطيعوا ان يعيشوا بين الجدران الأربعة للمبنى الذى نصفه الآن ، ولذلك لم ينشئوا فيه الا أقساما قليلة هى (أ) ، والكنيسة، و (ب) ، والرواق الذى فى الطرف الغربى ، و (ج) الذى هو عبارة عن صالة فى الناحية الجنوبية للكنيسة وتمتد بطول يبلغ اكثر من نصفها . و (د) ، وبعض الحجرات القليلة ذات الحجم المتوسط . وقد ارتبط البعض منها بالطرف الشرقى للكنيسة . وهناك أيضا سلمان يقودان الى السقف ، وحائط . اين هى اذن المخابز ، والافران ، والمطبخ ، والمخازن ، وقبل كل شىء أماكن اقامة هذا العدد الكبير من الرهبان ؟ أما عن الشرفات أو الممرات الواضح انها كانت موجودة فوق الأجنحة الجانبية للكنيسة حيث اقام الرهبان الذين أخفاهم اصدقاؤنا الآثاريون ، فلا شك انها لم تكن كافية لاقامتهم .

واذا نظرنا الى المبنى من بعيد نستراه رهيبا وصليا . انه يتكون من مستطيل يمتد محوره الطولى باتجاه الشرق والغرب ، ويبلغ طول الحائط الشرقى ٣٦٫٧٥ مترا ، والغربى ٣٦٫٩٠ مترا ، والشمالى

---

(١) انظر الشكل رقم ٣٤ .

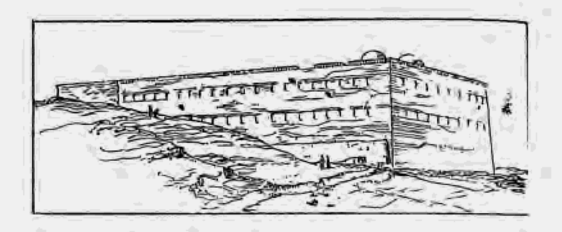
٧٤٫٦٠ متراً ، والجنوبى ٧٤٫٨٣ مترا . ويتخذ محيطه الخارجى شكل المعبد المصرى القديم وتتراجع الواجهة الخارجية للحائط مع الاستمرار فى الارتفاع .

وهناك ستة أبواب — ثلاثة منها كبيرة وثلاثة أخرى أقل حجماً ، ومنها باب واحد ضخم فى الحائط الغربى وينفتح على الرواق ، وباب آخر فى الحائط الشمالى ينفتح على الجناح الشمالى مباشرة ، وباب ثالث مشابه فى الحائط الجنوبى ينفتح على القاعة الكبرى التى تقع فى الجناح الجنوبى . أما عن الأبواب الصغرى فهناك باب فى الحائط الشمالى ينفتح على قاعدة السلم الذى يرتفع فى الركن الشمالى الشرقى للمبنى. وهناك باب آخر فى الحائط الجنوبى ينفتح على القاعة الكبرى عند طرفها الشرقى . وباب ثالث فى الحائط الغربى ينفتح على قاعدة السلم . ولا شك ان العديد من هذه الابواب والكثير من الاجزاء السفلية فى الحوائط الخارجية قد غطيت بتحصينات كثيفة من قوالب الطوب الاحمر واللبن لغرض الحماية ولتقوية الحوائط الخارجية الرئيسية . وكان الباب الشمالى ولا يزال مسدوداً بالحجارة وقواعد الاعمدة كما نرى فى الرسم (الشكل رقم ٣٣) ولم يختف خلف مبانى الطوب ، بينما اختفى تماماً الباب الأصغر فى هذا الحائط . وقد غطى المدخلان الكبير والصغير فى الحائط الغربى والمدخل الشرقى الذى فى الحائط الجنوبى . اما المدخل الاكبر فى هذا الحائط فقد كان ولايزال هو المدخل الرئيسى والوحيد المستخدم . وقد غطى سطحه الخارجى بالطوب الاحمر واختزل حجمه كثيراً بوضع قطع من الجرانيت . وكان كبيراً بما يكفى لمرور جاموسة (١) .

وعند بناء الكنيسة لم تتجه النية الى ضرورة أن تتخذ مظهر القلعة فكثرة الأبواب هنا تتنافى مع ضرورات التحصين وتدل على توافر عنصر الأمن بعد ان تحول القطر كله الى المسيحية ولم تكن الكنيسة حينذاك كما هى الآن منعزلة ومكشوفة . لقد بنيت كما رأينا داخل سور مستطيل

---

(١) لا يعيش فى داخل حدود الكنيسة اناس كثيرون فقط بل ايضا كافة مواشيهم .

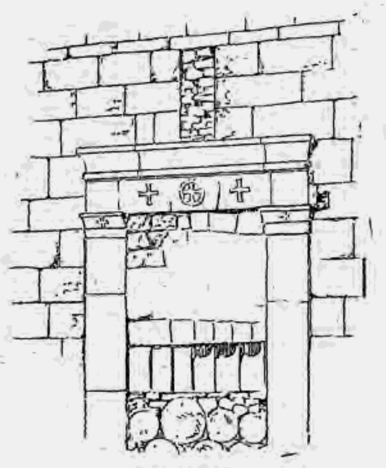


الشكل رقم ٣٢ : منظر عام للدير الابيض

توى ، يحيط بمنطقة كبيرة ويمتلىء بمنازل الرهبان ، مع الطواحين ، والأجران ، والمخابز ... الخ ويشكل مجموع ذلك كله الدير . اما البناء الحجرى الذى سندرسه الآن فانه يمثل النواة . انه استعادة للمدينة المصرية القديمة حيث يوجد المعبد المبنى بالأحجار فى وسط المدينة المبنية بالطوب اللبن .

وظلت المنشأة تتضاءل وتنكمش حتى استقرت اخيرا داخل البناء الحجرى الذى ظل باقيا . وعندما أجريت الاصلاحات فى سنة ١٩٠٧ ازيلت الطبقات المترسبة لانها بنيت كما هى فى معظمها من الطوب اللبن ، كما استخدمت المونة من طمى النيل . وقد اكلت الأملاح التى تشبعت بها هذه المواد البناء الحجرى حتى عمق بعيد ، وعملت فى الخفاء على استهلاك المداميك السفلية من الجدران ببطء . (انظر الشكل رقم ٣٣) .

ويكلل قمة الحائط كورنيش يتكون من قسم يشبه ذلك الشائع الاستخدام فوق المعابد القديمة . ويتمثل الاختلاف فى حقيقة انه بينما وضع البناء القديم دائماً زخرفة كثيفة فى كل ركن من بنائه ، مع زخرفة مماثلة لتكوين الجزء السفلى من الكورنيش ، ومصل بسطحه المجوف عن وجه الحائط الذى بأسفله ، فان هذه الزخرفة قد حذفت فى حالتنا الراهنة .



شكل رقم ٣٣

وهناك طابقان من الحنيات التى تشبه النوافذ فى الجدران الخارجية . وكان البعض منها نوافذ فعلية بينما الموجود منها فى الطابق العلوى فى الناحية الجنوبية يبدو أنه مجرد حنيات لا يمكن تتبع اثرها من الداخل . ووضع مدماك رفيع من الحجر فوق اعلى كل نافذة وكان الهدف منه أن يصبح كتلة أو اطاراً يساعد فى حمل الأحجار التى فوقه اثناء المضى فى البناء . وترى هذا المدماك الضيق من الحجر ليس فقط فوق الأبواب ولكنه مستمر على واجهة الحائط حول المبنى كله .

وكما قلنا ، فان المدخل الذى فى الوجه الشمالى مفتوح على الجناح الشمالى من الصحن مباشرة . وهو مصنوع من الجرانيت الأحمر ويتكون من مصراعى باب مقسمين الى قطع عديدة على شكل ركائز

مستطيلة تلمح مع وجه الحائط الحجرى الذى ركبت فيه . وهذه الركائز حاملة بتيجان من النوع المجوف ، وهذه ايضاً محاطة بالاطار الخشبى الذى يتكون من ثلاث قطع ، القطعة الطويلة منها موضوعة بعرض الفتحة ، والقطعة الصغيرة فى كلا الطرفين لاكمال الطول . وعندما ننظر الى المدخل فى اليسار نلاحظ فى القطعة التى فى الطرف اجزاء من شكل بالنقش الغائر مما يدل على ان الكتلة ماخوذة من مبنى مصرى قديم وهناك صلبان محفورة على العتب وعلى تيجان الركائز ؛ مما يدل على أن هذه القطع من الجرانيت قد اعدت لوضعها فى اماكنها التى تحتلها . ويأتى الكورنيش الذى ينتمى الى الطراز المصرى المعتاد فوق العتب ، وهو ينقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام طولية . وما زالت القطعة الوسطى تحمل آثار الزخرفة البنائية التى زخرفت بها عندما كانت فى موضعها الاصلى فى المعبد ، وقد اغلق المدخل بقطع من الكورنيش والاعمدة والافاريز ... الخ .

والمدخل الذى فى الحائط الجنوبى يواجه تقريباً ذلك الذى فى الشمال ، وهو ايضاً مصنوع من الجرانيت وبه ركائز وعتب واجزاء كورنيش . وتبين الكتلة الوسطى منه طرازاً مشابهاً لذلك الذى وصفناه مؤخراً .

وكان المدخل الذى فى الحائط الغربى حتى سنة ١٩٠٧ مغطى بكتلة من الطوب . وتحمل الركائز مع التيجان المزدانة بزخارف نباتية بورقة عتباً من الجرانيت الاحمر ، وهذا العتب يمثل قطعة من الجزء الذى كان يعلو عمودا فى بناء دورى رومانى مزخرف بجزء من الترجليف واسفله حليات القطرية .

والجرانيت احمر اللون ، وتوجد آثار رسومات فوق طبقة الجص الرقيقة التى غطيت بها الحوائط من الخارج . اما الصف الضيق من الحجر الذى فوق النوافذ فقد طلى باللون الأحمر وتحته مجموعة أخرى مشابهة . اما السطوح الوسطى فقد تميزت بوصلات حجرية حمراء ، وهذه الوصلات غير متساوية مع الوصلات الطبيعية للبناء الحجرى الا عن طريق الصدفة . وتظهر فجوة فى البناء الحجرى فوق المدخلين الشمالى والجنوبى ، ويضيع مدماك من الاحجار ، وقد امتلا الفراغ

بالأنقاض . ولا تتوافر لدينا الوسيلة التى نتعرف بها على ما تم نقله من هذه الأماكن .

وقد أعيد بناء الحائط عند الركن الجنوبى . وهنا تجد قاعدة مربعة على الوجهين الجنوبى والغربى وهناك أيضاً ركيزة من الحجر تتصل بالبناء الحجرى للحائط . وقد انحرفت الجدران الطويلة التى تشكل الجانبين الشمالى والجنوبى للبناء عن الخط الحقيقى بسبب تقدم الزمن والافتقار الى الربط الصحيح فى البناء . وقد اعيد تقويم الحائط فى سنة ١٩٠٧ . أما الركيزة الثقيلة المبنية من الطوب فلا شك أنها بنيت لحماية الأماكن الضعيفة فى الحوائط من جهة ، ودعمها من جهة أخرى . وقد ازيل الجزء السفلى من الحائط المبنى بالطوب اللبن بمقابل الحائط الجنوبى الممتد من الركن الجنوبى الشرقى تقريباً الى المدخل — والبناء الحجرى للجدران سليم بوجه عام ، بالرغم من أنه ممزق الى شقوق ملحوظة تبدأ من سطح الأرض .

وعندما ندخل من المدخل الجنوبى نجد أنفسنا فى ممر ضيق مثنى يمتد أمامنا حتى الحائط الذى يشكل الحد الجنوبى للجناح الجنوبى من الكنيسة ، ونرى فوق رؤوسنا العارضة العليا للباب أو العتب المبنى من الجرانيت الأحمر منقوشاً بالترجليف والحليات القطرية ، والواضح أنه جزء من نفس العتب مثل ذلك الذى استخدم فى المدخل الغربى (١) . وبعد أن نتقدم خطوات قليلة نحو الشمال ، نجد أنفسنا فى صحن الكنيسة الأصلية وهى الآن بدون سقف ، وما زالت محاصرة بالمنازل الحديثة . ونشاهد جداراً عالياً مبنياً من الطوب الأحمر ملاصقاً للطرف الشرقى من الصحن ، وقد برز منه عقد كبير محبب ، فى أعلاه صف من النوافذ ، ويشكل هذا الحائط الآن الحد الغربى للكنيسة . وكان الرسم التخطيطى الأصلى مشابهاً لذلك الطراز المستخدم فى الكنائس البازيليكية العادية ، ولكنه يختلف من حيث ترتيب طرفه الشرقى .

---

(١) بمرورنا من هذا الممر الضيق نكون قد عبرنا عرض القاعة المستطيلة الموازية للكنيسة فى الجهة الجنوبية .

وربما كان من الأفضل أن نبدأ وصفنا للداخل بالطرف الشرقي للكنيسة لأنه أكثر أهمية .

تمتد حنيات ثلاثة هياكل من فضاء مستطيل مساحته ١٠,٥٠ متراً في ٦,٨٠ متراً في اتجاهات الشمال والشرق والجنوب وقد غطيت جميعها بأنصاف قباب . وقد زخرفت حوائط الحنيات بأعمدة منفصلة في صفين ، تعلو كل منهما الأعتاب . وهناك حنيات تظهر على الرسم التخطيطي نصف دائرية ومستطيلة بالتبادل . ونجد أن قمة الحنيات نصف مقبية في جميع الحالات وبعضها مزخرف على شكل قوقعة والبعض الآخر بزخارف ورقية متشابكة . أما الوجه الرأسي للعتب فقد نقشت عليه زخارف خفيفة البروز . وقد نحتت حمامة الروح القدس في كتلة بارزة فوق الحنية الوسطى في الصف السفلي من الهيكل الشرقي .

وقد ذكرنا منذ قليل أن ألواح الخشب أدخلت في البناء تحت الأعتاب . وبعد تحلل هذه الألواح أقيمت حوائط رديئة من الطوب بها فتحات ذات عقود متوازية مع الحنيات التي انتشت بين الأعمدة ، وقد غطت الحوائط المبنية من الطوب الحوائط الأصلية للهياكل ، وبذلك أصبح من المستحيل رؤية حالتها أو الزخرفة التي عليها والمحيطة بالحنيات . وقد أزيل هذا البناء الحجري الدخيل سنة ١٩٠٧ وأعيد وضع الألواح الخشبية مرة أخرى في الأخاديد القديمة . وتنتج الهياكل على الفضاء المستطيل الشكل على هيئة ثلاثة عقود تامة أقيمت بشكل مبالغ فيه ، ويكمل المستطيل في ناحية الغرب عقد محمول على عمودين . وهذا الفضاء المستطيل تعلوه حالياً قبة تظهر مستديرة على الرسم التخطيطي ، وأقيمت دعائم من الطوب تخفي تماماً السطوح الأصلية للجدران ، وتحمل العقود التي ترتكز عليها القبة ، ولكننا إذا نظرنا إلى الرسم التخطيطي الذي يدل على أنها غير سميكة البناء، فسنرى أنه من المستحيل أن تعلو هذا الفضاء المستطيل قبة ، ولا بد أنه كان مسقوفاً بالأخشاب .

وإذا تقدمنا في اتجاه الغرب ، فإننا سنجد أنفسنا في فضاء يمتد محوره من الشمال إلى الجنوب ، ويحده في الغرب حائط من الطوب نراه أمامنا

عند الدخول الى صحن الكنيسة . ولا شك أن هذا الحائط يتسق مع القسم الاصلى من الكنيسة . والجزء الأكبر من ارضية الصحن الذى سنتقدم وصفه فيما بعد اصلى . ويقل مستواه بمقدار ٣٨ر. متراً عن مستوى سطح ارضية الحائط الشرقى التى تبدو فى معظمها اصلية . وهى تتكون من بلاطات متفرقة من الجرانيت الأحمر ، تحمل آثاراً لكتابات مصرية قديمة وزخارف ونقوشاً ، وهى مكسورة وخاصة فى الرخام الأبيض .

ولم نستطع فهم التخطيط الاصلى لدير الانبا شنودة حتى درسنا الرسم التخطيطى لدير الأنبا بيشوى (الدير الأحمر) . انظر (اللوحات ارقام ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١) وقد وجدنا أن الحائط المبنى بالطوب قد حل محل عمودين وعقد فى شكل شىء مثل الحاجز الذى اتاح من طريق تقليص العرض الظاهر للصحن ، توجيه العين نحو فتحة شديدة الضيق فى الهيكل . وبينما نجد ان الاتساع بين صفى الأعمدة الشمالى والجنوبى للصحن لا يقل عن ٥٠ر١١ متراً ، فان اتساع فتحة العقد نحو الحنيات الثلاث لا يتجاوز خمسة امتار . وبعد أن اعتمدنا على الدليل الذى شاهدناه فى دير الأنبا بيشوى يبدو لنا أن الفضاء الموجود بين حاجز الأعمدة فى الغرب ، وما اسميه عقد الهيكل فى الشرق ، قد عومل على انه جناح عرضى . وهذا الجزء من الكنيسة فى دير الأنبا شنودة احيط فيما بعد ببنيان من الطوب فى الجانب الشرقى ، ودمر عن آخره فى الجانب الغربى بحيث اصبح من الخطر التعرض له ، ويتضح لنا شىء واحد : أن تغيير مستوى الأرضية الأصلية يدل على وجود بعض التمييز الطقسى بين الجزءين الشرقى والغربى من الكنيسة عند هذا الخط .

وبالعودة الى الحنيات : تختلف الأعمدة التى ازدانت بها الجدران فى الطول ، ويتميز البعض منها عن البعض الآخر بقطع اضافية من الأعمدة والبعض الأخير بقواعد اطول من تلك المجاورة لها . واتخذ بدنا عمودى الصف العلوى عند فتحة الحنية الشمالية شكل مثمن الأضلاع . وقد زخرفت تيجان الأعمدة باوراق الأكانتس .. وتمت معالجة الورقة الوسطى بطريقة تخفى قمة تاج العمود .

ويقوم العقد الغربى او عقد الهيكل فوق عمـــودين من الرخـــام تم رفعهما على قاعدتى قطعتين منفصلتين .

اما الاعمدة نفسها التى لم تكن طويلة بما فيه الكفـــاية ، فقد اضيفت اليها اجزاء من اعمدة اخرى ، واستخدمت سيور حديدية لتقوية العمود، واختفت هذه الاعمدة تماماً فى جانبين منها بالدعائم المبنية من الطـــوب والتى ادخلت لتدعيم الجدران وحمل القباب . وقد تركنا المعالجة المعمارية الاصلية الخاصة بهذا الجزء للتخمين .

وربما كان الترتيب الطقسى للهيكل كجزء من البناء اصلياً او غير اصلى . وكما هو واضح من المسقط الافقى ، فان المذبح يقوم فى الهيكل شرق وتر الحنية ، ويقوم على كلا جانبيه كتلة مكعبة مثل مذبح صغير (١)، ويحيط بالهيكل الآن حاجز خشبى او حجاب حديث الصنع نسبياً . وتبدو الارضية التى فى داخل هذا الحجاب قديمة رغم ما يشوبها من تكسير . وهناك درجة سلم ارتفاعها حوالى ٠,٦٠ متراً عند المدخـــل الذى فى الحاجز الخشبى ، ولذلك فمن المرجح ان يكون الحاجز الخشبى الحالى قد احتل مكان حاجز قديم ، وليست هناك مذابح فى الهيكلين الشمالى والجنوبى . ولا يوجد بالكنيسة تقليد يفيد باقامـــة مذابح هنا ، ويصعب افتراض انه لا يوجد فى مثل هذه الكنيســة الكبيرة اكثر من مذبح واحد ، بينما قابلنا فى كنائس جميع الاديرة الأخرى تقريباً ثلاثة او اربعة مذابح او اكثر . ويوجد فى الهيكل الشمالى كتلة من الرخام الأسود قائمة على قواعد من الطوب وتتجه نحو الشرق بقدر ما يسمح شكل الهيكل . وهناك فى الارضية التى تحتها كتلة مذبح من الرخـــام الابيض يتخــذ سطحها شكل حدوة الفرس مثل تلك الموجودة فى دير « ابو حنس » كما أوردها بتلر فى كتابه : (Ancient Coptic Churches of Egypt - Vol. II. p. 8.) .

ولا توجد فى الهيكل الشرقى خلف المذبح اية دلائل تشير الى وضع صف من المقاعد مقابل الحائط . والحقيقة هى أن مستوى قواعد الحنية

---

(١) قيل لنا ان هذه لم تكن مذابح ، وان الكتلة الوسطى هى المذبح الذى كرس على اسم الانبا شنودة وانه لم تكن هناك اية مذابح اخرى بهذه الكنيسة .

قريب من الارض بحيث ينتفي احتمال وجود مثل هذه المقاعد . ونحن الآن لسنا متأكدين مما اذا كان الهيكل جزءاً من الترتيب الأصلي كما هو الآن ام ان الحاجز لم يمتد الى الغرب بحيث يشمل الهياكل الثلاثة من عدمه .

وهناك حجرات صغيرة على كلا جانبي الهيكل الشرقي على اليمين وعلى اليسار ، يتم الدخول اليها عن طريق أبواب في الهيكلين الشمالي والجنوبي . وقد اقيمت المعمودية ضمن تلك التي في الجنوب ، أما تلك التي في الشمال فان تحتها سرداباً صغيراً ، يظهر فوق الأرض تبعاً لانحدار المكان نحو الشرق ولكن بدون نوافذ . ويتم الوصول اليه عن طريق فتحة في ارضية حنية النافذة في الحجرة التي فوقه وعن طريق هذه الحجرة ايضاً يتم الوصول الى سلم في الركن الشمالي الشرقي البعيد للمبنى . وهذا السلم يوصل الى سقف الشرفة . وهناك مدخل في الحائط الجنوبي من الحجرة التي في جنوب الهيكل ، كان مسدوداً بالطوب حتى وقت قريب . ويقود هذا المدخل الى حجرة صغيرة مستديرة فوقها قبة يتم الوصول اليها من الغرب عن طريق غرفة أخرى بها عمودان منفصلان . ويتم الوصول الى هذه الغرفة الثانية عن طريق فضاء الجناح الذي ذكرناه من قبل . وقد غطيت كل من هاتين الغرفتين بقبة يصل ارتفاعها الى ستة امتار فوق الأرضية . وكذلك فان الحجرة الكبيرة المربعة التي في الجنوب المغطاة بقبة من الطوب ، يصل ارتفاعها الى تسعة امتار .

وتقع نقطة الربط بين الصحن والهيكل غرب عقد الهيكل في مكان الحائط الذي يحيط الآن بالكنيسة في الناحية الغربية ، وذلك حسب الرسم التخطيطي لكنيسة الأنبا بيشوي . واظن انه ربما تضمن صحن الكنيسة في داخله في اقصى الشرق منه ، ترتيب بعض المقاعد التي تتشابه من حيث المبدأ مع ترتيب الحاجز الذي نراه في كنيسة سان كليمنت في روما . والسبب في هذا الاقتراح هو اننا نجد على مسافة كبيرة غرب الطرف الشرقي للصحن كتلة صلبة من الجرانيت الاحمر يتصاعد ارتفاعها الى خمس درجات وتغطيها مظلة مبنية بالطوب ، تتكون من أربعة عقود

تحمل تبة صغيرة . اليس ذلك هو المنبر ؟ وبالرغم من ان ارضية هذا الجزء من الصحن محطمة الا انها تماثل الأرضية الأصلية الى درجة كبيرة ، وهى تتكون من سلسلة من بلاطات الجرانيت الأحمر المأخوذة من المبانى القديمة حسب ما تدل عليه بقايا الكتابات الهيروغليفية . وقد وضعت هذه البلاطات بزوايا قائمة مع بلاطتين صغيرتين وضعتا ايضا بزوايا قائمة مع محور الصحن ، ولكن حجمها صغير بحيث لا يمكن إعتبارهما ذراعين لتشكيل صليب . ولا بد انهما تدلان على موقع بعض الممرات العرضية أو المنافذ شمال وجنوب الحاجز . ويذكر العالمون بمثل هذه الشئون انه فى كنائس الأديرة المصرية خلال هذه الفترة القديمة التى كانت تستخدم مثل هذا الترتيب الطقسى ، لا بد أن الأمر كان يتطلب وجود الحاجز (١) .

ولا يقل عرض الصحن وجناحى الكنيسة من الحائط الشمالى حتى الحائط الجنوبى عن ٢٣ متراً . ويبلغ عرض الصحن نفسه ١١٫٥٠ متراً بين الأعمدة . وبعض الأعمدة من الجرانيت ولكن معظمها من الطوب الأحمر وقد بنيت جيداً بالمونة البيضاء المتينة . وقد اخفيت قواعدها كثيراً او قليلا بمصطبة طويلة . ومن المجازفة القول بانه لم يتم العبث باى عمود منها منذ فترة بعيدة . والمسافات بين الأعمدة غير متساوية ، كما أن الأعمدة التى فى الصف الشمالى لا تواجه تلك التى فى الصف الجنوبى بالضبط . وهناك قطعتان او ثلاث قطع من التيجان تعلو الأعمدة .

ومنذ كتابة هذا الكلام ازيل قدر كبير من النفايات وهدمت بعض المبانى الدخيلة . وعثر على عدد كبير من تيجان الأعمدة المزخرفة . ونرى ذلك الآن فى صف الأعمدة التى فى الجانب الشمالى للصحن .

وهناك بعض الأعمدة التبادلية ذات لون أحمر ، بينما صنعت الأعمدة التى بينها من الجرانيت . وقد ضاع العمود الأول من جهة الشرق ،

(١) توجد بعض الأحجار على ارضية الكنيسة الصغيرة التى فى قبلة (انظر اللوحة رقم ٢٤) وهى تدل على احتمال وجود الحاجز فوق هذه الأحجار .

وبعد ذلك نجد عمودا من الطوب ، ويليه عمود من الجرانيت وهكذا يجرى الأمر بالتبادل حتى نصل الى العمود السابع . ويجرى هذا التبادل بانتظام شديد ؛ مما يجعل من الصعب علينا القول بان هذا الترتيب قد حدث مصادفة أو أنه ناتج عن اجراء اصلاحات تالية لوقوع احدى الكوارث .

وهناك مدخل فى الجانب الشمالى وهو مسدود الآن . وبذلك نكون قد قدمنا وصفاً للداخل . وينفتح المدخل على الجناح الشمالى مباشرة . وهناك مدخل آخر مواجه له تم بناء عقد صغير فيه تأخفى الكثير من معالمه ، ويبرز هذا المدخل من خلال الحائط الجنوبى للجناح الجنوبى وقد وصفناه مؤخراً .

ويبرز من حائط الصحن فى الطرف الغربى مدخل آخر على الخط المحورى للكنيسة . وكان هذا الطرف من الكنيسة وحتى وقت قريب ، يعانى من القذارة والاهمال بشكل لا يوصف . وقد دفن المدخل تقريباً فى القمامة والانقاض . اما الفتحة فهى واسعة ومستطيلة وعليها عقد بارز فوق العارضة العليا . والنصف الغربى من الصحن مسدود بالمنازل التى بنى العديد منها حديثاً . وفى سنة ١٩٠٧ ، كانت هذه المنازل قليلة العدد ولكنها ظلت قائمة .

وهناك عمودان من الحجر قائمان بالقرب من الحائط الغربى كما هو ظاهر فى الرسم التخطيطى . والمسافة التى بين الاعمدة هنا اقل من تلك التى فى الطرف الشرقى للصحن .

ويمكن تتبع أثر افريز منقوش على ارتفاع خمسة أمتار من ارضية الصحن بطول جدارى الجناحين الشمالى والجنوبى وعبر الحائط الغربى(١) . وهناك فوق ذلك مباشرة فجوات كبيرة فى الحائط مجهزة لوضع اطراف الواح الخشب . ومن الواضح ان الجناحين الشمالى والجنوبى جرى تقسيم ارتفاعهما بواسطة أرضية . ويمكن مشاهدة فجوات أخرى عند

---

(١) انظر وصف الكنيسة التى فى دنقرة .

قمة الجدران كانت معده لوضع الالواح الخشبية التى حملت سقوف الجناحين . ويتفق مستوى الارتفاع الناتج عن هذه الالواح مع فتحات تسريب مياه الأمطار التى تراها فوق صف النوافذ العلوية .

ويوجد فى الجدران صفان من النوافذ الصغيرة . وقد فتحت النوافذ التى فى الحائط الشمالى بحيث تطل النوافذ السفلية على الجناح والعلوية على الشرفة العليا . وينفتح المدخل الذى فى الطرف الغربى للصحن مباشرة على مساحة ضيقة ذات محورين شمالى وجنوبى وهذا هو الرواق . ويبرز من حائطه الغربى مدخل مقابل لذلك الذى ذكرناه مؤخراً ، على المحور الأوسط للكنيسة تقريبا ، وقد وصفنا الجزء الخارجى من هذا المدخل . اما الداخل فهو محاط بركائز . وبالنظر الى حجم الرواق الصغير فان التاثير المعمارى الذى يهدف اليه جدير بالاعتبار . وبالرغم من ان الطرفين الشمالى والجنوبى لهما شكل مربع على الرسم التخطيطى عن طريق ترتيب خمسة اعمدة تحمل عتبا ، فان السقف يتخذ شكل حنية نصف دائرية (١) . وتتبع الاعمدة والعتب وقبو الحنية فى الطرف الشمالى . اما فى الجنوب فقد بقى عمود واحد ، ولكن الحوائط تبين بوضوح مواضع كسر الأعتاب والاقباء . اما الجدران الجانبية للرواق تلك المبنية بالحجر فقد زينت بحنيات ، تعلوها واجهات مثلثة رائعة ، نشاهد الكثير منها فى هذه الكنيسة (٢) .

وكانت هذه الغرفة مسقوفة أصلا بسقف محمول على الواح خشبية تشكل ارضية تتساوى مع ارضية الشرفة التى فوق الجناحين . وفى تاريخ لاحق تم بناء قبو أسطوانى من الطوب ليحمل الأرضية . وعندما رأيت الكنيسة للمرة الأولى فى سنة ١٨٩٢ كان جزء كبير من هذا القبو موجوداً . وبعد تلك تساقط وزحم الارضية الى ارتفاع ملحوظ . وكان هذا الجزء من الكنيسة وحتى فترة قريبة هو مقلب النفايات للمجتمع البائس والمحتقر الذى يعيش داخل حوائطه ، ويشكل منظراً مثيراً

(١) انظر اللوحة رقم ٣٤ .
(٢) انظر الشكل رقم ٣٥ .

للاشفاق ، وهذه هى الحجرة التى وصفها كيرزون بطريقة بهيجة (١) ؛ ولكنه شاهد عدداً من الاشياء ليست موجودة الآن . وتبين الرسومات التى لدينا ان البناء الحجرى فى الحنيــة الشماليــة غير مزخــرف . اما الزخرفة التى تحدث عنها كيرزون فلا بد انها كانت من الجـص — هذا اذا وجدت أصلا — ولا توجد أدلة على وجودها .

ويقدم لنا دينون رسماً تخطيطيا لهذا الدير (٢) وقد اعاد بتلر نشره مع التصحيح (٣) . ولكن الاثنين جانبهما الصــواب ، ويكفى أن نقول ان هذا الرسم مثله مثل الرسومات الأخرى التى ينشدها علماء الحملات العسكرية الفرنسية . ان علينا أن نكون اشــد رغبة فى معرفــة كيفية اداء هذا العمل بالطريقة التى لجاوا اليها (مع ذكر الصعاب الرهيبــة التى اعترضت طريقهم) اكثر من البحث عن الأخطاء ، فى حين يذكــر لنا بتلر بامانة انه لم يشاهد المكان الا انه استطاع تجميع هذا الدليل فى حدود قدرته .

ويوجد فى جنوب الرواق سلم كبير اسىء استعمال الجزء السفلى منه ، بينما خرب الجزء العلوى تماماً . وهو يقود الى سطح شرفــات الجناح . ويجب ملاحظة ان وضع السلم فى هذا المكان ، سواء شمال او جنوب المدخل الغربى للكنيسة ، يمثل احد الملامح المعتادة فى عدد كبير من المساقط الافقية التى جمعناها .

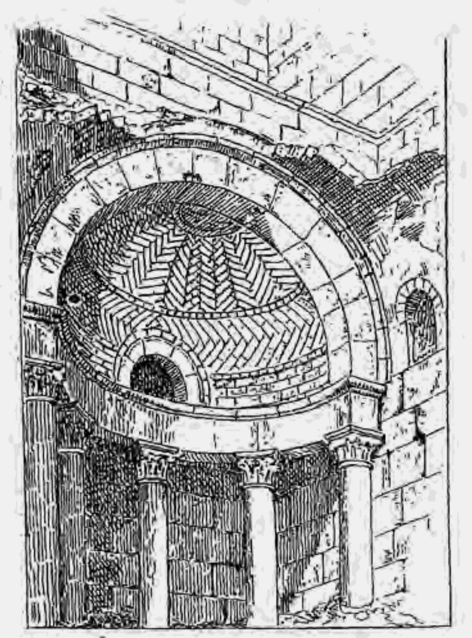
وفى جنوب السلم نجد انفسنا داخل حجرة مربعة الشــكل تحمــل قبتها اربعة عقود مدببة ترتكز على دعامات قصيرة . والبناء هنــا مقام بكامله من الطوب الاحمر . والواضح انه احدث تاريخياً بالنسبة للسلم المجاور له والرواق والكنيسة . وتقع هذه الحجرة داخــل هــذا الجزء من المبنى الذى قيل لنا انه اعيد بناؤه فى اوائل القرن التاسع عشر .

---

(١) Monasteries of the Levant, p. 131.

(٢) Travels in Upper and Lower Egypt by Vivant Denon Translated by Arthur Aikin, 2 Vols. London : Longman and Rees, 1803, Plate XXXVII.

(٣) An. Cop. Churches of Egypt, A.J. Butler, Vol. 1, p. 352, Oxford Clarendon Press, 1884.



شكل ٣٤ : الدير الابيض – الرواق

وتقع البئر شرق هذه الحجرة ذات القبة مباشرة . ويبين لنا الرسم التخطيطى ان الكنيسة لا تشغل كل منطقة المستطيل التى تحيط بها الحوائط الخارجية ؛ ولكن توجد الى الجنوب منها غرفة يبلغ عرضها ١٥ر٨ مترا وطولها ٤٧ مترا وهى تمثل قاعة كبيرة . وابعاد هذه القاعة

غير عادية ؛ ولكنها بالرغم من طولها لا تحمل أية آثار للحوائط المتقاطعة .
وكان السقف مصنوعا من ألواح الخشب وقد ظهرت الثقوب التى تدخل
بواسطتها فى الجدران . وهناك كورنيش مزخرف يحدد مستوى سطح
السقف . وهذا الكورنيش يشبه ذلك الذى فى الجناحين ولكنه على
ارتفاع أعلى منه . أما الصف السفلى من المزاريب التى تبرز من الحائط
الجنوبى ، فانها على ارتفاع يسمح بقذف المياه من الأرضية التى فوق هذا
السقف . وقد كسيت واجهات حوائط هذه الحجرة السفليه بالأحجار
مثل حوائط الكنيسة . ويوجد فى طرفها الشرقى عقد مجوف قليلا يحيط
به حنيتان على كلا الجانبين ومدخل يؤدى الى حجرة مربعة خلفه .
وهناك أيضاً باب فى الطرف الشرقى للحائط الجنوبى يؤدى الى خارج
المبنى . والقاعة ذات اضاءة محدودة تدخل اليها عن طريق الصف
السفلى من النوافذ الصغيرة التى تبرز من الحائط الجنوبى .

وما زال الحائط الذى يفصل هذه القاعة عن القسم من الكنيسة
الذى اطلقنا عليه اسم الجناح العرضى قائما حتى ارتفاع سقف الغرفة .
ويبرز من هذا الجزء صف من النوافذ التى لا بد وأنها كانت مفتوحة
من الجناح على الحجرة المنخفضة التى فوق القاعة المستطيلة ، ولكنها
لا تسمح الا بدخول القليل من الضوء .

ومن الواضح أنه فى نفس الفترة استمر قدر كبير من البناء داخل
جدران المبنى . وقد تحدثنا منذ قليل عن القبة والدعائم التى بنيت فى
الركن الجنوبى الغربى ، وكذلك القبو الذى فوق الرواق . وقد أقيمت
سلسلة من القباب فوق القاعة المستطيلة ، ووضعت الدعامات والعقود
المبنية بالطوب الاحمر مع المونة البيضاء الجيدة ، مقابل الجدارين
الشمالى والجنوبى لحمل الحائط الضرورى لمساندة القباب ، ولكن أية
قباب هذه فقد سقط الجزء الأكبر منها .

ولا بد أن الكنيسة تعرضت للنهب فى مناسبات عديدة ولكننا لا نلاحظ
علامات الحريق الهائل المحتمل حدوثه فيما يختص لكافة السقوف بوجه
عام . ولو كانت تلك النيران قد اشتعلت بالفعل لظهرت آثارها على

الحجر الجيرى الذى بنيت به الجدران مباشرة . وقد غطيت الحجرة التى فى شرق القاعة المستطيلة بالطوب الأحمر وتشك فى الا يكون هذا جزءاً من المبنى الأصلى .

ويجدر بنا تقييم الكنيسة ، كما هى اليوم . إنها منكمشة بنى داخل جدرانها القديمة ، والمبنى الذى نراه يمثل الكنيسة ومكان اجتماع الدير الأصلى ، احيط فى جوانبه الشمالى والجنوبى والغربى بعدد من المبانى . لقد تغيرت حالة الأشياء تماماً . وحتى وقت قريب كانت مجموعة من العائلات تعيش داخل الجدران مع مواشيها وطيورها الداجنة ، والأوساخ المتراكمة ، كما ذكرنا من قبل ، وهذه الكنيسة التى تعتبر من أفخر الكنائس التى بقيت فى مصر والأثر الرئيسى للمسيحيين ، كانت حالتها سيئه ومثيرة للامتعاض بما يفوق اسوأ الحالات التى قد تصل اليها اية كنيسة خربة ، حتى حلول سنة ١٩٠٧ عندما وضعت تحت رعاية لجنة حفظ الآثار .

لقد كان الرواق هو خزان الفضلات العمومى ، اما فى داخل الكنيسة واثناء تقديم الخدمة على المذبح ، فقد كانت الفضلات تتراكم فى الجناح والدواجن تتمشى بدون ازعاج .

واتساع الصحن الكبير مع قلة سمك المبانى لا يسمح الا بسقف من الألواح الخشبية . ونفس الأمر كذلك بالنسبة للجناحين والقاعة والرواق . ولا نستطيع افتراض أن الصحن قد ترك مفتوحاً كما قال البعض ، لأن ذلك يختلف كلية مع العادة المتبعة فى البلد . ويختلف ايضا مع تخطيط الطراز البازيليكى ، ولذلك يلزم استبعاد ذلك الاقتراح حالا . ونفس الروح التى اثرت فى تخطيط السقط الأفقى والتفاصيل المنحوتة ، هى التى ابتدعت السقف الخشبى كما هو شائع فى بلدان الساحل الشمالى للبحر المتوسط . وربما كان هذا السقف والأمر كذلك قد تعرض للحريق او السرقة منذ وقت طويل . ومن الممكن ان هذا الصحن بعد سوء الطالع هذا ، لم يركب له سقف مرة اخرى ولكن أعيد استخدام الأعمدة الحجرية والأعمدة المبنية من الطوب الأحمر

السهلة المنال لكى تحمل الجناحين والشرفة العلوية التى أعيد بناؤها . وقد بنى حائط مستعرض سميك فى المكان الذى كان يشغله الحاجز ذو الاعمدة ، وقد برز من وسط هذا الحائط عقد واسع يصل الى اتساع الفتحة التى كانت موجودة بين عمودى الحاجز وذلك عند مقارنة تخطيط هذه الكنيسة بتخطيط كنيسة الانبا بيشوى .

ولما تبدت الالواح الخشبية وأصبح من الصعب الحصول عليها لندرتها ، اقيمت القباب فوق الجزء من المبنى المطلوب تغطيته ، وأصبح من المرغوب فيه توفير مساحات مربعة تبرز عندها القباب لتدعيم المبنى الخرب تقريباً ، ومساندة القباب التى تظهر مستديرة فى الرسم التخطيطى . وتم ذلك ببراعة فائقة عن طريق بناء دعائم من الطوب الأحمر تعمل فى نفس الوقت على تدعيم الأجزاء الضعيفة من المبنى الأصلى .

وقد زخرفت حوائط الحنيات الثلاث بصفين من الأعمدة والأعتاب كما سبق أن ذكرنا ، ومن الأسلم القول بأن الحنيات قد نجت من الخراب الفعلى بالحريق : ولذلك فهى أصلية .

وتم اخفاء السطح الاصلى للجدران فى جميع الاجزاء تقريباً نتيجة لبناء الدعامات الضخمة لحمل القباب ، وملء الفراغات التى بين الاعمدة كما ذكرنا من قبل . ولما ازيلت الحوائط التى سدت الفسحات التى بين الأعمدة استطعنا رؤية الواجهات المثلثة الشكل والاعمدة الصغيرة التى تزين الحنيات الصغيرة فى جدران الهيكل .

ويوجد الآن حاجز صلب من اشغال الخشب يسد الحنية الشرقية . وهناك أيضاً حاجز من الأشغال الخشبية المفرغة يحيط بالمكان المخصص للنساء فى الحنية الجنوبية . ويوجد الى يسارنا مباشرة عند الدخول ، فراغ يتم الوصول اليه من طريق سلم متداع . وهذا هو المنبر .

ويقدم لنا ابو صالح (ص ٢٣٥) بعض خصائص الدير الابيض ولكن يبدو انه لا يذكر شيئاً عن الدير الأحمر الذى بالقرب منه . فيقول : « أما عن دير القديس العظيم الانبا شنودة (سانوتيوس) بالقرب من

أخميم فان هذا الدير كنيسة كبيرة (١) واسعة بما يكفى لاستقبال آلاف الناس وفى داخلها جسدا القديسين الطاهرين برثلماوس وسمعان القانوى وهما من جملة التلاميذ الاثنى عشر .

ويوجد فى هذا الدير حصن ، وحول الحصن والدير سور بداخله حديقة بها جميع انواع الاشجار » . ويمضى بعد ذلك فيذكر قصة تبين انه « لم تدخل هذه الكنيسة اية سيدة منذ البداية » .

ومن الصعب استنتاج اية ملحوظة من هذه الكنيسة بدون العودة الى العبارات الرائعة التى ذكرها مسيو اميلينو على ص ٨٨ من كتابه : « Vie de schnoudi » حيث يقول :

« ومازالت المبانى التى اقامها هؤلاء الرجال الشجعان (القديس سنوتيوس ورهبانه) باقية حتى اليوم ، ولم يتم تحريك أى حجر من مكانه . ولقد اوضحنا من قبل وكما هو واضح للعين المجردة ان كافة احجار الزاوية الجنوبية الغربية قد سقطت ثم أعيد بناؤها ، (إن الجدران ذات السمك الكبير لا يقل طولها عن ١٢٠ متراً بينما يبلغ عرضها مائة متر) والحقيقة هى ان مساحتها ٧٥ × ٣٦,٨٥ متراً . ويتم الدخول الى الدير عن طريق المدخلين اللذين فى المواجهة وليس من باب السور المحيط . وعندما زار مسيو اميلينو الكنيسة كان من السهل مشاهدة ثلاثة مداخل لا يوجد بينها مدخل واحد يؤدى إلى الدير (اما عن ذلك الذى يتم الدخول منه اليوم فإن عرضه يزيد على ١٥ متراً . ولكنك تصاب بالرعشة عند عبور ظلام الممر ، أما الرهبان الذين يقيمون داخل هذه الجدران فقد خرجوا من العالم) . ولم يكن هذا الممر إلا ملحقاً يستعمل لاغراض الدفاع ، ولا يشكل فى ظاهره جزءاً من المبنى الاصلى . وتوجد الكنيسة الكبرى على يمين هذا المدخل» .

ويذكر مسيو اميلينو ان هذا المبنى المنكمش الحزين الذى تقام فيه الواجبات الكنسية هو كنيسة الدير .

وقد دافع مسيو اميلينو عن آثار مصر القبطية بقوة ، حتى اننا نلتمس العذر لعدم مناقشة عباراته عن الدير الأبيض .

(١) تكفى هذه العبارة فى حد ذاتها لبيان ان المبنى الذى نراه الآن ما هو الا كنيسة الدير .

دير الأنبا بيشوى (الدير الأحمر بسوهاج)

(اللوحات ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١)

يقوم مبنى هذا الدير مثل مبنى ديــر الأنبا شنودة فى الصحـــراء عند الطرف الغربى البعيد للأرض المزروعة التى لا ترتفع هنا بشكل فجائى كما هو الحال فى الجنوب حيث يقوم الدير الآخر . وتقع تلال الحجر الجيرى الشاهقة على مسافة قليلة فى الاتجاه الغربى . وهو على خلاف دير الأنبا شنودة لا يقف منعزلا بل أقيم بالقرب منه عدد من المنـــازل بعضها فى الجنوب وبعضها فى الشرق . أما المنطقة التى فى الشــــمال الغربى والجنوب الغربى فهى مغطاة بأنقاض الطــوب . وما زال الفناء المستطيل الذى تغطيه هذه الأنقاض محصورا داخل بقايا حائط مــن الطوب(١) . وإذ عدنا الى الرسم التخطيطى ، فسنلاحظ أن مبنى الكنيســة الذى يطلق عليه الآن ومعه القاعة المجاورة اسم : الديــر ، صغيــر بالمقارنة مع الفضاء الذى يحصره هذا الحائط .

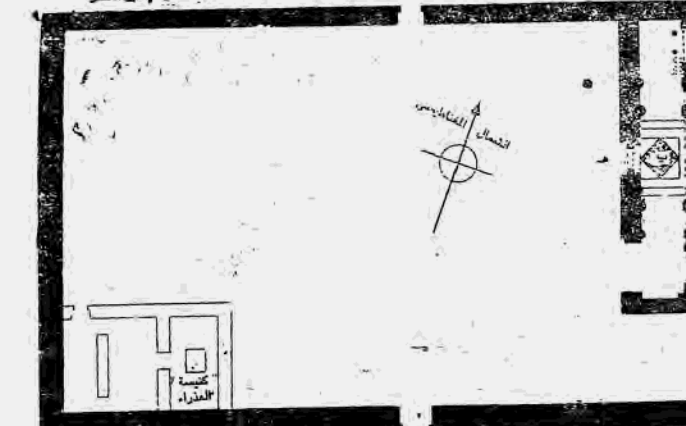
وقد بنى الحائط الخارجى بالطوب الأحمر الصغير الحجم والمبنى مع الوصلات العريضة بمونة بيضاء جيدة . أما عن طبقـــة الطــوب الموضوعة حالياً ــ فمن ذاك الذى يفكر كثيراً فى الوصلات الجيـــدة والأوضاع الرأسية التى يجب أن توضع بها الوصلات التبادلية الواحـــدة فوق الأخرى ؟ وبناء هذه الحوائط بالطوب ليس جيداً بما فيه الكفاية ولكن الانتظام الدقيق الذى يستحق الاعجاب ، يقدم بناء أكثر جودة من المبنى القديم الأقل انتظاما حيث تتوافر دائماً كمية كبيرة من المونة . وقوالب الطوب نفسها غير منتظمة من حيث الحجم ولكنها ذات أشكال جيدة .

والحوائط المحيطة بالمبنى أشد سمكا عند القاعدة منها عند القمة ، ويتركز الانحدار المتناقص على الوجه الخارجى ، ويعلو الحوائط كورنيش حجرى ، يتشابه مقطعه مع مقطع كورنيش دير الأنبــا شنودة ، وهو الكورنيش المصرى بعد استبعاد الخيزرانة التى أسفله ، والأحجار التى يتكون منها الكورنيش صغيرة وارتفاعها أكبر من عرضها .

---

(١) انظر الشكل رقم ٣٧ .

لوحة رقم ٤٩


الدير الأحمر (الانبا بيشوى) بالقرب من سوهاج
الشمال
كنيسة العذراء
مقياس الرسم ١ : ٧٠٠

لوحة رقم ٥٠



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

لوحة رقم ١ د

الدير الأحمر

قطاع يطل على الشمال

مقياس الرسم ١ : ١٠٠

أعمال لاحقة

ظهر الإفريز

مستوى السقف السطح

فتحات لوضع ألواح السقف

شباك

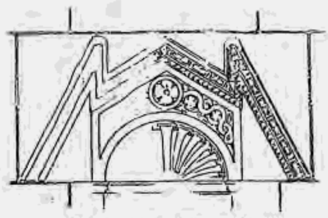
شباك

فتحات لوضع ألواح الأرضية

نافذة

الحائط الشمالي للجناح الشمالي

قطاع على الخط (هـ - ب - جـ - د)



شكل رقم ٣٥ : الدير الابيض – راس حنية

وفيما يخص المسقط الأفقى عند سطح الأرض فقد ترك محل شك فيما عدا الترتيبات التى فى الركن الجنوبى الغربى حيث توجد البئر ، وكذلك موضع الحجاب لعدم وجود بيانات نعتمد عليها ، ومن غير المعقول افتراض انه كان مقاماً فى العقد الذى يقع غرب القباب الثلاث مباشرة .

وفى الدور الثانى نجد فى المدخل الرئيسى الذى نصل اليه بن سلم فى الطرف الغربى ، شرفتين واسعتين فوق الجناحين . وتتضح لنا سطوح أرضيات الشرفة والسقوف بالفتحات التى فى الجدران تلك التى كانت مجهزة لوضع الواح الخشب وهى مازالت موجودة . ولا يوجد دليل مباشر على ما اذا كانت الاعمدة التى فى الصحن قد ربطت بالعقود أم الأعتاب . واذا وضعنا فى اعتبارنا ارتفاع الأعمدة وسطوح ارضيات الشرفات ، فمن المرجح احتمال وجود عقود .

وليس لدينا دليل يبين كيفية اتصال الشرفات بالصحن ، وكذلك لا نستطيع بيان كيفية اضاءة الصحن . ويبدو لنا ان استخدام سقف من الخشب وليس قبة فوق الفراغ المغطى الآن بالقبة الرئيسية للكنيسة غنى عن السؤال ، ولم تكن الجدران والعقود المبنية هنا وفى القسم التالى غرباً ، قوية بما يكفى لحمل سقف حجرى .

ولابد انه كان هناك سقف خشبى فوق المبنى كلــه . وفى الوقت الذى بنيت فيه هذه الكنيسة كانت معظم المبانى فى ايطاليا مغطاة بسقوف خشبية كبيرة المساحة . واذا نظرنا الى الفكرة العامة عن داخل الكنيسة كما وردت الينا ، فسنجد أنها تتضمن اسلوب تركيب السقوف . ويجب الا نغفل وجود سقوف خشبية بالاسكندرية .

اما حوائط الكنيسة نفسها فهى مبنية من الطوب ، والوجه الخارجى منها يخفى خلفه الداخل المبنى من الحجر الجيرى فى اجزاء عديدة منه . بينما هو فى الحوائط الأخرى مغطى بالجص . اما الأعمدة فهى من الحجر الصلب او الجرانيت . وتحتوى الحوائط الخارجية على صفين من النوافذ .

وقد راعينا اثناء وصف كنيسة الانبا شنودة الاهتمام بقطع الأخشاب الموضوعة تحت اعتاب الحنيات الحجرية للمساعدة على ابقائها فى اماكنها ، وقد نظرنا باهتمام شديد الى نظام وضع الالواح الخشبية الصغيرة فى هذه الكنيسة حيث نجد ان هناك قطعا طويلة مبنية فوق عقود الحنيات . ولو كانت هذه القطع قد امتدت الى الأركان ، وربطت معاً حيث تتقاطع لاصبحت ذات اهمية كبيرة كروابط طوال فترة وجودها، ولكن طالما انها بنيت فى الجدران بالشكل الذى حدث ، فانها تصبح قليلة الاهمية .



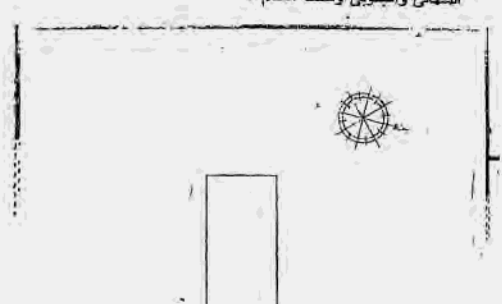
الشكل رقم ٣٦ الدير الأحمر ـ سوهاج

واذا تتبعنا انحناءة اعتاب الحنيات سنجد أن الخشب فى معظم الاجزاء قد حل محله الطوب الاحمر . اما الطبقة الحجرية التى فى واجهة الجدران وهى طبقة رقيقة جداً ، فقد تسمت أيضاً بواسطة سيور افقية من الخشب ، بعضها ظاهر ، بينما البعض الآخر مخفى خلف طبقة رقيقة من الجص وضعت فوق السطح الداخلى للجدران . وقد خوش السطح الظاهر للخشب فى بعض الأماكن بخطوط رأسية وصليان. وتم تنفيذ ذلك بانتظام يجعل من الصعوبة التفكير فى انه مجرد اسلوب لعمل ثقوب فى الجص .

وقد غطيت الحنيات الثلاث التى فى الطرف الشرقى بأقباء من الطوب الأحمر ، وكذلك فان جدران المبنى المربع الذى فوق عقود الحنيات قد بنيت هى الاخرى من الطوب . حقاً ، انه فيما عدا الطبقة الرقيقة من الحجر التى بنيت فى واجهة الحوائط المتجهة الى داخل الكنيسة فان جميع الأجزاء مبنية بالطوب الأحمر .

وقد عانى الطرف الشرقى لهذا المبنى اقل مما عاناه دير الأنبا شنودة . ويتضح لنا التشابه الشديد بين الاثنين . اما المعالم ذات الأهمية المفقودة فى الكنيسة الاكبر فهى سليمة هنا وتبين لنا الشكل الذى كانت عليه الكنائس الأخرى . وكانت المبانى التى فى داخل السياج المستطيل المبنى بالطوب الأحمر تتكون فقط من : (أ) الكنيسة ، (ب) قاعة كبيرة فى ناحيتها الجنوبية ، (جـ) بعض الغرف الملحقة بالطرف الشرقى للكنيسة . وليس هناك دليل على وجود رواق . وليس من المعقول وجود رواق لعدم وجود مدخل فى الطرف الغربى للمبنى يمكن الدخول منه لهذا الرواق او للكنيسة . والواضح انه كانت هناك شرفة علوية فوق جناحى الكنيسة ، لان الفتحات التى تدخل فيها الواح الأرضية والسقف مازالت ظاهرة ، ولكن موضع السلم الذى يوصل الى الشرفة غير واضح، وهناك دلائل عند الحائط الغربى فوق المكان الذى يعتبر الآن مقصورة صغيرة تسمح بوجود السلم فى هذا المكان . وقد نجد عند المقارنة بين عدد كبير من الرسومات التخطيطية للكنائس ، أن المدخل الغربى

ليس من المعالم المعتادة ، بينما نجد فى الطرف الغربى دائما المدخلين الشمالى والجنوبى وكذلك السلم .



شكل رقم ٣٧ : الدير الأحمر
يظهر هنا حائط السور المبنى بالطوب وهو يحيط بالكنيسة والدير ـ مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠

واذا نظرنا الى المبنى من على بعد قليل ، نستنجد انه يتمتع بنفس روح البساطة التى تميز دير الأنبا شنودة (انظر الشكل رقم ٣٦) . ويتشابه التخطيط الخارجى مع تخطيط المعبد الفرعونى . اما الجدران فيعلوها كورنيش يشبه تلك التى فى دير الأنبا شنودة . ويظهر صفان من النوافذ فى الجدران الخارجية . والنوافذ عبارة عن فتحات صغيرة مستطيلة ولكنها تتجه نحو الخارج وهى موضوعة داخل فتحات حنيات مدببة (انظر الشكل رقم ٣٨) . ولا شك فى ان العديد من هذه النوافذ مجرد حنيات للزينة ، تعطى روح التناسق للخارج . وهنا نوافذ اخرى بارزة . ونجد فى بعض الأماكن طبقة رقيقة من الجص فوق الجدران الخارجية ولكنها غير موجودة على المستوى الأعلى الذى يمكن مشاهدة المحافظة عليها .

وهناك مدخلان ــ احدهما فى الشمال والآخر فى الجنوب . وينفتح الشمالى منهما على الجناح الشمالى من الصحن مباشرة ، وهو عبارة

عن نتحة مستطيلة بها ركائز وعارضة علوية من الحجر الجيرى ، والعارضة العلوية مزخرفة بزخارف محفورة . اما المدخل الذى فى الحائط الجنوبى فهو مواجه لذلك المدخل الذى فى الشمال وهو من نفس الشكل المستطيل وبه ركائز عليها تيجان مزخرفة على كلا الجانبين ، ولكنه سليم تماما بسبب المبنى الملحق بالجهة الجنوبية من الدير ، حتى انه من الصعب التاكد من شكل المدخل . وهذا المدخل هو الوحيد المستخدم الآن . ويمكن الوصول اليه عن طريق ممر ينحنى بزوايا قائمة ونتيجة لذلك فهو مظلم كالليل .



الشكل رقم ٣٨ : الدير الاحمر ــ تفاصيل النوافذ والأعمدة

وعندما ندخل من المدخل الجنوبى نجد أنفسنا فى ممر ضيق بين المنازل، ونتقدم فى فضاء هو صحن الكنيسة . ويغلق الطرف الشرقى للصحن حائط مرتفع مبنى بالطوب الأحمر ، فى وسطه مدخل داخل عقد مدببا من الطوب ، وقد بنيت فيه أحجار منحوتة متفرقة من أجزاء مختلفة كزخارف المدخل وفوقها حنية صغيرة . ويشكل هذا الحائط الآن الحد الغربى للكنيسة . والتخطيط الأصلى هو نفس تخطيط كنيسة الانبا شنودة أى انه من الطراز البازيليكى .

وكما حدث فى الحالة السابقة ، سنبدأ بالوصف المفصل للطرف الشرقى من الكنيسة وهو أكثر أجزائها اثارة وافضلها من حيث الاحتفاظ بالسلامة .

تبرز ثلاث حنيات من داخل مساحة مربعة بعداها هما ٤٫٥٠ × ٤٫٥٠ متراً . والحنيات فى اتجاهات الشمال والشرق والجنوب ، ومغطاة بانصاف قباب . وقد زخرفت جدران الحنيات بأعمدة منفصلة فى صفين ويعلو كلا منها عتب . وهناك حنيات صغيرة بين هذه الأعمدة . وتظهر الحنية الصغيرة الوسطى فى الحنية الشرقية نصف دائرية على الرسم التخطيطى . أما الاثنتان الأخريان فانهما مربعتا الشكل . وتظهر الحنيات الصغيرة اللاتى فى الحنيتين الشمالية والجنوبية نصف دائرية على الرسم التخطيطى . والوجوه الراسية للأعتاب ليست مزخرفة ولكن الكرانيش مزخرفة فى جميع الحالات .

ذكرنا ان هناك الواحاً رفيعة من الخشب موضوعة تحت الاعتاب ، وقد فسدت هذه الالواح فى أماكن عديدة او سرقت ووضعت بدلا منها حوائط مبنية بالطوب بها فتحات فوقها عقود مرتبطة بالحنيات الموضوعة بين الاعمدة . وهذه الحوائط المبنية بالطوب تخفى تماماً الحوائط الأصلية للحنيات وتطبق على الاعمدة . وبصرف النظر عن حقيقة وجود زخارف فى شكل ركائز وواجهات مثلثة فى كل حنية ، فاننا لا نرى اكثر من ذلك (ازيلت هذه الحوائط الدخيلة فى سنة ١٩٠٨) .

دعمت الحنيات المفتوحة على الفضاء المستطيل بثلاثة عقود قائمة من الحجر . وفى الغرب اكمل المستطيل بعقد محمول على عمودين . ويعلو هذا الفضاء الآن حجرة للاضاءة تظهر مربعة فى الرسم التخطيطى وفوقها قبة ، وهما مبنيتان معاً بالطوب . وكذلك اقيمت دعائم من الطوب عند مدخل الحنية الشرقية ؛ ولكنها لا تصل الى أعلى مواضع بروز المقد .

ونرى الآن فوق العقود طابقاً صغيراً للاضاءة تعلوه قبة . ويعتبر الجانب الشرقى منه حتى تيجان أعمدة الركائز التى بجانب النوافذ الصغيرة أصلياً . وكذلك فان النصف الشرقى للجانبين الشمالى والجنوبى أصلى . وقد تداعى وسط الجانب الغربى نتيجة لانهيار العقد الغربى ولكن حتى فى هذا المكان لم يسقط الا وسط العقد . وبقيت الجدران التى فوق الأجزاء الخلفية . وعندما اعيد بناء العقد بقيت حنية

تحتضن نافذة فى المكان الذى كانت فيه النافذة القديمة . ويصعب القول بأن تلك الحنية كانت فى نفس مكانها . كما يصعب الشك فى سقوط العقد ففى هذه الحالة كان لا بد من انهيار البناء الحجرى الذى فوقه لو حدث ذلك بالفعل.

وما زال التصميم الأصلى للطابق الصغير واضحاً . لقد كانت به ثلاث نوافذ فى جوانبه : الشمالى والشرقى والجنوبى . واعتمادا على وجود روابط معينة فى الحائط الغربى ، يحتمل وجود نوافذ أخرى فى ذلك الجانب . ومن جهة اخرى فان استمرار بقاء بقايا هذا الجانب محاطة جزئياً فى مواجهتها للبناء الحجرى المشغول — وهى احاطة غير موجودة فى الجوانب الثلاثة الأخرى — فمن المؤكد ان سقف الصحن أو الجناح يشمل هذا الحائط الظاهر من أرضية الكنيسة . وقد بنيت جدران الطابق الصغير بالطوب الأحمر فيما عدا البناء الحجرى الذى ذكرناه . وهناك قواعد وركائز حجرية فى النوافذ الصغيرة . وقد غطيت المساحات فيما بينها بالجص . وقد فتحت النوافذ الجانبية فى الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية لكى تحمل القبة . وتعمل هذه الحقيقة مع رقة الجدران والوصلة غير الكافية هناك على مقاومة الضغط ضد الحائط الغربى مما يؤكد ان المنطقة المربعة لم تكن تعلوها قبة فى البداية . ويكمل المربع نحو الغرب عقد محمول على عمودين (العقد الذى ذكرنا انهياره منذ قليل) .

ومع التقدم من هذا العقد نحو الغرب ، نجد انفسنا فى غشاء يماثل ذلك الذى أطلقنا عليه اسم (الجناح العرضى) فى دير الأنبا شنودة . وهو محاط الآن فى جانبه الغربى بالحائط المبنى بالطوب الذى ذكرناه من قبل ، ولكن هذا الحائط حفظ لنا الترتيب الأصلى . وقد بنيت فى منتصف الطريق الى هذا الحائط اربعة اعمدة يقف اثنان منها على خط واحد مع صف الأعمدة الذى فى شمال الصحن وجنوبه . والاعمدة الوسطى أطول من تلك المجاورة لها ، وتتشابه فى الارتفاع والموقع مع الدعائم التى تساعد فى حمل العقد الغربى تحت الطابق الصغير . وكم نشعر بالتقدير للفكرة

المعمارية التى تقود العين من الصحن الواسع الى المقد الضيق الذى خلفه ! .

ومن المحتمل ان يكون رصف هذا الجزء من الكنيسة اصليا . وهو يتكون من مربعات صغيرة من الجرانيت الاسود والبازلت محشتة فى شرائط من الرخام الأبيض . ويوجد أختلاف فى مستوى سطح ارضية البناء على خط حاجز الأعمدة . ومن الواضح ان ارضية الصحن منخفضة ولكننا لا نستطيع تحديد مقدار الإنخفاض ؛ نظراً لعدم بقاء اى جزء منها .

ولحسن الحظ ، فان المعالم المعمارية لهذا الجزء من الكنيسة سليمة بشكل افضل من حالتها فى كنيسة الانبا بيشوى ، وكذلك لا توجد حوله ركائز ودعامات من الطوب بهدف المحافظة عليه .

والاعمدة الرئيسية الأربعة منحوتة من كتلة صخرية واحدة . وقد نحتت تيجانها بزخارف من أوراق الأكانتس باتقان ، وهى مرتبة بنفس طريقة ترتيب العمود الكورنثى . أما عن الركائز المتعلقة بهذه الاعمدة فان الأصغر منها يرتبط بالاعمدة الأقصر التى تشكل جزءاً من بهو الأعمدة الذى يفصل الجناحين من الصحن . ونجد فوق الصف الاسفل بين الركائز ، مزيداً من الركائز والحنيات التى تشكل تركيبة معمارية متقنة كما تظهر من الصحن .

ومن الصعب أن يكون الترتيب الطقسى لهذا الجزء من البناء بوضعه الحالى اصليا . ويمتد حاجز خشبى صلب من امام احدى الدعامات المبنية بالطوب الى الدعامة الأخرى . وما دامت الدعامات قد وضعت وليس لها موضع فى التركيب المعمارى للتصميم ، فاننا لا نستطيع اعتبارها نقاطا ابتدائية للحجاب الأصلى .

ويظل مستوى ارتفاع الأرضية داخل الهيكل هو نفس مستوى ارتفاعها خارجه ، ولا يقدم لنا الوصف اى مساعدة ، وفى داخل الحجاب نجد المذبح المكعب الشكل المعتاد .

وليست هناك مذابح فى الحنيتين الشمالية والجنوبية والحقيقة انه لا يوجد مكان للمذابح . وتقف الأعمدة فى الحنية الشرقية والحنيتين الجانبيتين فوق قاعدة منخفضة يبلغ ارتفاعها نفس ارتفاع الارضيه ، وليس هناك مكان لوضع صف من المقاعد وفى نفس الوقت بنيت غرف صغيرة على كلا جانبى الحنية الشرقية على اليمين واليسار ، ولكن تلك التى على اليمين تتضمن المعمودية .

ويوجد فى الطرف الشمالى للجناح العرضى مبنى به شروخات يصل ارتفاعه الى عدة درجات وهو مستخدم كمنبر ، وهناك عمودان قديمان اسفله . ونشك فيما إذا كانا موضوعين فى مكانهما لتدعيم ارضية المنبر . وعند زيارتى الاخيرة كانت منطقة الصحن الأصلى وجناحى الكنيسة مشغولة تماماً بالمنازل ، ويظهر عمود من الجرانيت الأسود قائماً على قاعدته الأصلية بالقرب من الحائط الغربى للكنيسة الحالية . ولو كانت هناك اعمدة اخرى فلابد انها داخلة فى المنازل . ومن الواضح من العلامات التى على الجدران انه كانت هناك شرفة فوق الجناحين ، كما هو الحال فى كنيسة الانبا بيشوى . وعندما نلاحظ الارتفاع الذى وصل اليه البناء الحجرى المزخرف فوق الحائط الغربى للطابق الصغير ، فاننا نفترض وجود جزء علوى منخفض من حائط الكنيسة فوق سقف المبنى .

اما المدخل الذى تحدثنا عنه فهو ينفتح مباشرة على الجناح الشمالى، وداخل هذا المدخل مغطى الآن بالمبانى ، ويقع المدخل الجنوبى مقابله ، وكان من الضرورى هنا وكما حدث فى دير الأنبا شنودة ، اجتياز القاعة الجنوبية المستطيلة بالعرض وذلك قبل دخول الكنيسة .

وقد بنيت كنيسة صغيرة فى الركن الجنوبى الغربى للصحن ، ويبدو أن لها قيمة اثرية كبيرة ولكن جدرانها لا تتفق مع خطوط اية جدران اخرى اصلية . وتوجد فوقها علامات على الوجه الداخلى للحائط الغربى للدير ، تبين انه كان هناك سلم فى هذا الموضع والمعتاد هو وجود السلم فى الركن الجنوبى الغربى . ويوجد فى غرب الكنيسة الصغيرة مباشرة البئر التى نظن انها قديمة .

ويتضح لنا من ترتيب الجدران الخربة التى فى جنوب حنيات الهيكل وبعد مقارنة هذا المسقط الأفقى بذلك الذى يخص دير الأنبا بيشوى ، ان هناك قاعة طويلة تمتد بموازاة الجناح الجنوبى للكنيسة لكننا لا نستطيع عرض مواصفات هذه القاعة . وكانت هناك حجرة مربعة الشكل فى الطرف الشرقى للقاعة يمكن تتبع آثارها ، وكانت مقبية .

ولا يمكن الشك فى التشابه بين التخطيط والمعالجة المعمارية لهذه الكنيسة وكنيسة الأنبا بيشوى فيما عدا ان ابعادها أصغر .

ومن نافلة القول الدخول فى تفاصيل اكثر عن هذه الكنائس . لقد تجمعت المادة الآن واعدت للنشر بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية :وذلك لاتمام عمل شاق يتضمن ليس فقط تقديم رسومات دقيقة لهذه الآثار الثمينة ، بل ايضاً صوراً مثيرة للاعجاب ورسومات ملونة .

وتثير دراسة الرسومات التخطيطية للكنائس الثلاثية الحنيات بعض الأسئلة ذات الأهمية . هل كان مسموحاً بان يحيط حجاب واحد باكثر من مذبح واحد ؟ وفى الدير الأبيض تحتوى حنية الهيكل الشرقية على ثلاث كتل من المبانى الحجرية ؛ ولكننى لم استطع التأكد من ان احداها تمثل مذبحاً ام لا ، لأن الدليل متناقض . وعندما نشاهد مدى سوء معاملة هذه الكنيسة وايضاً كنيسة الدير الأحمر ، وكيف تناقص الاهتمام بهما ، فاننا نجد مبرراً للشك فيما اذا كانت الترتيبات الحالية لم تتباعد كثيراً عن الاصل . ومرة اخرى فمادام الحجاب ضرورياً لحجب الأسرار التى يتم تقديسها على المذبح فلا بد أن نجد انفسنا ونحن فى الحنيات الجانبية للدير الأحمر والدير الأبيض تواجه هذه الصعوبة وجهاً لوجه (*) ولا بد ان تواجه المذابح اتجاه الشرق ولكن الحجاب المقام عبر مدخل الهيكل قد يكون فى احد جانبى المذبح ؛ لكننا لا نجد اثراً يدل على هذا الترتيب فى

(*) ليس المقصود بالحجاب حجب الاسرار التى يتم تقديسها على المذبح كما كان يحدث فى العهد القديم لان هذه الوظيفة للمذبح قد الغيت فى العهد الجديد عندما اسلم السيد المسيح الروح على الصليب (واذا حجاب الهيكل قد انشق الى نصفين من فوق الى اسفل – مت ٢٧ : ٥١) ولذلك فالحجاب فى العهد الجديد لا يحول دون رؤية ما يجرى داخل الهيكل ، واصبح يسمى : حامل الايقونات – (المترجم) .

إى مكان (*) وقد ذكرنا هاتين الصعوبتين دون ان نجد لهما حلا ولابد ان نترك هذا الامر لهؤلاء الذين درسوا التقاليد والعادات القديمة للكنيسة القبطية .

واذا قارنا المساقط الافقية للكنيستين اللتين وصفناهما مؤخرا بمساقط الكنائس الأخرى التى تجمعت لدينا هنا ، فسنجد أن ترتيب المذابح الثلاثة فى الجهة الشرقية نادر الوجود . ونرى انه قد تطور فى كنيسة الانبا سمعان باسوان ولكنه غير موجود فى الحالات الاخرى، ولا يبدو ان هناك ترتيباً لوجود أكثر من مذبح واحد فى أى من هذه الكنائس الثلاث . ولا بد أن نضع فى اعتبارنا ان الالتزام بهذا التوجه لا يتعلق فقط ببناء الكنيسة بل انه يتعلق بالمذبح ايضاً (**) . وسنبين فيما بعد كيف أن توجه الكنائس التى اقيمت فى المقابر والمحاجر القديمة قد كابد صعوبات ملحوظة .

وكان من السهل فى كنيسة الدير الأبيض اقامة مذابح فى الحنيات الجانبية ولكن بطريقة سيئة مع مضايقات المداخل . اما الحنيتان الجانبيتان بكنيسة الدير الأحمر ، فهما صغيرتان وغير مناسبتين اللهم الا اذا واجه المذبحان الشمال والجنوب ، وهو أمر لا يمكن قبوله (***) ،

(★) ذلك الترتيب غير موجود لان هذا هو الوضع الطبيعى للحجاب فى العهد الجديد لكى يذكر المصلين بزوال دور الحجاب فى العهد القديم . اما عن وجود ثلاثة مذابح فى الكنيسة فان ذلك ضرورى لاتاحة الفرصة لاقامة اكثر من قداس واحد فى اليوم الواحد . (المترجم) .

(★★) لا تحتاج كنائس الرهبان الا لمذبح واحد لانهم يشتركون معا فى إقامة القداس الذى يسمح للزوار بالمشاركة فيه عند وجودهم ، اما الكنائس العادية خارج الاديرة فلابد من وجود ثلاثة مذابح على الاقل ، لامكان اقامة اكثر من قداس واحد اذا استدعت ظروف شعب الكنيسة ذلك لأن المذبح لا يقام عليه قداس ثان الا بعد مرور تسع ساعات على الاقل وهى الفترة التى تحسب صوما للمذبح وأدوات المائدة المقدسة ولذلك لابد من اقامة القداس الآخر على مذبح آخر وبأدوات مائدة أخرى وبمعرفة كاهن آخر ، وذلك فى حالة عدم مرور الساعات التسع اللازم توافرها ــ (المترجم) .

(★★★) لابد من وجود المذبح فى اتجاه الشرق والمصلون يتجهون بأبصارهم ايضا نحو الشرق اى الاتجاه الذى يأتى منه السيد المسيح فى مجيئه الثانى (لانه كما ان البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون ايضا مجيء ابن الانسان ـ متى ٢٤ : ٢٧) (المترجم) .

اما فى كنيسة دير القديس سمعان بأسوان ، فلا بد من وضع المذابح فى الحنيتين الجانبيتين مع تحقيق التوجه الصحيح .

دير العذراء بالجنادلة
(اللوحة رقم ٥٢ ــ الشكل رقم ١)

تقع اطلال هذا الدير على خط مباشر غرب صدفا ، ومحطة السكك الحديدية جنوب اسيوط قليلا ، وبعد ركـوب الدواب لمدة ساعة وعشر دقائق نصل الى قرية الجنادلة التى تقع على الحافة الغربيـة للأرض المزروعة . ولكى نصل الى القرية لا بد لنا من عبور منخفض ربما كان مجرى قديماً لاحدى الترع التى يصعب جفافها حتى فى شهر ابريل . وتقع الجنادلة على الحد الغربى لهذا المنخفض ، وتوجـد فى القريـة كنيسة قديمـة قبطيـة وكنيسـة حديثة كاثوليكية وكنيسـة للارسـالية الامريكية وبذلك فان المذاهب الدينية محفوظة . وتقع القرية على تل . ولا شك فى أن هذا الموقع اثرى . ثم نأتى الى المنحدر الطـويل الذى يتكون من الحصى والأحجار المكسورة التى تهبط من سلسلة الصخور التى فى مواجهتنا ، ويصل ارتفاعها الى حوالى ٦٠٠ قدم على الأقل . وعند قاعدة هذه الصخور وفى مواجهتنا مباشرة توجد بقعة سطحها داكن اللون بالمقارنة الى صخور الحجر الجيرى المحيطة . وفى شمالى هذه البقعة علامات سوداء تدل على وجود ثقوب فى الصخرة . وفى الجنوب نجـد فتحة واد قاحل مجدب يخترق الصخور التى تقع فى الجنوب مباشرة . ومع التقدم الى الأمام فان البقعة الداكنة اللون تتبدد تدريجياً حتى نصـل الى جدران الدير .

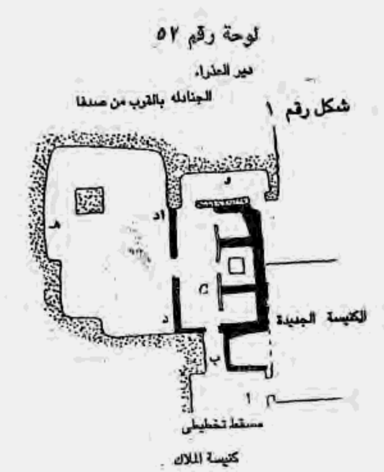
والجبل الصخرى هنا فى وضع رأسى ، ولـكننا نجد عنـد ارتفـاع حوالى ١٥ متراً فوق سطح الصحراء حافة بارزة ، جـزئياً طبيعيـة ، وجزئياً من انقاض المحجر القديم . ومن المفضل أن نوضح ان المحجر المصرى القديم يختلف كثيراً عن المحجر المعتاد فى انجـلترا . فالمصرى لا ينتج عنه ثقب كبير مفتوح فى الفضـاء ، ويستهلك الجزء الأكبر منه فى استخراج الأحجار . وفى حالة صخور الحجر الجيرى التى بها طبقات الفتية من الاحجار الجيدة بين طبقات من مادة غير صالحة للبناء ، يقوم البناء باختيار الطبقة التى يتفق عليها ثم يبدأ رجال الحجر فى شـق طريقهم خلال واجهة الصخرة مباشرة . ويستخرج الحجـر من الجبـل

لوحة رقم ٥٢

دير العذراء

الجنادله بالقرب من صنفا

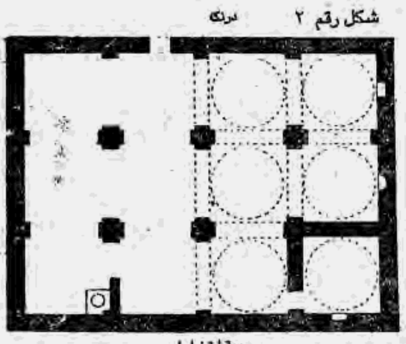
شكل رقم ١



مسقط تخطيطى

كنيسة الملاك

شكل رقم ٢ درنكه

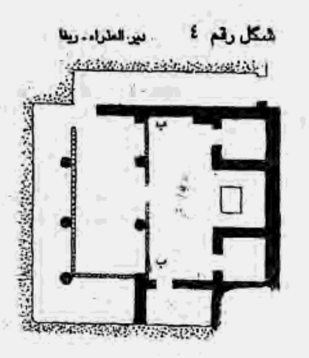


مسقط تخطيطى

مقياس الرسم ١ : ٢٠٠



شكل رقم ٣ دير العذراء درنكة



شكل رقم ٤ دير العذراء ـ ريفا

الصخرى فى شكل كتل مستطيلة بالاضافة الى الأحجام التى يطلبها البناءون . وقد تركت أعمدة من الصخر على مسافات معينة لحمل الكتلة الرئيسية . وهذه الطريقة النظيفة لإستخراج الأحجار تترك سلسلة من الحجرات المحفورة فى الجبل الصخرى ، التى تمتد فى الغالب الى مسافات كبيرة . وكانت السقوف مستوية ، والجدران رأسية تقريبا . ومن السهل عمل حجرات صالحة للسكن فى أركان الحجرات الكبيرة كما سترى بالفعل ؛ وذلك باقحام القليل من الجدران المبنية بالطوب اللبن ، لقد اقيمت كنائس صغيرة فى المحاجر تحت ظروف مواتية .

وعندما نقترب من دير العذراء نأتى أولا الى البئر عند قاعدة المنحدر . وهذه البئر قطعة فنية ، يبلغ قطرها خمسة أمتار ، وهى مبنية حتى القاع بالأحجار من النوعية الصغيرة . وتبلغ المسافة حتى الماء ٢٠ متراً على الأقل . وقد اقيم عقد من الحجر عبر البئر ، ومازالت الاعمدة الحجرية قائمة عند الجوانب لتركيب الساقية . وعند البئر نشاهد الدير محاطا بحائط فى جوانبه : الشمالى والشرقى والجنوبى بينما يحده من الغرب الجبل الصخرى العابس . وقد بنى الحائط حتى ثلثيه بالأحجار المربعة . وتوجد على مسافات متساوية ركائز تظهر نصف دائرية على الرسم التخطيطى .

ونصعد منحدراً عالياً نحو فتحات المحجر المستطيل الذى يتثاءب فى واجهة الجبل ، ونشاهد على يسارنا المدخل فى الحائط الشمالى للسور داخل عقد مدبب تقريباً ، وتسند الباب صفائح من الحديد ، وعندما ندخل نجد أنفسنا فى فناء مهجور بينما تقوم الكنيسة الى اليمين مباشرة فى الجزء الشمالى الغربى للسور . والفناء ليس مستوياً ولكنه ينحدر نحو الجنوب ، ويمتلىء سطحه بقوالب الطوب المكسورة والطوب اللبن والطوب الاحمر والأحجار الصغيرة . وتبرز من خلال هذا الخليط حوائط من الصخر ، تمثل الفاصل الرفيع بين المقابر القديمة ، وقد تكسرت الاجزاء العلوية منها . ونستنتج بناء على ذلك ان المكان استنزف كثيراً منذ اقامة هذه المقابر وقبل انشاء الدير بوقت طويل . ونرى فى جميع الانحاء الأبواب الصغيرة المربعة التى تقود الى المقابر

المحفورة فى الصخر ، وبالاضافة الى ذلك نجد مداخل المحاجر الضخمة التى تشبه الكهوف .

والكنيسة غير ملحقة بحائط من الحوائط وتقوم الى الجنوب قليلا من الحائط الشمالى مع وجود فضاء به مدخل مقبرة قديمة . وتستخدم هذه المقبرة الآن ممراً تعبره النساء لدخول الكنيسة الصخرية ذلك لان هناك كنيستين : القديمة منهما هى التى فى المحجر ، ثم الجديدة . اما الكنيسة التى تظهر قبابها من على البعد ، وتقف كما ذكرنا من قبل فى الجزء الشمالى الغربى من السور ، فقد بنيت كما قيل لنا منذ حوالى خمسة وثلاثين عاماً . وهى مبنية على نفس التخطيط القديم فيما عدا اننا نجد ثلاثة اقسام بدلا من اربعة اى ان هناك ثلاثة اقسام من الشرق الى الغرب وليست أربعة . وكل قسم مغطى بقبة . وهناك ثلاثة مذابح . الشمالى مكرس على اسم القديس متروفيوس ، والأوسط على اسم القديسين بطرس وبولس ، والجنوبى على اسم مارجرجس . والحجاب المبنى من الحجارة به ابواب فى الوسط ، على جانبيها نوافذ صغيرة . ونرى فى واجهة الحائط الخارجية احجاراً مزخرفة متفرقة ، الواضح انها اخذت من مبنى آخر ربما كان هو المبنى السابق له . وقد غطيت الجدران الداخلية بطبقة من الجص والجير . وقد وجدناه نظيفاً كما اتضح لنا انه غير مستخدم . والمسقط الافقى له يشبه ذلك الموضح فى اللوحة رقم ٥٢ — الشكل رقم ٢ وتقوم خلف هذه الكنيسة مباشرة كنيسة اقدم منها مكرسة على اسم العذراء (اللوحة رقم ٥٢ — الشكل رقم ١) وهى مبنية فى مدخل محجر ، ويحيط بها جزئياً حائط يمتد الى الجبل الصخرى الذى فى الخلف . وقد بنيت الكنيسة الجديدة مقابل هيكل الكنيسة القديمة .

ويوجد فى هذه الكنيسة كما هو الحال فى الكنيسة الاحدث ، ثلاثة اقسام ، ولا يوجد بها القسم الرابع اى اقسام النساء والرجال والخورس والمذبح او المذابح . وقد صنع الحجاب من اشغال الخشب العادية المزدانة بحشوات ذات اشكال هندسية ، وفى وسطه الباب .

وقد وضعت فى الحائط الذى يختفى فى الحجاب جزئياً ، احجار مزخرفة متفرقة ، وتناثرت حوله بشكل يوحى بانها استقدمت من مكان

آخر . ونحت أحد الأحجار بزخارف تمثل فروعاً نباتيــة ملفــوفة تحصر عناقيد العنب وطائراً نقاراً . أما على الأحجار الأخــرى فقــد نقشــت الصلبان المزخرفة بالطريقة المعتادة . ويوجد المدخل الرئيسى للكنيســة فى (و) فى نهاية ممر صغير ، تشكل أحد جانبيــه من الصخــر . أمــا الفاصل (د ــ د) فهــو من الطــوب ولكنــه لا يصــل الى ســقف المحجر . وهناك عند ارتفاع حوالى مترين من الأرضية حاجز من الطوب فى شكل شبكة . ويوجد الى الغرب من ذلك فضاء كبير فى جوف الجبل الصخرى . كما هو موضح على الرسم التخطيطى ، وسواء استخدم كقسم للنساء أم لا فاننا غير متأكدين من ذلك . وترك عمود من الصخر لتدعيم السقف المسطح ، ورسم فوق الصخر فى (هـ) صليب علــى ارضية فاتحة اللون . وقيل لنا ان هذا الصليب يحدد المكان الذى اعتاد أن يصلى فيه بعض القديسين . وتدخل النساء الى الكنيسة عند (أ) من خلال المقبرة المنحوتة فى الصخر (ب) وبذلك يقتربن من الجزء (جـ) المخصص للخورس ، والدير مهجور فى الوقت الحالى .

وتوجد على بعد عشرين دقيقة من المشى شمال الدير الذى وصفناه خرائب مدينة كبيرة هى مدينة السارجة التى تقع عند مدخــل وادى السرج او السرجة (لم نتأكد من معنى اسم الوادى وهل هو السرج الذى يوضع فوق ظهر الحصــان ام سرجيــة أى القديس سرجيوس) . أما واجهة الصخور التى ترتفع الى مائتى متر على الاقل ، وتكون جزءاً من سلسلة التلال الصخرية التى تحدثنا عنها من قبل بأنها قريبة من الجانب الغربى لوادى النيل ، فانها تنشق هنا عن فتحة هى عبارة عن مدخل وادى سرجة الذى يمتد فى اتجاه الشمال بموازاة واجهة الصخور ، ثم ينثنى فجأة نحو الشرق بزاوية قائمــة منفتحاً على وادى النيــل . ولا يمكن ملاحظة المدخل بسهولة من ناحية الطريق الصغير . وبعــد دخولنا للوادى نشاهد فتحات المحجر المستطيلة المنخفضة وقد قسمت عن طريق أعمدة من الصخر ، وعندما ندخلها نجد أن كل حجرة تنفتح على الاخرى ، وأن الجدران بها العديد من الحنيات الصغيرة مع بقايا حوائط من الطوب يبدو أنها ترتبط بها . ولابد أن هناك سلسلة مــن الحجرات الصغيرة . وتظهر على الحائط فى الطــرف الشرقى للمحجــر

رسومات عديدة . والحقيقة أننا نواجه أمامنا الحائط الشرقى وحنية هيكل احدى الكنائس ، ومن الواضح أن الحوائط الجانبية لهذه الكنيسة التى بنيت بالطوب متداعية ، ولم يتبق من الرسومات الا ما هو موجود على الصخر المستخدم كجدار . والسطح مغطى بطبقة من الجير الفاخر او (الجبس) كما يسمونه فى مصر ، وذلك حتى يمكن استخدامه كسطح جيد للرسومات . ويوجد فى قوقعة الحنية منظر العشاء الاخير الذى نشاهد فيه مائدة مستطيلة وفى طرفها الأيمن رسم لشخص يبدو وكأنه يتسلم شيئا . ولا يوجد مكان فى الحنية الصغيرة لرسم جميع التلاميذ فجرى الاكتفاء برسم البعض منهم بينما انتشرت صور الآخرين على طول واجهة الحائط فى الناحيتين اليمنى واليسرى من المركز . ونستطيع ان نتتبع اثر مجموعة افقية من الزخارف ذات الاشكال الهندسية بالوانها الحمراء والخضراء والقرمزية الداكنة فى اماكن عديدة داخل منطقة هذه الكنيسة ، ويقترب تصميمها من الطراز الشرقى ولكنه يتضمن أشكالا بيضوية ؛ مما يوضح أن فكرتها تمثل تطورا غير عادى فى الطراز الشرقى . والأشكال محددة الخطوط مع استخدام الالوان الصفراء والخضراء هنا وهناك .

ويمكن تتبع آثار كنيسة ثانية فى غرب الكنيسة الأولى . ومازالت قوقعة الحنية المحفورة فى الصخر باقية مع حنية فى الجانب الجنوبى ، ونستطيع مشاهدة زخرفة باللون الأخضر الباهت تحيط برأس الحنية الصغيرة من طراز العجلة المسننة .

وهناك القليل من النصوص القبطية التى كتبت باللون الاحمر على الجدران البيضاء ، وبعضها سليم . وهناك أيضاً بعض النصوص العربية وقد كتب تحتها بالقلم الرصاص بخط ردىء ، شخص متخلف قائلا عن نفسه انه « زار هذا المكان » ولسنا فى حاجة لبيان ماهية البلد الذى اتى منه .

درنكة ـ كنيسة الملاك
(اللوحة رقم ٥٢ ـ شكل رقم ٢)

تقع درنكة جنوب اسيوط قليلا ، عند سفح الخط الطويل من الصخور القاحلة التى تمتد من اسيوط الى ما بعد سوهاج ، وتقوم

الكنيسة والقرية الجديدة القريبة منها على المنحدر عند سفح الصخور ويقال انه كانت توجد هنا لمدة قرون كنيسة تحولت الى خرائب واعيد بناؤها منذ عدة سنوات على نفس التخطيط القديم .

ويبرر المسقط الأفقى والترتيب العام للمبنى الحالى العبارة السابقة تماما . وبالنظر الى اختفاء العديد من الكنائس القديمة ، والاهمال التام الذى تركت بقية الكنائس لكى تعانى منه ، وحقيقة أن الكنائس الجديدة لا تبنى الآن حسب الطرازات القديمة والتاريخية ولكنها كما ذكرت من قبل عبارة عن نماذج للسذاجة التى لا تصلح للتصوير وقد بقيت حتى القرن التاسع عشر لكى تتطور فى مصر مثل غيرها فى سائر اجزاء الدنيا ، لهذه الأسباب المتنوعة خاطرت بالمحافظة على هذا التخطيط .

ويلاحظ ان الاقسام الفرعية لهذا التخطيط عادية . فالقسم الغربى من المبنى مخصص للنساء ، ويليه قسم الرجال ، ثم الخورس ، وأخيراً الهيكل ، والمذبح الشمالى مكرس على اسم الأنبا بيشوى ، بينما كرسى الأوسط على اسم الملاك . والاجزاء الستة الشرقية من الكنيسة مغطاة بقباب من الطوب . أما بقية الكنيسة الى الغرب فهى مسقوفة بالألواح الخشبية التى وضع فوقها بوص مغطى بطبقة من قوالب الطوب . والجزء الأوسط من قسم الرجال غير مسطح السقف ، بل تعلوه قبة صغيرة من الخشب والجص . والعقود التى تحمل الصف الغربى من القباب تضغط على الأعمدة التى تستند اليها ، واذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة فى حينها فانها ستنهار داخل قسم الرجال من الكنيسة وتؤدى الى تداعى المبنى كله . وتوجد المعمودية فى قسم النساء . ولا يوجد فى الحجاب سوى باب واحد فى الوسط .

وتقع فوق قرية درنكة الجديدة سلسلة من المحاجر البارزة فى صخور الحجر الجيرى الشديدة الانحدار التى ذكرناها من قبل . وكانت تحيط بالعديد من هذه المحاجر جدران من الطوب اللبن بنيت فى فتحاتها . وقد استخدمت ومازالت تستخدم كمنازل . واذا نظرنا الى هذه المنازل من السهل الأخضر الذى تحتها ، فانها ستظهر مثل اعشاش الطيور

ملاصقة لواجهة الصخرة · وتوجد كنيسة العذراء الأثرية بين هذه الأعشاش ، بينما يقوم الطرف الغربى للكنيسة فى المحجر · أما الجزء الشرقى فانه مبنى فوق مصطبة صناعية . وكما هو ظاهر فى الرسم التخطيطى (اللوحة رقم ٥٢ — الشكل رقم ٣) ، فاننا نجد الترتيب المعتاد لاقسام الرجال والنساء والخورس والمذابح . وتزداد أهمية التوجه الحقيقى بالرغم من وجود القليل من عدم الملاءمة فى البناء حيث نجد أن المدخل غير موجود بالجهة الشرقية حيث ينتهى ممر الدخول ، ولكن فى داخل المحجر فى غرب الكنيسة .

والمبنى مسقوف بألواح الخشب وطبقة من الطين مستقرة فوق البوص فيما عدا الهيكل والحجرتين الملاصقتين له فى الشمال والجنوب حيث تغطيهم قباب مبنية من الطوب . والسقف المسطح للمحجر أعلى من سقف الكنيسة وبذلك يسهل دخول الضوء الضرورى الى السقف من فوهة المحجر التى فى ناحية الشرق . والحجاب مصنوع من الخشب ومكون من حشوات بأشكال هندسية ولكنه لا يبدو اثريا . وجميع الأسطح الداخلية للكنيسة ، سواء أكانت هى الصخرة التى فى الركن الجنوبى الغربى أم الجدران المبنية بالطوب اللبن ، مغطاة بالجص والجير فيما عدا العقد المبنى من الطوب والذى يتفتح على الهيكل . وهنا نجد قوالب الطوب ملونة باللون الأحمر الداكن . اما وصلات المونة فهى شديدة البياض . وجميع العقود التى فى المبنى مدببة . اما الحواجز التى تحيط بقسم النساء وقسم الرجال فهى مصنوعة من الخشب المخروط بشكل جيد ، وهى من نوعية متأخرة بالنسبة لمثل هذا المبنى الخشن والبدائى .

وبعد ان ارتقينا السلم فى (ب) أصبحنا نطل على الجزء الشرقى من الكنيسة ، وعلى صخرة ناتئة بها بعض الحوائط المبنية بأحجار الدبش . وقيل لنا انها بقايا كنيسة اقدم من الكنيسة الحالية وقد يكون الأمر كذلك ولكن ليس هناك شيء فى ترتيب الانقاض يبين الشكل الذى كانت عليه ، والقرية كلها تظهر مثل عش الطيور فى داخل المحجر فى خليط بهى غريب ، مكون من الجدران وقطع الصخور ، وأبواب قليلة فى أماكن غير متوقعة .

وقد هجرت المنازل وانتقل ساكنوها الى المنازل الجديدة التى بنيت فى السهل السفلى . وقد تمت بزيارتها فى ابريل سنة ١٩٠١ .

ديـر الصخراء — ريفـا
(لوحـة رقم ٥٢ — شكل رقم ٤)

يقع هذا المكان جنوب المكان السابق بمقدار ساعة من الركوب على ظهر الدواب ، وموقعه اكثر اهمية من موقع درنكة . واذا نظرنا اليه من اسفل ، فإن اول ما نراه هو الظل العميق الذى يقع بين الأعمدة المثمنة الاضلاع التى فى مقدمة مقبرة ضخمة من طراز يماثل تماما تلك الأعمدة المعروفة فى بنى حسن . ويتم الصعود الى القرية بتسلق المنحدر ، ثم ارتقاء بضع درجات محفورة فى صخرة الحجر الجيرى القديمة . وبنيت بعض المنازل على طرف صغير من الصخرة ، ولكن القدر الاكبر من مواضع الاقامة يتمثل فى المقابر القديمة التى يوجد أمام بعضها حوائط تشكل حجرة اضافية أو حوشاً ولكن العديد منها يتكون فقط من غرفة الدفن القديمة او عدة غرف . وترى خارج الابواب المربعة لهذه المواضع السكان الذين يتفحصوننا كالأرانب . وتبلغ مساحة كل من الأبواب الصغيرة اقل من ياردة مربعة .

والممر الذى يوصلنا الى الكنيسة مدخل معقود يغلقه باب مغطى بإطار حديدى بثين فى اعلاه منفذ للخروج . ثم ندخل الى فضاء مربع يشبه القاعة . وبعد الخروج منه نصل الى بعض منازل القرية او ندور نحو اليسار لنرتقى مطلعاً قليل الارتفاع ثم نجد أمامنا مدخلا صغيراً تعلوه عارضة افقية ، وقد نقش عليها زخارف ورقبية متشابكة ذات طبيعة اسيابية ؛ ولكنها مرسومة بأسلوب تكرار نفس التصميم ثم عكسه بالتبادل . ورسمت حيوانات متحفزة داخل لفائف الفروع ، ومنها على ما يبدو ثيران ، وكلب ، وطائر . وكلها ملونة باللون الأزرق اللامع ، ومن خلال هذا الباب ندخل الى الكنيسة . ومرة أخرى نلاحظ هنا مدى العناية التى بذلت لتحقيق التوجه . لقد ابتكر ممر ضيق داخل حجرة المحجر يؤدى من ناحية الغرب الى قسم الرجال بالكنيسة . ثم نصل الى الكنيسة من مدخل فى الجنوب .

والكنيسة بها الأقسام المعتادة للنساء والرجال والخورس والهيكل الذى توجد حجرة فى شماله وأخرى فى جنوبه . والحجاب مصنوع من الخشب مكون من حشوات ذات زخارف هندسية محكمة الصنع ، وقد ازدانت المساحات الخالية بتطعيمات من العظم . وهناك نقش على الباب بالحروف القبطية وبالخط العربى الكوفى . ويعتبر الحاجز فى مثل هذه الكنيسة الصغيرة من العجائب . ويقص علينا البعض قصة مؤداها ان الرجل الذى صنعه ، مات بعد أن صنع حاجزاً آخر . والمذبح مكرس على اسم العذراء .

والكنيسة مضاءة عن طريق فتحة فى السقف أمام الهيكل تماما . ويمتد سقف المحجر من الغرب بما يكفى لحماية هذه الفتحة . وقد اقيم الحاجز عند (ب — ب) من ثلاثة عقود ترتكز على اعمدة وجميعها من الطوب . اما الحاجز الخشبى فقد وضع مقابل الواجهة الشرقية للاعمدة وهو عمل جيد التنفيذ . اما الحاجز الذى يشمل قسم النساء فهو مفتوح على شكل شبكة فى جزئه الأسفل ؛ بينما يتخذ الجزء الأعلى شكل عقد . وعندما زرت الكنيسة كان داخلها اكثر نظافة من المعتاد — خاصة فى هذا العش الصغير المتواضع من المنازل التى تليع مقابل واجهة الصخرة .

ويوجد فى المقبرة الضخمة التى ذكرناها من قبل ضريح صغير للقديس تادرس وهو مبنى من الطين ومسقوف بقبة صغيرة . ويذكر ابو صالح ص ٢١٤ — تحت عنوان : ريفا ودرنكة ، ما يلى :

« وتوجد هنا كنيسة اطلق عليها اسم القديسة العذراء الطاهرة ، وكنيستان باسم الشهيد العظيم تادرس ، وكنيسة باسم المخلص ، وكنيسة باسم القديس يوحنا ، وكنيستان باسم القديسين توما وسنيروس ، ودير باسم القديس العظيم الأنبا شنودة » .

فهل نتجاوز الانصاف حينما نظن ان ما اطلق عليه أسم كنائس هو فى الحقيقة مجرد الأسماء التى كرست عليها هياكل صغيرة تجمعت فى مبنى واحد ؟

وقد يتساءل البعض : لماذا نلاحظ فى الرسم التخطيطى للكنيستين اللتين تقع احداهما فى ريفا والاخرى فى درنكة اختلاف أسلوب الرسم

عن الأسلوب المعتاد لأن الخطوط التي تبين الجدران ... الخ غير دقيقة ؟ وقد اجزنا هذا الأسلوب لأن اى اسلوب آخر اكثر آلية ودقة قد يقودنا الى الخطأ .

وهذه المباني الصغيرة المتواضعة التي تثير المشاعر بمظاهرها الفقيرة ، قد بنيت بشكل افضل من الأكواخ الملاصقة لها . ومرة أخرى قد يتساءل البعض : لماذا نقدم هذا الوصف الشامل لمثل هذه الأماكن الفقيرة ؟ والاجابة هي انه من المحتمل اندثار هذه الكنائس التي يبلغ عمرها مئات السنين ، مع ازدياد الأمان والثروة ، فتهجر القلاع التي في الصخرة ، ويتم الاستغناء عن السكنى في المقابر ، ويذهب الناس للمعيشة في المنازل التي بين الحقول حيث يجدون راحة اكثر ، ويصبحون على مقربة من اعمالهم اليومية . وحينذاك ، ستنقل من الكنيسة كافة الأشياء التي تستحق النقل ، أو تسرق ، وسرعان ما ينهار المبنى المهجور او يتحول الى مجرد نتحة ترابية مثل الكنائس القريبة من نقادة وقامولا .

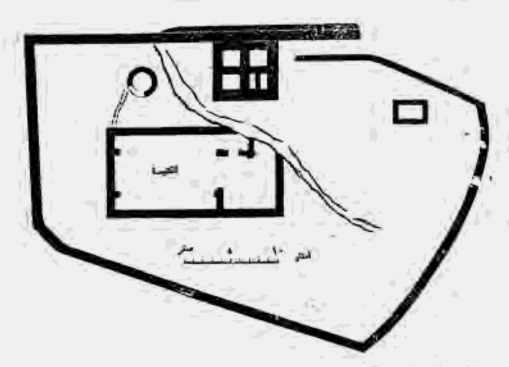
ديـر العظـام بأسيوط
(اللوحـة رقم ٥٣ ــ الشكل رقم ١)

تقع هذه الأنقاض في واد منعزل ومهجور فوق قمة التلال التي في غرب اسيوط مباشرة . والوادي الذي يحيط بأنقاض الدير في كافة الجوانب مرصع بالمقابر التي حفرت بانتظام ، أو نحتت في شكل اخدود حلزوني . وما زالت الأكفان الخشنة ، وقطع التوابيت ، والجماجم ، وأجزاء من الجثث مع بقايا الجلد ، ملتصقة بالعظام . وقد تناثرت كافة هذه الرفات المقبضة . ولاحظنا ان كافة اقمشة الأكفان التي حول الجثث من ارخص الأنواع . ومنها جلابيب مخططة بخطوط زرقاء وبيضاء ، ولم يستخدم اى نوع من انواع الأقمشة القطنية المصبوغة باللون النيلي ، وتوجد انقاض الدير في الوسط ، ويحيط بها سور غير منتظم الشكل ، مبنى من الطوب اللبن والأحجار . وتقف البقايا الضئيلة للكنيسة في بقعة منخفضة مدفونة جزئياً بين انقاضها وبين المقابر التي حفرت في منطقة الكنيسة منذ انهيارها . ولكن المقابر لا توجد في منطقة الكنيسة فقط بل ايضاً في بقايا الحجرات المجاورة وفي كل ركن من محيط الدير .

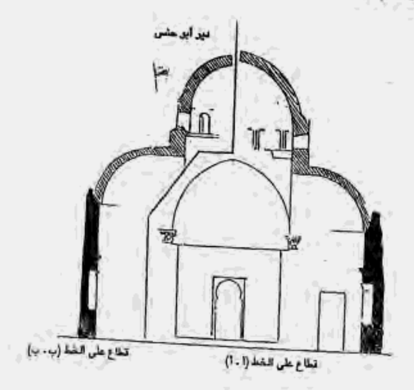
وتنتمي الكنيسة من حيث المسقط الأفقي الى الطراز (أ) البازيليكي بقدر ما تستطيع القول ، ونجد في الشمال بقايا برج صغير مربع قريب

لوحة رقم ٥٣

شكل رقم ١



شكل رقم (٢)



من الكنيسة ولكنه غير ملاصق لها . وادين برسم المسقط الأفقى للدير الى العمل الكبير الذى أنجزه مسيو و. دى بوك فى كتابه :

Materiaux Pour Servir à L'archéologie de L'Egypte, Chrétienne, St. Petersbourg, 1901.

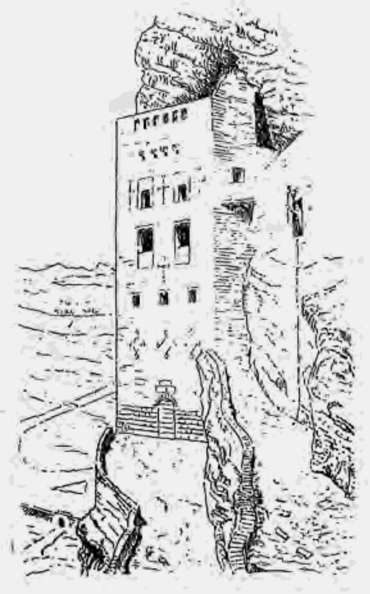
وقد زرت الدير فى ابريل سنة ١٩٠١ .

جبــل ابــو عــودة

من الصعب التأكد من الاسم الحقيقى للأماكن التى زرتهـا بوادى النيل وذلك لأن الدقة هى آخر ما يهتم به الفلاح ، ولذلك فمن غير اللازم أن تكون انت اكثر من الفلاح اهتماماً بذلك ، وبالسؤال عن دير الجبراوى، وهو مكان على الضفة الشرقية للنيل ، ارشدونا الى المكان عبر ميـل ونصف ميل من الأرض المزروعة التى يتخللها قدر كبير من ماء الفيضان . ولو لم نجد مرشداً لكنا سنغوص فى الوحل والطين . وقد تبعناه ونحن فى غاية الرضا فوق جسر طويل عبر القرية . ثم رأينا امامنا فى منتصف المسافة الى أعلى واجهة الصخرة ، صرحاً يشبه البرج ملتصقاً بواجهة الصخور .

وبعد عبور الجسر الذى يظهر فى الرسم (الشكل رقم ٣٩) ، صعدنا ممراً شديد الانحدار ، ووجدنا أنفسنا نقترب الى المبنى المقلم من الطوب والأحجار والمندمج فى مواجهة مغارة تبدو مجهزة لابتلاع الجزء العلوى منه . والمغارة موجودة فى الكنيسة . والهيكل عبـارة عن فتحـة فى الصخرة ، وقد بذل الكثير من الجهد فى توجيهه نحو الشرق .

وقد أقيمت منصة صناعية تنفتح عليها هذه المغارة عن طريـق جدران مبنية من الأحجار الملتصقة ببعضها بواسطة طمى النيل . ويصل ارتفاع هذه الجدران الى حوالى ٢٠ متراً وقد ازدانت بصلبان من قوالب الطوب الاحمر . وقد احيطت الأجزاء السفلية من الحائط بدرع من الحجر يبرز منه مدخل تم بناؤه حديثاً . ولا يظهر المدخل المستخدم الآن فى الرسم ولكنه يقع عند الركن فى الجانب الأيمن ، وهناك باب آخر اكثر ارتفاعاً وقد اقيم فوقه طنبور كما هو ظاهر فى الرسم ، بينما علقت سلسلة فى



دير الجبراوى
شكل رقم ٢٩

قمة المدخل . وتوجد فى الحائط ثقوب تستخدم كمواطىء للاقدام ، ومدخل تصل اليه عن طريق الاستمساك بالسلسلة ووضع الاقدام فى مواطئها .

وعندما ندخل من الباب السفلى نجد انفسنا فى حجرة تحتل عرض البرج ، وينفتح منها باب على ارتفاع حوالى مترين من الارضية ويتم

الوصول اليه عن طريق سلم غير منتظم الشكل ، وبعد أن نتسلق السلم ونمر من خلال المدخل ، نصل الى ممر متعرج ومنه الى منحدر شديد الانحدار عبارة عن سلم دائرى . واخيراً نصل الى المنصة عند قمة البرج ونرى امامنا الحجاب يسد باب الهيكل ، وهذا الحجاب من الطراز المعتاد — من اشغال الخشب ، فى شكل قطع صغيرة مرتبة فى أشكال هندسية ولكن بلا اهتمام .

والفتحات الست التى تظهر فى الرسم التخطيطى عند قمة البرج هى على الطبيعة فتحات نوافذ تطل على المنصة ويظهر منها منظر شامل فى اتجاه الغرب عبر وادى النيل . أما البرج الذى يشكل الدير فانه لا يستطيع أن يأوى الا القليل من الناس ، ولم يكن به أحد عندما زرناه (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٣) ، وكذلك لم تكن هناك منازل تحيط به كما هو الحال فى ريفا او درنكة .

وبعد ان تركنا المكان وابحرنا بعيداً ، تكشف لنا اننا قد خدعنا بمعرفة الناس العطوفين ، واننا تاخرنا فى اكتشاف الاسم الحقيقى للدير ولكنه استحق أن نكتب عنه ضمن اكثر الأماكن التى تحتضن الكنائس غرابة .

دير النخلة

هذا المبنى الذى على الضفة الشرقية للنيل ، صغير ومغطى بالجص والجير بحيث يصعب شرحه وبيان حجم الكنيسة الاصلية وحجم الملحق. وتقودنا دراسة المسقط الأفقى للافتراض بأن المبنى تم توسيعه .

ويتكون السقف جزئياً من القباب ، وجزئياً من الاقبية الاسطوانية. وقد بنى الحجاب بالطوب وزخرف باشكال هندسية مع اجزاء من الحجر الجيرى الأبيض . وهناك فى الجانب الشمالى سلم يوصل الى سطح اعلى به هيكلان دائريان . والكنيسة مكرسة على اسم الانبا بيشوى ، وقد زرتها فى نوفمبر سنة ١٩٠٠ .

ديـــــر أبـــو حنس

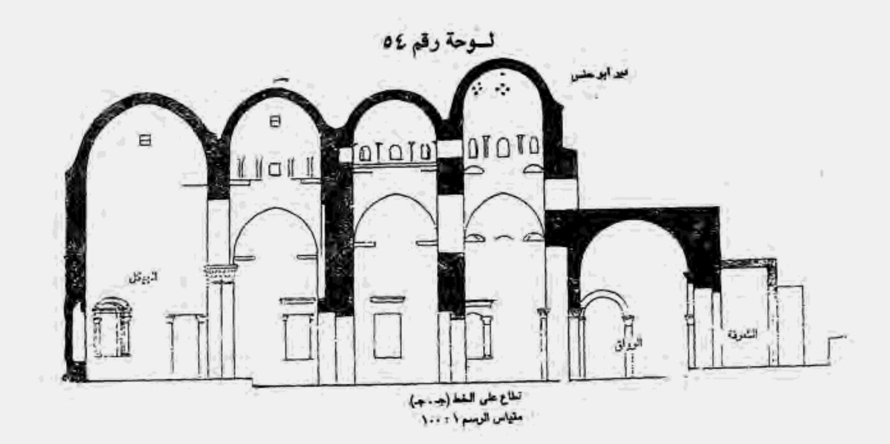
(اللوحة رقم ٥٣ الشكل رقم ٢ ، واللوحات أرقام ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦)

تقوم هذه الكنيسة فوق الضفة الشرقية للنيل الى الجنوب قليلا من خرائب أنتنوى . وهى ذات أهمية غير عادية لأنها تبين لنا بوضـــوح التغييرات التى طرأت على الكنيســة الأرثوذكسية البازيليكية من الطراز (أ) المسقوفة بالسقف الخشبى ؛ مما جعلها تختلف عن تلك المسقوفـــة بالقباب وقد سدتها كتل ضخمة من الأشغال المبنية بقـــوالب الطـــوب لتدعيمها .

وهذه الكنيسة كما هى الآن بأبعادها المحدودة ، تتكون من رواق فى طرفها الغربى ، تقودنا اليه شرفة ضحلة (انظر اللوحة رقم ٥٥) وتوجد منصة فوق هذه الشرفة . وبعد عبور الرواق ندخل الى الصحن الذى ينقسم الى ثلاثة اقســام تغطى كل قسم منها قبة . اما الدعائم التى تدعم هذه القباب فهى كبيرة بالنسبة لحجم الكنيسة ، حتى انها كانت تغلق الصحن . وقد تم شق فتحات بها أكبر قليلا من اتساع المداخل . وكما هو واضح فى الرسم التخطيطى ، فان هناك مداخل تلى حوائط الكنيسة وتمتد على المحور . وبذلك نصل الى ممر للعبور من احد اقسام المبنى الى القسم الآخر ليس فقط عن طريق المداخل الوسطى بل أيضاً عـــن طريق الفتحات العرضـــية ، ثم نكتشف ان الصحـــن ينقســـم الى ثلاثة اقســام — القسم الغربى البعيد للنساء ، والثانى للرجال ، والقسم الذى فى أقصى الشرق للخورس . وفى شرق الخورس نجد الهيكل الذى ينتهى بحنية وتعلوه القبة . وفى الجنوب توجد حجرة صغيرة مجاورة للهيكل هى حجرة المعمودية . وتوجد فى الشمال حجرة كبيرة الحجم بها مذبح . كما يوجد فى الجانب الشمالى للصحن حجرة مستطيلة ضيقة .

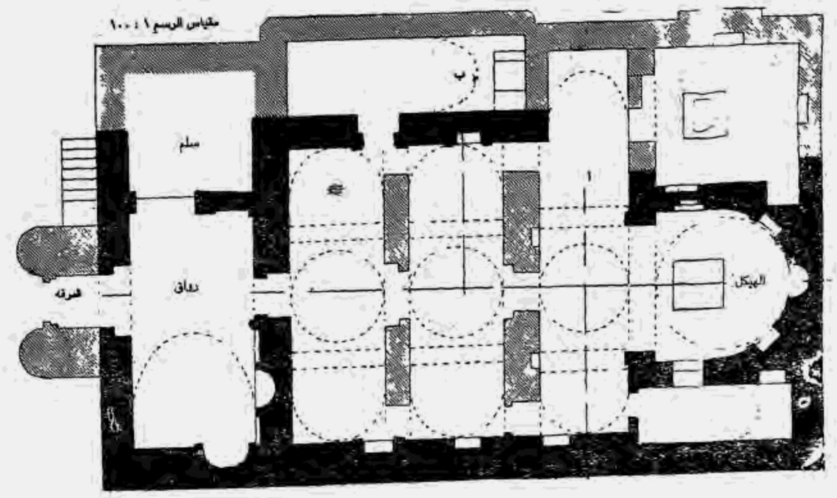
وهناك عند الطرف الغربى ، على بعد خطوات قليلة من الشرفة التى تقود الى مستوى سطح ارضية الكنيســة ، هبوط يصل عمقه الى نصف متر . والحائط الغربى أكثر هبوطاً . وعند طرفه الشرقى ركام شـديـــد الارتفاع مما يسهل الصعود منه الى سطح الكنيسة . اما الحائط الجنوبى فليس عنده ركام ؛ حتى ان سطح الارض خارجه يتساوى مـــع سطح الارضية التى فى داخله . وقد بنيت الحوائط الخارجية عامة من الطوب ، ولكن بعض الأجزاء التى فى الطرف الغربى احيطت بطبقة حجرية .

لوحة رقم ٥٤

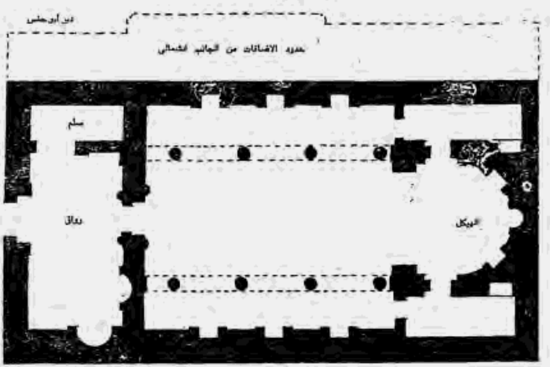


قطاع على الخط (جـ - جـ)
مقياس الرسم ١ : ١٠٠

لـوحة رقم ٥٥



لوحة رقم ٥٦



مقياس الرسم ١ : ١٠٠

وسنقدم الآن وصفاً مفصلا للمبنى . عندما نقترب اليه من الغـرب (انظر الشكل رقم ٤٠)، فان أول ما يصادفنا هو المدخل الموجود فى الشرفة وعلى جانبيه كتل من البناء الحجرى تظهر نصف دائرية فى الجانب الغربى من الرسم التخطيطى . وهناك فوق المدخل منصة نصل اليها بعـد عـدة درجات فى الشمال ؛ وفى مواجهة كتل البناء التى بجوار المدخل لوح قليل السمك من الحجر المنحوت بالتبادل مع مدماك من الطوب . وهنا نجد ترتيباً مماثلا فى مواجهة الطرف الشمالى للحائط الغربى للكنيسة . وقـد استخدم البناءون الشرقيون هذه النوعية من البناء الحجـرى بكثرة ، ووظفوها فى تغطية الكثير من العيوب . وتعتبر الشرفة والدرجات اضافة الى التصميم الاصلى ومنفصلة عنه بواسطة وصلة مستقيمة .

وبعد المرور من الشرفة ، ندخل الى الرواق المغطى بقبو اسطوانى؛ فى حائطه الغربى حنية تظهر نصف دائرية فى الرسم التخطيطى وقد بنيت ملاصقة للحائط الشرقى . وهناك حنيات غير عميقة فى الحائط الشرقى وجنوب المدخل الشرقى وربما استخدمت لوضع المصـابيح أو الكتب . وهناك مدخل فى الطرف الشمالى من الرواق امامه حائط . وقد قيل لنا انه كان بهذا المكان سلم يقود الى السطح .

وبعد المرور من الرواق ندخـل الى الصحـن . ونشاهد هناك قطعاً منقوشة والأعمدة المستخدمة كركائز والافاريز والحنيات التى ليست لها صلة بأقسام المبنى الفرعية . ويتضح لنا بعد القليل من الفحص اننا نقف داخل حوائط المبنى الاصلى لكنيسة بازيليكية. وهو يتكون من ثلاثة أقسام طولية وقد تحدد وسط كل قسم بحنية فى حائط الجناح (انظر اللوحة رقم٥٦) ويوجد فى الطرف الشرقى للصحن عقد مدبب ينفتح على الهيكل . وتعتبر الأعمدة المستخدمة كركائز والتى يبرز عندها هذا العقد أصلية ؛ وفوقها تيجانها المنقوشة . ومن المحتمل أن يكون هذا العقد حديثاً .

وزينت جدران الهيكل بثلاث حنيات ، بينما ينفتح منه بابان صغيران على حجرتين فى الشمال والجنوب . وقد اختفى السقف الخشبى الاصلى اما بسبب العنف او الحريق او بفعل السوس . وحل محـله نظـام

للتغطية اكثر دواماً وذلك باستخدام القباب والعقود المبنية بالأحجار . ولسوء الحظ ، فان المادة المختارة وهى الطوب اللبن كانت شديدة الضعف مثل مهارة البنائين . ولتدعيم القباب الصغيرة ، وضعت كتل من الحائط، كبيرة بالنسبة للدور المنوط بها وبالنسبة للمبنى ذاته ، حتى انه لا يمكن الوصول الى القسم الغربى الطقسى من المبنى عن طريق الابواب كما أوضحنا منذ قليل ، والابواب مغلقة فى الغالب بحيث لا يؤدى الواحد منها الى الآخر .

وبينما ظل الحائط الجنوبى للكنيسة سليما ، فإن نصف الحائط الشمالى تقريباً قد تهدم ، وجرت توسعة المبنى كما هو موضح بالظلال المنقطة على الرسم التخطيطى (اللوحة رقم ٥٥) .

والقسم الذى بطول المحور من الشرق الى الغرب شديد الأهمية (انظر اللوحة رقم ٥٤) حيث نعرف منها التغيير المطلق خارجياً وداخلياً ذلك الذى تم التوصل اليه عن طريق احلال سقف من القباب المبنية بالطوب محل السقف الخشبى ، وبذلك ضاع تأثر الطول تماماً وحل محله تأثير الارتفاع .



شكل رقم ٤٠ : دير ابو حنس ـ منظر خارجى

ونورد هنا بعض العبارات المقتبسة عن « أبو صالح » لبيان مدى تأثير هذه التغييرات .

يقول فى ص ٣ : « ثم اعاد بناء هـذه الكنيسة المكرسـة على اسـم القديس يعقوب والتى كانت قد احترقت ، وبنى فوق المذبح قبة عاليـة يمكن رؤيتها من على البعد ، واقام عقوداً وأقباء » .

ويقول لنا عن دير القديس مينا (ص ١٠٦) ما يلى :

« احترق هذا الدير وهذه الكنيسة حتى الأرضية فيما عدا الحنيـة وجانبى الهيكل الشمالى والجنوبى اللذين بقيا سـالمين ، وأعيد بناؤهما كما اعيد بناء القباب والعقود ، واقيمت دعامات بدلا من الاعمدة الرخامية » .

ويقول لنا عن كنيسة القديس مرقوريوس (ص ١٢٠) ما يلى :

« ثم أعيد البناء (الكنيسة) واستكمل الهيكل ، واستعاضوا عن السقف الخشبى بالقباب والعقود المبنية بالطوب الاحمر » .

ويقول لنا عن المخاطر التى تهدد السقوف الخشبية (ص ١٢٧) ما يلى :

« كانت الكنيسة مسقوفة بألواح خشبية كبيرة . وفى مناسبة قريبة أراد البرابرة نهب هذا الدير وهاجموا هذا السقف وبذلك نجحوا فى تخريب المبنى » . ويقول فى حالة اخرى (ص ١٨٦) ما يلى :

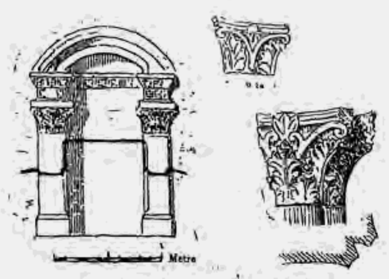
« نخر السوس الالواح الخشبية فى هـذا الدير مع الكنيسة ولذلـك غالبها هدما على نفقة ذلك السيد الذى بنى بدلا من السقف الخشبى سقفاً مقبياً ، وشيد مع الاعمدة دعامات من الحجر حتى لم يبق هناك عمـود ظاهر » .

وقد اوردنا فى شكل رقم ٤١ بعض الرسومات للنقـوش التى على واجهات الحنيات وعلى تيجان الاعمدة .

المـدينـة

تقـع هـذه المجموعة من الخرائب المكونـة من قوالب الطـوب جنوب خرائب انتنوى مباشرة . ولا استطيع ان اتحدث عن تاريخها ، ولكنها تغطى المنطقة . اما حقيقة وجود بقايا ثلاث كنائس فوق سطحها بدون حفائر — فان هذه الأشياء تبرهن على أهمية هـذا المكان . وقـد يجازف البعض فيسأل المؤرخ — اذا اثار فى نفسه الاهتمام بهذه الصفحة

من تاريخ مصر — الأسئلة التالية : هل يدل هذا المكان على وجود مركز استقرار مسيحى معاصر لمدينة انتنوى ؟ وهل أجبر هذا التجمع المسيحى على الاستقرار هنا بينما كان اتباع الديانة القديمة مازالوا يتملكون المدينة الرومانية (انتنوى) ؟ أم أن هذه الخرائب المكونة من قوالب الطوب تدل على استقرار جديد حدث بعد هجر انتنوى ؟



شكل رقم ٤١ : دير ابو حنس ـ تيجان اعمدة وواجهة حنية

لقد اوردنا رسماً تخطيطياً بدون مقياس للرسم لبيان العلاقة بين الكنائس بعضها البعض ، وبه حائط يشكل جزءاً من منطقة مسيحية فى الناحية الشرقية ، وفى شمال مدينة انتنوى (الشكل رقم ٤٢) وهنا نلاحظ بقايا الكنيسة (ب) المبنية من الطوب اللبن ، التى تنتهى فى ناحية الشرق بثلاثة حنيات فى طرفها الشرقى . احداها شمالية والثانية شرقية والثالثة جنوبية ، كما هو الحال فى دير الأنبا شنودة أو الأنبا بيشوى (انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٦) والمبنى صغير ولم يتبق منه اية آثار تدل على بقاء اى من انواع المبانى الحجرية .

وعندما حفرنا قليلا داخل الحوائط وجدنا كنيسة اخرى جنوب الكنيسة الأخيرة ، يبلغ طولها الاجمالى من الداخل ٦٫٣٥ متراً وهى تتكون من صحن رئيسى ينتهى بمحراب على كل من جانبيه جناح ضيق .وقد وجدنا قواعد من الطوب مساحة كل منها ٠٫٥٠ × ٠٫٧٠ متراً تحت سطح الرمل

المنجرف بحوالى متر واحد . وبمكان هذه القواعد يجعل من المحتمل وجود كنيسة أخرى بها خمسة عقود تنفتح على الجناح . ومن السهل اكتشاف بروز قبو الحنية .

ومن المعالم غير العادية هنا ، ما رأيناه من بروز منحنى الحنيـة الظاهر من خارج الكنيسة الشرقى (أنظر الرسم التخطيطى — والشكل رقم ٤٢) .

وقد بنى بكامله من الطوب اللبن ، وفيما عدا قبو الحنية لا نشاهد اية دلائل على وجود اقباء أخرى . والكنيسة مملوءة بالرمال والانقاض بعمق متر واحد . وستكشف ازالتها بعناية عما اذا كانت هناك ضمن النفايات ، تلك القوالب التى أقيم بها العقد أم لا .

ويوجد بالقرب من خرائب أنتنوى وفى بقعة منعزلة ، بقايا مبنى من الطوب اللبن يظهر بشكل مربع على الرسم التخطيطى . ولم يتبق منه شىء فوق سطح الرمال التى انجرفت الآن فوق التل الصغير الذى نتج عن الأنقاض . ومساحة هذه الكنيسة أكبر من مساحة الكنائس التى نجدها فى مصر بوجه عام ، (الشكل رقم ٤٢ — ج) والجزء الوحيد الذى بقى من المبنى واضحاً فوق سطح الأرض هو الجزء السفلى من حنيـة الهيكل الشرقية . وهى واسعة على غير العادة حيث لا تقل عن ٧٫٠٥ متراً . وتوجد فى الناحية الجنوبية بقايا حجرة صغيرة مستطيلة بها رسومات كثيفة عفا عليها الزمن (الشكل رقم ٤٢ — د) .



شكل رقم ٤٢

الخاتمـــة

لم يكن الهدف الذى وضعته امامى عند نشر الرسومات والمســاقط الأفقية التى تجمعت هنا ، هو تصنيف قائمة بكافة الآثار المسيحية القديمة فى وادى النيل ، بل اننى كنت اهدف الى تقديم مجموعة مختارة ، وذلك للمســاعدة فى إلقاء شعاع من الضوء على موضوع لم يلق الكثير من الاهتمام، واستعيد هنا كلمات اسحق والفون الذى قال : « ايها القارىء العزيز ، اظن انه من المناسب أن اذكر لك هذه الحقائق التالية : اننى لم اباشر او اكتب او انشر هذا البحث لاسعاد نفسى ، ونظراً لأننى لا انتظر الاثراء بالفضل من وراء هذه المهمة ، فاننى لن افقد شيئاً كنت ارغبه ولذلــك فاننى اطلب الصفح اذا لم اكن استحق المديح » .

ومن المؤلم اننى مدرك لعيوب العديد من الرسومات . لقد كان القيام بالحفائر الكاملة فى كافة المبانى قبل عمل الرسومات عملا مكلفاً ، كما كان من الصعب العثور على العمل فى بعض الاماكن ، ومنها بطن الحجر على سبيل المثال . وكم احتاج الى الساعات الطويلة وربما الايام للحديث عن عدم دقة التصميم والبناء فى معظم الكنائس ، ولكن من الصعب تصوير الفكرة العامة عن المبانى بصورة افضل من تلك التى قدمتها .

وتمضت التغاضى عن الكنائس القديمة فى القاهرة نفسها وفى مصر القديمة،وذلك لوجود دراسة مستفيضة عن هذه الكنائس المزودة بسلاسل دقيقة من الرسومات والصور الفوتوغرافية اعدت تحت رعاية لجنة حفظ الآثار العربية . اننى جمعت المادة ايضاً من اجل مشروع اثرى مشابــه لذلك فى الدير الابيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وهما مبنيــان تسدت اللجنة لاصلاحهما مؤخراً بعناية فائقة . ولا شك فى ان الصــور الفوتوغرافية والرسومات الملونة للزخارف الثمينة بهاتين الكنيســتين

ستكون بمثابة مفاجأة للكثيرين . اما الرسومات القليلة التى نشرت هنا لهذين المبنيين فلا تتجاوز حدود الضرورة لاغراض المقارنة والتوصيف .

وقد استغرق جمع المادة التى عرضناها فى هذا الكتاب لصالحة القارئ سنوات عديدة ابتداء من سنة ١٨٦٣ / ١٨٦٤ .

وفى ذلك الوقت لم يكن موقف عالم الآثار نحو دراسة اية آثار مصرية غيما عدا دراسته الخاصة كانيا او مشجعاً . ان المدير العام للآثار لم يستطع ان يتحدث عن « الأقباط الارديباء Les méchantes Coptes » . الا بالازدراء . وهو متهم بارتكاب الأفعال الهمجية العنيفة والتى لم تكن ضرورية فى مدينة هابو ذلك انه منذ فترة بعيدة تحول احد ابنية هذا المعبد الرائع الى كنيسة ، فاقيمت اعمدة منحوتة من كتلة حجرية واحدة ، وشيد هيكل لوضع المذبح . ولم تكن جدران المبنى القديم مشوهة بشكل خطير — حقاً ، انه من المحتمل أن يكون العمل الذى قام به المسيحيون قد ساعد على حفظ نقوش الحائط الاصلية لأنهم كما نعلم اعتادوا استخدام طبقة سميكة من الجص لتغطية « المناظر الخرافية » للديانة القديمة يرسمون فوقها الصور المعبرة عن ديانتهم المسيحية . وعلى كل حال ، فان هذه الصفحة من التاريخ لم تسعد الرجل النبيل الذى كان فى منصب المدير العام فى ذلك الوقت لذلك كان لا بد من اظهار الادلة . لقد سحبت الأعمدة بعيداً حيث شوهدت خارج جدران الفناء فى ناحيته الجنوبية ، رغم ما تطلبه ذلك من جهد وتكلفة . وبالاضافة الى ذلك فانه لم ينشر رسومات المساقط الأفقية والرسومات التوضيحية الأخرى لم تنشر . والمطلوب حالياً اكتشاف الطريقة التى حاول بها المجتمع المسيحى ان يعيد ترتيب هذه القاعة حتى تتناسب مع استخداماتها الجديدة وذلك بالعودة الى رسم تخطيطى ورد فى كتاب : وصف مصر . Description de L'Egypte .

وفى معبد الأقصر استكمل نفس الرجل النبيل اعمال التخريب التى بداها الآخرون . ذلك اننا بعد المرور من خلال القاعة الكبرى وقاعة أمينوفيس الثالث السفلية ، ندخل الى فناء مكشوف حالياً كان حجرة مستونة بسقف محمول على اعمدة . ونقتبس عن موراى هذه العبارة حيث يقول :

« تحولت هذه القاعة فى العصور المسيحية الاولى الى كنيسة ـ ونحتت حنية أو هيكل فى الحائط الجنوبى ، وغطيت المعالم القديمة بطبقة من الفريسكو التى اختفت تقريباً فى الوقت الحالى » .

واننى اقتبس هذه الكلمات كما هى لأنها تفسر بوضوح المشاعر المسمومة التى وجهت نحو « الأقباط الأردياء » والحقيقة ان الحنية المنحوتة كانت مدخلا أعيد ترتيبه ليصبح حنية بادخال تعديلات بسيطة ، وغطيت النقوش بطبقة كثيفة من الجص رسم فوقها بعض الاشكال الفائقة الفخامة . ولا يوجد فى مصر ما هو افضل منها . ونقول انه كان من الضرورى ازالة هذه الرسومات لاستكمال الدراسة الشاملة للنقوش الرائعة التى كانت فوق الحائط ، ولكن ما حدث من تكسيرها حتى بدون عمل نسخ دقيقة منها لم يكن الا عملا بربرياً وغير علمى . ان البقايا الديرية فى الدير البحرى التى غطت سطوح المعبد الجميل قد كسرت بنفس الطريقة المتهورة . واتضحت تماماً صعوبة الحفاظ عليها ، ولكن من المؤكد انه ما كان يجب اهمال الرسومات التخطيطية والسجلات .

ويبلغ طول وادى النيل من القاهرة الى الخرطوم مسافة لا تقل عن ١٧٢٠ ميلا . ومع ما شاهدته من أهمال ليس له ما يبرره ، فى التعامل مع هذه الصفحة من علم الآثار فى مصر ، بالاضافة الى ما اتضح لى من عدم رغبة أحد فى القيام بهذه المهمة سواى ، بدات العمل فى تصنيف وتجميع المادة . ولم يكن من المتوقع لمثل هذه الدراسة ، أن تؤتى بنتائج سارة ، فلم ننتظر منها أن تاتى بخرطوش اى ملك غير معروف . اما المبانى التى بنى معظمها بالطوب اللبن فلم نتوقع أن نحصل منها على جواهر مصقولة ، كما اننا لم نستطع التاكد من تاريخها من خلال التشكيلات التى فى المونة ، لقد زالت تقريباً رسومات الأشكال والنقوش التى كان الداخل مغطى بها وهى التى كانت تساعد الدارس . ولم يتبق سوى دراسة الحوائط المتآكلة العارية والسقوف المقوضة .

وليس من الغرابة فى شىء أن الجمعيات التى تدرس الآثار لا تميل الى صرف نقود أعضائها على أشياء لا تقدم الا فرصة ضئيلة للحصول على ما يجتذب الانظار .

ولكن هناك أملا ، ذلك ان الدكتور ديفيد راندال ماكايفار الذى يعمل لحساب جامعة بنسلفانيا بجوار وادى حلفا ، قام ببعض الدراسات القيمة بمساعدة مستر جيفرى مالهايم . وإننى أدين لهما بالفضل بسبب العديد من اللمحات الرقيقة والتعديلات التى ادخلت على أعمالى المتسرعة .

وقد استجبت لاقتراح سير ريجنالد وينجت الحاكم العام للسودان لتوليت فحص الخط الطويل ما بين سوبا فى الجنوب وحلفا فى الشمال . ومن الصعب الحديث عن مدى تقديرى للرقة والكرم والمساعدة تلقيتها منه ومن جميع هؤلاء الذين تشرفوا بالخدمة تحت رياسته .

ونحن فى انجلترا لا نعرف الا القليل عن العادات والطقوس المستخدمة فى الكنائس القديمة بمصر ، وبالرغم من استحالة اعتبار المبانى المسيحية نماذج مختارة للعمارة الا ان لها مكانتها فى تاريخ هذا الفن . وعندما أقيمت هذه المبانى التى يتميز معظمها بالبساطة لم تكن العمارة مجرد تقليد وتصنعاً كما هى الآن . ولم يكن الناس يتساءلون : « ما طراز هذا المبنى ؟ » ولم يستخدموا الأثاث « العصرى » ولم يبتكروا كنيسة لكى تظهر جميلة او لكى تكون فى نفس الوقت غير متسقة مع الطقس الذى يطبق فى داخلها . وكان الطقس فى تلك الأيام هو الجوهر والمبنى هو الجسم الذى اقيم لكى يحتويه . ومن سوء الحظ أن تعرف تحت هذه الظروف فقط القليل عن الدوافع التى املت شكل المبانى المقصودة .

وقد امدنى مرقس بك سميكة المعروف باهتمامه الشديد بالآثار المسيحية فى بلده ، بالاجابات التالية رداً على الاسئلة المتنوعة التى وجهتها اليه . فيقول عن عدد المذابح ما يلى :

« يوجد العديد من الهياكل وكذا العديد من المذابح فى كل كنيسة ، ولكن العدد يختلف ذلك لأن بعض الكنائس بها مذبح واحد وبعضها الآخر به اكثر من مذبح . وحسب الكتاب الواسع الانتشار الذى بعنوان : « معجزات العذراء » فان الكنيسة العظيمة التى فى اتريب بالقرب من بنها ، بها اربعة وعشرون مذبحاً . ومن المحتمل ان تكون هذه الكنيسة مثل كنيسة «ابو سيفين» بالقاهرة — على سبيل المثال —

مكونة من مجموعة كنائس تتضمن فيما بينها العدد الكبير من المذابح التى سبق ذكرها ». والاستثناء الوحيد لعادة وضع المذابح صفا واحداً فى الجهة الشرقية من الكنيسة يتمثل فى مغارة « ابو سرجة » ، حيث ان ضالة المكان جعلت المذبح الشرقى فى مواجهة الشرق ، بينما اقيم المذبحان الجانبيان فى الشمال والجنوب .

اما عن اقامة ثلاثة مذابح فى الكنيسة الواحدة فالبعض يقول انه اشارة الى اقانيم الثالوث الاقدس ، وقال البعض الآخر ان المذابح الثلاثة تمثل مذبح البخور ، ومذبح المحرقة ، وتابوت العهد حسب الترتيب اليهودى الذى ينسب الى خيمة الاجتماع والهيكل .

ومن المؤكد أن هناك ضرورة لاستخدام ثلاثة مذابح؛لان المذبح الواحد لا يستخدم أكثر من مرة واحدة فى اليوم الواحد مهما كانت الظروف . والمذبح المستخدم عادة هو المذبح الأوسط . وهو الذى يكرس على اسم شفيع الكنيسة ، بينما تكرس المذابح الاخرى على اسماء قديسين آخرين. وهذا يناقض الفكرة القائلة بأن المذابح الثلاثة تتم تكريما للثالوث الاقدس. وعندما يستخدم مذبحان فى وقت واحد فان الكاهن الذى بالمذبح الأوسط هو الذى يرفع صوته اثناء الخدمة بينما يكتفى الآخر بترديد الصلوات بصوت خفيض (*) .

ورداً على بعض الأسئلة التى وجهتها اليه من الاديرة القديمة امدنى بالمعلومات التالية :

توجد ثمانية اديرة للرهبان :

١ — دير ابو مقار .

٢ — دير الأنبا بيشوى .

(*) من غير المعقول ان يقام قداسان على مذبحين متجاورين فى كنيسة واحدة وفى وقت واحد لان المذبح يكفى لاقامة القداس مهما كان عدد جمهور المصلين كبيرا - ولكن من الممكن اقامة قداس آخر فى نفس وقت القداس الاول اذا كان المذبح الثانى بنفس الكنيسة ولكن فى الدور العلوى ويقدسه كاهن آخر لجمهور آخر - (المترجم) .

٣ — دير السريان .

٤ — دير البرأموس . وهذه الأديرة بوادى النطرون .

٥ — دير الأنبا أنطونيوس .

٦ — دير الأنبا بولا . وهذان الديران بالقرب من البحر الأحمر .

٧ — دير الأنبا صموئيل بالقرب من الفيوم .

٨ — الدير المحرق بالقرب من منفلوط . وفيما عدا الدير الأخير فان هذه الأديرة جميعها بالصحراء على مسافات تستغرق الرحلة من الأرض المزروعة اليها فترة تتراوح ما بين ست ساعات الى أربعة أيام . ويتراوح عدد رهبان هذه الأديرة جميعها ما بين ٣٥٠ الى ٤٠٠ راهب(*) . وهناك خمسة أديرة للراهبات وجميعها بالقاهرة :

١ — دير مارجرجس .

٢ — دير أبو سيفين . وهذان الديران بمصر القديمة .

٣ — حارة الروم .

٤ — مارجرجس .

٥ — العذراء بحارة زويلة . ويقيم بها جميعها حوالى مائة راهبة .

وفيما يتعلق بكنائس الأديرة والايبارشيات . فانه منذ العصور القديمة وحتى اليوم توجد العديد من الكنائس الايبارشيــة التى يرعاها كاهن واحد . وكل كنيسة منها تحت رعاية كاهن أو أكثر من الكهنة المتزوجين ، يعاونه أحياناً بعض الكهنة من الرهبان . ولكن القاعــدة هى أن كبير الكهنة أو راعى الكنيسة لا بد أن يكون متزوجاً .

أما كلمة « دير » فتطلق فقط على المكان الذى يوجد فيه أحد الأديرة. وتطلق كلمة « كنيسة » على كنيسة الايبارشية وهى ترجمة للكلمة اليونانية

(*) ازداد عدد هذه الأديرة الآن ، حيث جرى تعمير العديد من الأديرة القديمة ولدينا الآن دير مارمينا العجايبى بصحراء مريوط وتمضى اليه يوميا مواصلات منتظمة من الاسكندرية بخلاف أتوبيسات الرحلات الخاصة كذلك أيضا ازداد عدد الرهبان ومنهم الأطباء والصيادلة والمهندسين والكثير من أصحاب المهن المختلفة ؛ مما جعل الأديرة مجتمعات مكتفية بذاتها — (المترجم) .

اكلسيا ... ولا تطلق كلمة « دير » على الكنيسة حتى لو كان بين رعاتها عدد من الكهنة الرهبان ، ولكن اذا كانت الكنيسة تخص احد الأديرة فإنها تحمل اسم هذا الدير . وعلى ذلك فان الدير الأبيض والدير الأحمر أصبحا كنيستين ابيارشيتين منذ وقت طويل ويخدمهما كهنة متزوجون ؛ وليس بهما راهب واحد ولكنهما مازالا يطلق عليهما اسم : دير .

ويبلغ عدد الأساقفة فى مصر حاليا خمسة عشر أسقفا وهو عدد يقل عما كان موجوداً فى العصور القديمة (*) .

ونقرأ فى سيرة حياة سمعان البطريرك الثانى والأربعين الذى عاش قرب نهاية القرن السابع ؛ عن انعقاد مجمع فى الاسكندرية بأمر عبد العزيز ؛ وقد حضره ٦٤ أسقفاً من اتباع الطبيعة الواحدة ؛ الى جانب الأساقفة الملكانيين وغيرهم من المذاهب الأخرى .

وفى القرن الحادى عشر عقد مجمع فى الفسطاط بأمر الخليفة المستنصر ووزيره أمير الجيوش حضره سبعة واربعون اسقفاً برياسة الأنبا كيرلس البطريرك السابع والستين .

ولا يبدو لنا أن الكنائس قد تحولت الى مساجد بعد الفتح العربى(١) ولكن كان يجرى هدمها واستخدام مواد البناء المتخلفة عنها فى بناء المساجد .

لقد حاولت المذاهب المختلفة قبل وبعد الفتح الاسلامى الاستيلاء على الكنائس فنحن نقرأ فى حياة البطريرك خائيل (**) (٧٤٤ — ٧٦٨ م) ان الملكانيين ادعوا ملكية كنيسة مارمينا بمريوط . وقد قرر الخليفة عبد الملك بعد الاستماع الى كلا الطرفين ، احقية اليعاقبة فى الكنيسة . ومرة اخرى نقرأ فى حياة البطريرك ثيوفيلوس البابا الخامس والستين(***) (٩٥٠ — ٩٥٥ م) فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله أن البطريرك الملكانى أرسانيوس (الذى كان شقيق احدى زوجاته وهى أم الحاكم) ادعى ملكية الكنيسة المعلقة . وبعد جهود جبارة اعطى اليعاقبة للملكانيين

(★) عدد الاساقفة الآن يتجاوز السبعين — (المترجم) .

(١) السبب فى ذلك هو أن تخطيط مبانى الكنيسة لا يصلح للمسجد .

(★★) هو البابا ميخائيل الأول وهو السادس والاربعون فى تعداد بابوات الاسكندرية .

(★★★) تعداده الستون وليس الخامس والستين — (المترجم) .

كنيسة الست العذرا بقصر الشمع ، وهى التى تعرف حاليا باسم : قصرية الريحان ، ثم استعادوها منهم فيما بعد .

وساجازف بتقديم بعض الملحوظات فيما يختص بعدد المذابح التى تعرضت لها من قبل .

يلاحظ فيما يتعلق بالمساقط الافقية لكنائس جنوب أسوان ان الاجنحة فى معظمها ضيقة جدا لدرجة انه يبدو من الصعب وضع مذبح فى الطرف الشرقى منها . والاكثر من ذلك هو وجود باب فى الحائط الشرقى للجناح يتيح الوصول الى الحجرة الصغيرة التى خلفه (انظر اللوحات أرقام ٦ — ١٢ ، ١٥ — ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤) . ويبين لنا ستر مايلهم على اللوحات أرقام ٨ ، ٢٢ ، ٢٦ الخاصة بكنائس النوبة السفلى انه وجد اثار حواجز صغيرة فى الطرف الشرقى للأجنحة ؛ ولكن هذه الحواجز فى كل حالة قد رتبت لاخفاء الباب الذى فى الحجرة الصغيرة التى خلف الحاجز ، انها ليست حجاباً مقاماً بالنسبة للمذبح . ولم يكن للتناسب والرقة دور فى وضع مثل هذا الترتيب بهذه الكنائس التى فحصناها وان المكان المتاح فى كل منها محدود المساحة . اما بالنسبة لاجنحة كنائس النوبة فلا يوجد بها اى مكان يسمح بوضع اصغر المذابح . وهذه الادلة التى قدمناها الآن فى صالح اقامة مذبح واحد فقط على سطح الأرضية وأن موضعه فى الهيكل . ولن أخاطر بالنظر فى امكانية وجود مذبح بالدور العلوى .

وعندما نتفحص الرسم التخطيطى باللوحة رقم ٣١ : دير القديس سمعان بأسوان — نجد أن الفضاء المتاح غير محدود ، وعند وصف المبنى كان السؤال يدور حول امكانية وجود ثلاثة مذابح بمعدل مذبح واحد فى كل هيكل . اما عن المذابح التى فى الطرف الشرقى للأجنحة ؛ فقد واجهنا هنا الصعوبة القديمة وهى الحاجة الى الفراغ ، ووضع الأبواب فى المكان غير الصحيح .

وعندما نجد انفسنا فى شمال أسوان فاننا نكتشف اختلاف الظروف ؛ ولكن حتى فى هذا الجزء من مصر وعندما نلتقى فى حالات قليلة ببسط

انقى فى كنيسة اثرية فيما لا جدال فيه اننا سنواجه نفس المصاعب التى ذكرناها من قبل . وعلى سبيل المثال ، فإننا ونحن بالدير الأبيض (اللوحة رقم ٤٥) والدير الأحمر (اللوحة رقم ٤٩)، نجد انفسنا فى حضرة اثنين من المساقط الافقية من الطراز البازيليكى الخالص . ولكن لا يبدو أن هنـــاك مكانا لإقامة ثلاثة مذابح بالطرف الشرقى للكنيسة فيما عدا مواجهة منبحين منهما لناحيتى الشمال والجنوب · ان الأطراف الشرقية للأجنحة والفراغات التى خلف الأجنحة مهدمة ؛ ولذلك فان محاولة البحث عن الترتيب الذى ينطبق عليها غير مجدية · ويظهر فى اللوحة رقم ٥٥ الرسم التخطيطى لدير «ابو حنس» وهو من افضل المساقط الافقية التى بقيت سليمة . وهنا نجد ان الأجنحة الضيقة والمداخل غير المناسبة تعلن عن نفسـها سريعاً .

وعندما ندرس المساقط الافقية من الطراز (ج) سنجد تغييراً كبيرا ؛ ففى اللوحة رقم٣٣ ، الشكل رقم٢ : دير الشهداء فى اسنا ــ نجد أن المبنى يستطيع ان يستوعب ثلاثة مذابح بسهولة ولكننا نجد فى هذا المبنى ما لا يقل عن خمسة مذابح ، احدها فى الكنيسة الأصلية التى يمكن أن تستوعـبه ثلاثة مذابح ، واربعة مذابح مضافة الى الجانب الشمالى .

أما فى اللوحة رقم ٣٤ : دير الامير تادرس بمدينة هابو ــ فإننا نظن أن الكنيسة عند بنائها لأول مرة كان بها ثلاثة مذابح وأن المذبح الرابع أقيم فى وقت لاحق .

وفى اللوحة رقم ٣٥ فى الميدامود نجد خمسة مذابح فى صف واحـد ولا نجد دليلا على أن هذه الهياكل جميعها لم تبن فى وقت واحد .

وفى اللوحة رقم ٣٦ : دير الملاك ميخائيل فى قامولا يصعب الشك فى اننا نرى كنيستين قائمتين احداهما بجوار الأخرى والجنوبية منهما مجهزة لوضع ثلاثة مذابح ويبدو أن نفس هذا الترتيب مطبق ايضاً فى الكنيســة الشمالية .

وفى دير مار بقطر بنقادة (اللوحة رقم ٣٧) لا نخطىء اذا افترضنا ان الكنيسة قد بنيت أصلا وهى معدة لاقامة ثلاثة مذابح فى صف واحد .

وفى اللوحة رقم٣٨ دير الصليب المقدس فى نقادة ، نجد أن الكنيستين الجنوبية والشمالية قد أعدت كل منهما لوضع ثلاثة مذابح . أما الكنيسة الوسطى فنجد بها حالياً مذبحين فقط . ولكن الا يوجد فى هذه الحالة بعض التغيير منذ إقامة هذا الجزء من الكنيسة ؟ أما فى الوقت الحالى فإن الجزء الشرقى من الكنيسة الصغرى لا يبدو متناسباً مع الجزء الغربى بأية حال من الأحوال .

أما عن اللوحة رقم ٤٠ : دير المجمع فى نقادة — فمن الصعب ضغط ثلاثة مذابح متجاورة فى كنيسة « ابن حنس » ، ولكن هناك مكان لمثل ذلك فى الكنيستين الأخريين .

وفى نجع الدير (اللوحة رقم ٥١ — الشكل رقم ٢) يبدو أن الكنيسة بدأت بثلاثة مذابح متجاورة أما المذبحان اللذان فى الشمال ، فإنهما على ما اعتقد يمثلان اضافة تالية .

وفى دير مارجرجس (اللوحة رقم ٤٢ — الشكل رقم ١) وأيضاً فى دير العذراء — نجد أن المبنى الرئيسى فى كل من الحالتين يبدو مجهزاً لوضع ثلاثة مذابح . ومن الصعب انكار انه فيما يتعلق بالمسقط الأفقية من الطراز (ح) فانه من المفضل وضع ثلاثة مذابح فى صف واحد داخل الهياكل المعدة لذلك (*) .

أما عن مواقع الكنائس ، فهناك الكثير من الأماكن التى ستكشف للمنقبين فيها بعد عن بقايا الكنائس القديمة ، فما زال البحث فى السودان فى بدايته . ذلك أن البحث العلمى جرى فى مقاطعة واحدة فقط ابتداء من فرس عند الحدود الشمالية للسودان حتى وادى حلفا . ولا بد من العمل الكثير عند مدخل الشلال الثانى سواء على الأرض أو فى الجزر ، بالاضافة الى أن الضفة الغربية للنيل مقابل حلفا تحدد نقطة مركزية عجيبة .

(*) خلاصة هذه الاحصائيات لاعداد المذابح فى الكنائس التى أوردها المؤلف تدل على أن حاجة الكنيسة القائمة فى الدير الى المذابح أقل من حاجة الكنيسة التى تخدم حيا فى مدينة أو مدينة بها عدة الاف من المسيحيين يحتاجون الى اقامة قداسات عديدة ورعاية عدد من الكهنة وليس كاهنا واحدا — (المترجم) .

وتكشف الخريطتان رقم ٣ ، ٤ (انظر اللوحتين رقم ٢٧ ، ٢٨) عن هذه الحقيقة ، فمن المؤكد وجود مواقع قديمة عديدة لم استطع زيارتها ، ولا شك فى وجود البعض منها على الضفة الشرقية للنيل وكذلك الغربية ، كما نعلم انها تمتد فوق الجزر المتناثرة بكثافة فى هذا الجزء من الشلال . ويتطلب القيام ببحث شامل مثل ذلك الذى تمت به ، أستخدام كوكبة من الجمال والخيام .. الخ ولكن البحث الدقيق فى مقاطعة مثل هذه كثير التكلفة وعديم الفائدة . ان توظيف خيمتين مع عدد قليل من الرجال الموثوق بهم الذين يعرفون الحفائر بالخبرة والذين لا يحفرون فيدمرون ما نبحث عنه ، يساعد على ان نبدأ استكشافات قصيرة المدى من مراكز محددة وبتكلفة معقولة . ومن الضرورى ايضاً امداد الباحثين بقارب . ولكن هناك صعوبات عديدة تتعلق بتوفير هذه المعدات ، ذلك لأن القوارب غير متوافرة فى اماكن كثيرة بالسودان خاصة فى بطن الحجر . ونجد فى أماكن اخرى ان وسيلة الانتقال الوحيدة تتمثل فى « النجر » وهو قارب محلى غريب الشكل وصفه هيرودوت بأنه يشبه نصف ثمرة جوز الهند . وهذه الأداة العتيقة لا تستحق الاكتراث ولا طائل من ورائها ؛ لانها تمضى فى مسار متعرج عكس اتجاه الريح . وفى احدى المرات استغرق عبور النهر باستخدام النجر نصف ساعة ولكن العودة استغرقت اكثر من اربع ساعات ؛ لأن هذا النوع من القوارب غير مناسب للتجديف وغير مجهز بالمجاديف ؛ كما أن مكان المجداف يشغله عمود معقوف لا يمكن أن يتحقق به الا القليل من التقدم . ومن ناحية أخرى فان خشب السنط الذى تبنى منه هذه القوارب شديد الصلابة ويقاوم الضربات الشديدة واللطمات التى يتلقاها القارب بين حين وآخر من الصخور التى يندفع اليها بسبب سرعة اندفاع الماء . ويستدعى الأمر استخدام قارب مقوس الجسم مع الحذر الشديد لأن الكثير من هذه الأماكن غير آمن . وقد جربت نوعين من القوارب ولم تكن المجاديف المستخدمة فى كلا النوعين قوية بما فيه الكفاية : لأن البعض منها يتكون من جزءين مثبتين معاً فى ثقب بالقارب ولكنه ثقب ضعيف بشكل خطير . اما عن استخدام القارب كوسيلة رئيسية للنقل فانه ليس محل سؤالى . ومع استخدام تلك الادوات المتاحة ، وبالشكل الذى وصفناه للانتقال ، فمن المؤكد اننا سنخطئ الوصول للمواقع المطلوب استكشافها .

ولا يستطيع المواطن العادى ان يفرق على الاقل بين بروز صخرى وقاعدة مبنى حجرى . وكذلك فان للمبنى الحديث المقام بالطوب الذى انشىء فى عصر محمد على ، نفس القدر فى عينيه وربما قدراً أكبر (ربما لأن حالته افضل) عن خرائب كنيسة او قلعة قديمة . ويقع الرحالة الى حد ما تحت رحمة ما يذكره له هؤلاء المواطنون .

وافضل وسائل النقل المتاحة هى الحمار والجمل واقدام الانسان ، والوسيلة الاخيرة هى أفضل الثلاثة وتاتى بعدها فى الترتيب الوسيلتان الأخريان .

ويمتلىء النهر بالكثير من الماء فى شهور التحاريق التى تمثل افضل الاوقات للاختيار بعيداً عن مسالة حرارة الصيف ، حيث يستطيع القارب العريض ان يتحرك بسهولة . ومن جهة أخرى ، فان الرياح التى تهب باستمرار من الشمال الغربى شديدة البرودة ، مما يؤدى الى العجز عن تحقيق اى تقدم فى اتجاه الشمال بالرغم من الابحار فى تيار شديد .

ومن السهل اقامة مركز قيادة عند حلفا ، التى تمثل وسيلة طيبة لفحص جزء معين من النهر والحصول على المؤن . ومن هذا المكان يمكن فحص الآثار حتى الوصول الى شلال دالى .

والموقع التالى الجدير بالعناية هو دنقلة الجديدة ، وكريمة (انظر جبل برقل على الخريطة رقم ٣ والعديد من المواقع) . ولا شك أن هناك مواقع اكثر لم تعرف بعد . وهنا تتوقف المراكب البخارية عن الابحار لانها لا تستطيع اعتلاء الشلال الرابع .

ويقال ان هناك العديد من خرائب الكنائس عند الشلال الرابع . وقد ذكر لبسيوس بعضاً منها ، اما الخط الحديدى الممتد من كريمة الى « ابو حمد » ، فانه لا يفيد فى الفحص لانه لا يحاذى النهر ولو حدث ذلك فإن التقدم سيكون سريعاً وتتسع المسافات بين المحطات .

ولا استطيع الادلاء بأية معلومات عن امتداد النهر بين « ابو حمد » والخرطوم . وحتى الآن فانه لا احد يعرف ما اذا كانت هنـــاك آثار مسيحية أم لا . ولو صح ذلك فانه اذا وجدت خرائب متفرقة للكنائس جنوب صوبا فلن يكون هناك شيء فى شمالها خاصة عندما نعرف ان صوبا كانت احدى الحواضر ، ومركزاً مرموقاً . كما انه كانت هنـــاك مراكز استقرار كبيرة الاهمية فى الاماكن المعروفة الآن مثل مصـــورات وكابوشيا . فلماذا لم يتواجد المسيحيون هناك مثلما فعل سائر الناس من قبل ؟

وآخر المراكز المهمة التى استطيع اقتراحها حاليا هى الخرطوم . وربما استطعنا اضافة سنار الى القائمة سريعا .

وندين بهذه المعلومات التى فى حوزتنا للمفتشين وغيرهم من الذين اهتموا بكتابة المذكرات . ان هؤلاء السادة الأفاضـــل وهـــؤلاء الـــذين يقومون برسم الخرائط لم يرسلوا بمعرفة الحكومات فى بعثات اثرية ، ولم يكن لديهم وقت يضيعونه أو نقود يصرفونها على عمل الحفائر . ولم يسبق اعدادهم للعمل بالحصول على دراسات سابقة . ان مجرد الحفر بدون هدف يسبب الأضرار . ومن الأفضل ترك المواقـــع دون المساس بها بدلا من الحفر غير الموجه ، وما ينتج عنه من تكديس المواد المستخرجة بشكل يثير الارتباك ، وتبديد الدليل ، أو على أحسن تقدير دفنه تحت تل من الطوب المكسور ، او على أسوأ تقدير احداث انهيار لما كان قائماً على مدى سنوات طويلة .

وقد وجهنا الانتباه مؤخراً نحو الجهود غير الموفقة التى قام بهـــا الحفارون من أصحاب النوايا الطيبة . وعلى كل حال ، فإن الانســـان لا يستطيع الحديث بالكثير من التقدير عن هؤلاء الســـادة الافاضـــل والمفتشين الحكوميين الذين يتحمل كل منهم مسئولية جزء من البـــلد . وهم الذين يتحركون بدوافعهم الذاتية فى مقاطعاتهم حيث يصاب الرجال بالتبلد فى تبعـــة عملهم الروتينى البليد ، ويهتمون بدراســـاتهم الخاصـــة ، فالبعض منهم يهتم بدراسات علم الاجناس Ethnology والبعض

الآخر بدراسات علم النبات ، أو دراسات علم طبقات الأرض Geology في حدود مقاطعاتهم ، ويهتم البعض منهم بدراسة المواقع أو الأدوات القديمة التى يبدو لهم أنها تستحق الدراسة . وهم يدونون أبحاثهم على الخرائط التى يصحبونها فى أسفارهم . ولم أجد رجالا أكثر استعداداً للتخلى عما اكتشفوه أكثر من هؤلاء السادة الأفاضل . والحقيقة أنه لولا تعاونهم وتعاون مصلحة المساحة لكانت خرائط السودان خالية من الكثير من المواقع التى وضحت عليها . وأتمنى أن يكف هؤلاء السادة الأفاضل أيديهم عن عمل الحفائر للأسباب التى ذكرناها من قبل .

أما فيما يتعلق بالخرائط واستقصاء المواقع ، فان القارىء الذى يعود اليها يلاحظ أننى هنا أقدمها وأقارنها بالخرائط التى نشرتها الحكومة السودانية أو المصرية ، ومنها نعرف أنها تتفق مع العديد من أسماء الأماكن .

ونظراً لأن الخرائط الحكومية غير متفقة مع بعضها ، فاننا نلتمس العذر فى تقديم قراءات عديدة لها . أما عن التعامل مع البلدان التى ليست لها لغة مكتوبة أو اذا وجدت فان أهلها يهملون فى ضبط النطق ، أو فى المناطق التى تكتب فيها الأسماء دون اهتمام بقيمة الأصوات ، فاننا نجد العديد من التفسيرات المختلفة لاسم المكان الواحد . والأكثر من ذلك فان المواطنين أنفسهم لا يقدرون الدقة أو يهتمون بها ، ولا يمكن تحقيق الدقة فى مثل هذه الحالات .

ويضاف الى هذه الصعوبات تلك التى تنتج من كتابة اللغة العربية بحروف لغة أخرى من اللغات الأوربية فعلى سبيل المثال ، قد نصل الى محطة مكتوب عليها كلمة Guergeh ثم ننظر الى الخريطة ونجد أن نفس المكان مكتوب عليه كلمة Girgeh أو Girga ويواجه الفرنسيون صعوبة فى نطق الحروف المتحركة فى هذه النوعية من الترجمة ونحن ندين لهم بتركيب الاسم الموسيقى الوقع Mallaoui ولكننا نجدها مكتوبة على الخرائط Mellawi وهكذا . ووجدت أن

بعضهم يكتب كلمة اسوان Uswan بينما يكتبها البعض الآخر Aswan اما عند محطة السكة الحديد فانها مكتوبة Assouan .

وتلاحظ تشكيلة مختلفة من النطق فى قائمة الكنائس التى قدمهـا لى سميكة بك وهى المطبوعة فى ملحق هذا الكتاب . وانا لست مسئولا بالطبع عن مشروع تحقيق التناســق بين المجموعات التى استعنت بها ، كما اننى لست مستعدا للقيام بهذا الدور . ولا شك أن أسماء الاماكن فى مثل هذا البلد النامى مائعة ، ولكن قد يتســاءل البعض : ما قيمـة نطق الأسماء ما دامت تنطق حسب نطقها باللغة العربية ؟

ويلاحظ ان عدد الاسماء التى فى القائمة (الملحق — أ —) يتجاوز عدد الاسماء المبينة على الخرائط ويتضح ذلك نتيجة لأننى بذلت ما فى وسعى لوضع تلك الاسماء التى يوجد عندها كنائس اثرية او قيل لى ان فيها بقايا بعض هذه الكنائس .

ولست فى حاجة للقول باستحالة زيارة كافة الكنائس فى مصر فى حين لا يعرف الناس شيئا عن الآثار — الا بعض الاستثنــاءات النادرة — ولا يهتمون بتلك المعرفة . ولست امتلك وسائل تحصيل المعلومات التى يمكن الاعتماد عليها . ولا بد أن ارضى بذلك . واعتذر للقارىء عن البنط الذى طبع به هذا الكتاب او على الأصح الحاجـة الى البنط المناسب . ولم يكن فى الاستطاعة استخدام بنط آخر . ان الكثير من مادة الكتاب تتخذ شكل القوائم المبوبة وهى المعلومات التى جمعتها عاماً بعد عام فيها لا يقل عن ثمانية عشر دفتر للملاحظات (اجندة) مع كراسات الرسومات التخطيطية المتفرقة ، والعديد من الاماكن التى زرت بعضهـا خمس أو ست مرات . ولقد اتخذ تصنيف هذا الموضوع فى الكثير من اجزائه شكل الحفائر التى تضمنها العديد من الكتب السابقة . والنتيجة لا تتناسب دائماً مع ما نرجـوه .

وقد أوضحت امتنانى للمستر جرين F. W. Green والبروفيســور سايس Sayce . وبالنسبة لجمع المادة من حلفا ونحو الشمال فقد

تلقيت مساعدة العديد من الأصدقاء من بينهم ماكس هيرز بك Max Herz المهندس المعمارى بلجنة حفظ الآثار العربية ، والمستر بيرز U. H. Peers وهو الآن سكرتير الجمعية الملكية لدارسى الآثار ، والمرحـوم هارولـد سوينسين والمستر ر. د. ويلز والمستر بلاكبرن دانيـال وغيرهم . واخيراً وليس آخراً اشكر تلك المساعدة الرقيقة التى قدمها لى الخـدم والبحارة ؟

ملحق الكتـــاب

قائمة بأسماء الكنائس والاديرة القبطية فى مصر

بالرغم من صعوبة الافراط فى تضمين هذه الأسماء فى متن الكتاب ، فلا شك فى ان قائمة اسـماء الكنائس والمواقع الاثرية فى مصر ، التى اضيفت ضمن هذا الملحق بعد ان تلقيتها تفضلا من قداسة البطريرك بمساعدة صديقى العزيز مرقس بك سميكة ، ذات قيمة عظيمة ٠

وقد وجهنا الانتباه منذ قليل نحو المرونة المتناهية التى تميز هجاء اسماء الاماكن عند نقلها من اللغـة العربيـة الى اللغــــات الاوربية ، ولذلك كان من المهم بالنسبة لعــالم الطوبوغرافيا والمؤرخ تدوين قائمة اسماء الاماكن باللغة العربية ٠ اما اسـماء الاماكن المطبوعة هنا فهى نفسها المستخدمة منذ فترة طويلة فى القوائم الرسمية بالبطريركية ومن الصعب الحصول على قائمة اقدم منها او اقوى اعتمادا من الجهات الرسمية ٠

وقد طبعت القائمة كما تسلمتها ٠ ولست اضمن صحتها او دقتها ٠

الكرسى البطريركى

مصر وضواحيها

اسماء الكنائس	الجهـــة
١ ـ مار مرقس	الأزبكيـة
٢ ـ السيدة العذراء	الفجـالة
٣ ـ الملاك ميخائيل	العباسـية
٤ ـ انبا رويس	«
٥ ـ الست دميانة	بولاق
٦ ـ الملاك غبريال	حارة السقائين

---

(١) كاتدرائية : مقر كرسى البطريرك القبطى ٠ والمبنى جديد ٠ ويوجد عدد كبير من الكاتدرائيات فى القاهرة او حولها ٠ وليس بينها مقر لكرسى اسـقفى ٠

(٢) اعيد بناؤها سنة ١٨٩٥ ٠

(٤) بنيت فى القرن الثامن عشر ، على اسم احد النساك فى القرن الثالث عشر ٠

(٥) كنيسة جديدة ٠

(٦) اعيد بناؤها سنة ١٨٩٠ ٠

تابع الكرسي البطريركي ـ مصر وضواحيها

اسماء الكنائس	الجهــة
٧ ـ السيدة العذراء	حارة زويله
٨ ـ مار جرجس	« «
٩ ـ السيدة العذراء	حارة الروم
١٠ـ مار جرجس	« «
١١ـ دير مارمينــا	فم الخليج
١٢ـ الشهيد مرقوريوس	مصر القديمة
١٣ـ الســيدة العذراء بالدمشيرية	« «
١٤ـ انبا شنودة	« «
١٥ـ مار جرجس	« «
١٦ـ السيدة العذراء بالمعلقة	« «
١٧ـ السيدة العذراء بقصرية الريحــان	« «
١٨ـ الست بربارة	« «
١٩ـ القديسان سرجيوس و واخس	« «
٢٠ـ السيدة العذراء ببابليون	« «
٢١ ـ الامير تادرس الشرقي	« «
٢٢ ـ القديسان اباكير ويوحنا	« «

---

(٧) كاتدرائية قديمة قامت باصلاحها لجنة حفظ الآثار العربية ٠
(٩) كاتدرائية قديمة ٠
(١٠) من القرن السابع عشر ٠
(١٢) كاتدرائية قديمة ٠
(١٣) كاتدرائية قديمة قامت باصلاحها نفس اللجنة ٠
(١٤) احترقت واعيد بناؤها سنة ١٨٧٠ ٠ ويطلق على الحصن الروماني اسم : قصر الشمع وتقع داخل أسواره الكنائس من رقم ١٤ الى رقم ١٨ ٠
(١٥) كاتدرائية اعيد احياؤها ٠
(١٦) تعود الى القرن السابع عشر ٠
(١٧) حدثت تغييرات بالغــة منذ حوالي اربعين عاما ٠
(١٨) كاتدرائية قديمة ٠
(١٩) من القرن السابع عشر ٠
(٢٠) من القرن السابع عشر ٠
(٢١) من القرن السابع عشر ٠

تابع الكرسي البطريركي ـ مصر وضواحيها

أسماء الكنائس	الجهة
٢٣ ـ الملاك ميخائيل	مصر القديمة
٢٤ـ دير السيدة العذراء	حارة زويلة
٢٥ـ دير مار جرجس	« «
٢٦ـ دير الأمير تادرس	حارة الروم
٢٧ـ دير ابي سيفين	مصر القديمة
٢٨ـ دير مار جرجس	« «

---

(٢٣) دير للراهبات ٠
(٢٤) دير للراهبات
(٢٥) دير للراهبات ٠
(٢٦) دير للراهبات ٠
(٢٧) دير للراهبات ٠
(٢٨) دير للراهبات ٠

ابروشية كرسى الاسكندرية

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة مار مرقس	المسلة
٢ ـ مار جرجس	جهة شرقى
٣ ـ كنيسة الملاك ميخائيل	دمنهور
٤ ـ « السيدة العذراء	المحمودية
٥ ـ « مار مرقس	رشيد
٦ ـ « مار جرجس	دمتيوه
٧ ـ « السيدة العذراء	الطرانة
٨ ـ « « «	عزبة ابو حمرة
٩ ـ « « «	الظهرية
١٠ـ « « «	عزبة ابو حنا
١١ ـ « مار جرجس	عزبة الجرابسة
١٢ـ « السيدة العذراء	شبين الكوم
١٣ـ « « «	الزيتون
١٤ـ « انبا صرابامون	«
١٥ـ « « «	مليج
١٦ـ « مار جرجس	المينين
١٧ ـ « انبا بشاى	«
١٨ـ « السيدة العذراء	منشاة شنوان
١٩ـ « « «	زاوية الناعورة
٢٠ـ « مار جرجس	منوف
٢١ـ « « «	عزبة تتا
٢٢ـ « السيدة العذراء	صدود
٢٣ـ « « «	قيشا النصارى
٢٤ ـ « الملاك ميخائيل	بنى العرب
٢٥ـ « السيدة العذراء	بهناى الغنم
٢٦ـ « مار جرجس	سرس الليانه

(١) كنيسة جديدة بنيت على قبر القديس مرقس وهى مقر البطريرك ٠

(٣) كنيسة جديدة

(٤) كنيسة جديدة ٠

(٥) من القرن الثامن عشر ٠

(٦) كنيسة جديدة ٠

تابع ابروشية كرسى الاسكندرية

اسماء الكنائس	الجهة
٢٧- كنيسة السيدة العذراء	سبك
٢٨- « مار جرجس	طاليا
٢٩- « « «	شطانوف
٣٠- « « «	اكوة
٣١- « « «	بمم
٣٢- « السيدة العذراء	طوخ النصارى
٣٣- « مار جرجس	« «
٣٤- « السيدة العذراء	عزبة البرموس
٣٥- « مار جرجس	كفر الزيات
٣٦- « السيدة العذراء	ابيار
٣٧- « مار مينا العجائبى	«
٣٨- « مار جرجس	برما
٣٩- « « «	محلة مرحوم
٤٠- « السيدة العذراء	طنطا

اديرة الرهبان بوادى النطرون

(١) دير البرموس يحتوى على اربع كنائس الكبرى باسم السيدة العذراء والثانية باسم الامير تادرس والثالثة باسم القديس يوحنا المعمدان والرابعة « بالقصر » باسم الملاك ميخائيل ٠

(٢) دير السريان يحتوى على ثلاث كنائس الكبرى باسم السيدة العذراء والثانية بالمغارة باسم السيدة العذراء والثالثة باسم الملاك ميخائيل ٠

(٣) دير ابى مقار يحتوى على اربع كنائس ، الكبرى باسم القديس مقاريوس ، والثانية باسم شيوخ شيهات التسعة والاربعين والثالثة باسم القديس ابسخيرون ، والرابعة بالقصر باسم الملاك ميخائيل ٠

---

(٣) داخل الحصن ٠ انظر الاقتباسات المأخوذة عن « ابو صالح » ٠ وكذلك اللوحة رقم ٣٢ التى تبين دير القديس سمعان فى اسوان وبه الحصن المذكور ٠

تابع أديرة الرهبان بوادى النطرون

(٤) دير انبا بيشوى يحتوى على ثلاث كنائس الكبرى باسم القديس انبا بيشوى والثانية باسم الشهيد ايسخيرون والثالثة « بالقصر » باسم الملاك ميخائيل .

أبروشية كرسي أورشليم

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة السيدة العذراء	بورسعيد
٢ ـ « السيدة العذراء	السويس
٣ ـ « مار جرجس	دمياط
٤ ـ « الملاك ميخائيل	المنصورة
٥ ـ « السيدة العذراء	«
٦ ـ « مار جرجس	«
٧ ـ « السيدة العذراء	الريدانية
٨ ـ « مار جرجس	سلامون القماش
٩ ـ « السيدة العذراء	كفر يوسف عوض
١٠ـ « مار جرجس	ميت دمسيس
١١ـ « السيدة العذراء	دقادوس
١٢ـ « « «	كفر ابراهيم يوسف
١٣ـ « مار جرجس	ميت غمر
١٤ـ « « «	صهرجت الكبرى
١٥ـ « « «	كفر الشهيد
١٦ـ « « « تكلا هيمانوت	الزقازيق
١٧ـ « انبا بشاى	«
١٨ـ « السيدة العذراء	كفر عطا الله سليمان
١٩ـ « الست دميانة	« عبد الشهيد شنودة
٢٠ـ « السيدة العذراء	شبلنجة
٢١ـ « « «	كفر يوسف سمرى
٢٢ـ « « «	ميت بشار
٢٣ـ « « «	كفر فرج جرجس
٢٤ـ كنيسة مار جرجس	طاروط
٢٥ـ « القديس مرقوريوس	كفر سلامة ابراهيم
٢٦ـ « الملاك ميخائيل	« الدير بالتلين
٢٧ـ « السيدة العذراء	بنهـا
٢٨ـ « مار جرجس	كفر عطا الله اقلاس
٢٩ـ « السيدة العذراء	مسترد

(١) مقر كرسى اسقف الايبارشية .

تابع ابروشية كرسى أورشليم

اسماء الكنائس	الجهة
٣٠- الملاك ميخائيل	القشيش
٣١- « « «	العـزم
٣٢- « السيدة العذراء	كوم اشفين
٣٣- « مار جرجس	سنديس
٣٤- « « «	قليوب
٣٥- « « «	المحلة الكبرى
٣٦- « ابانوب النهيسى	سمنود
٣٧- « القديس مرقوريوس	زفتى
٣٨- « مار جرجس	مسجد وصيف
٣٩- « الست رفقة	سنباط
٤٠- « مار جرجس	دسوق
٤١- « « «	كفر الخير
٤٢- « « «	« يوسف جنس
٤٣- « السيدة العذراء	سخا
٤٤- « « «	كفر سـليمان عوض
٤٥- « مار جرجس	بسـاط
٤٦- « « «	نبروه
٤٧- « السيدة العذراء	بلقـاس
٤٨- « الست دميانة	برية بلقاس
٤٩- « الملاك ميخائيل	سيرباى
٥٠- « مار مينا العجائبى	بسيون
٥١- « « مار جرجس	ابلهس
٥٢- « « «	ميت بره
٥٣- « الملاك ميخائيل	طوخ طنبشـا
٥٤- كنيسة السيدة العذراء	كفر عبده
٥٥- « « «	شنتنا الحجـر
٥٦- « « «	منشاة مسجد الخضر

أبروشية كرسى الفيوم وأكجيزة

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة القديس مقاريوس	اتريس
٢ ـ « السيدة العذراء	«
٣ ـ « « «	أوسيم
٤ ـ « « «	الوراق
٥ ـ « مار مرقس	الجيزة
٦ ـ « قزمان ودميان	منيل شيحة
٧ ـ « الامير تادرس	منا الأمير
٨ ـ « القديس مرقوريوس	طموه
٩ ـ « الامير تادرس	ام خنان
١٠ـ « السيدة العذراء بالعدوة	معادى الخبيرى
١١ـ « مار جرجس	طره
١٢ـ « انبا برسوم العريان	المعصرة
١٣ـ « السيدة العذراء	ابى فان
١٤ـ « « «	اسكر
١٥ـ « السادة الرسل	اطفيح
١٦ـ « السيدة العذراء	الفيوم
١٧ـ « « «	العزب
١٨ـ « دير الملاك غبريال	سنورس
١٩ـ « الملاك ميخائيل	ابشواى
٢٠ـ « مار جرجس	فديمين
٢١ـ « السيدة العذراء	سنهور
٢٢ـ كنيسة السيدة العذراء	
٢٣ـ « الملاك غبريال	النزلة
٢٤ـ « الامير تادرس	دسـيا

الديران الموجودان بالجبل الشرقى

(١) دير القديس انطونيوس ويحتوى على كنيسة باسم مار انطونيوس ، وأخرى باسم الملاك ميخائيل بالقصر وثلاث كنائس اخرى احداها لها اثنتا عشرة قبة وفى الجبل على ارتفاع الف وخمسمائة قدم توجد مغارة مار انطونيوس وهى عبارة عن ثقب طبيعى فى الصخر وتشرف على الصحراء ٠

يتضمن دير الانبا انطونيوس خمس كنائس :

(١) الانبا انطونيوس :
(٢) الملاك ميخائيل (فى الحصن) ٠
(٣) لم يذكر اسم شفيع كل من الكنائس الثلاث الأخرى :

ابروشية كرسي بني سويف
والبهنسا

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة انبا انطونيوس	دير الميمون
٢ ـ « انبـا بولا	بوش
٣ ـ « انبا انطونيوس	«
٤ ـ « مار جرجس	سدمنت الجبل
٥ ـ « السيدة العذراء	بني سويف
٦ ـ « « «	بياض النصارى
٧ ـ « « «	ابو صير الملق
٨ ـ « « «	دير الحمام
٩ ـ « مار جرجس	ببا
١٠ـ « الملاك ميخائيل	دشاشة
١١ـ « السيدة العذراء	الفشن
١٢ـ « القديس ابكلوج	الفت
١٣ـ « الملاك ميخائيل	شنرا
١٤ـ « « «	نزلة عوض القططة
١٥ـ « السيدة العذراء	متيـال
١٦ـ « مار جرجس	اشنين النصارى
١٧ـ « السيدة العذراء	دير الجرنوس
١٨ـ « الملاك ميخائيل	شارونه
١٩ـ « السيدة العذراء	أبو جورج
٢٠ـ « الامير تادرس	دير السنقورية
٢١ـ « انبا اثناسيوس الرسولي	كفور الصولية
٢٢ـ « ابا نسطور	بردنوها

دير انبا بولا وبه جملة كنائس ؛

ابروشية كرسى المنيا والاشمونين

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة مار جرجس	المنيـــا
٢ ـ « القديس اباهور	دير سوادة
٣ ـ « مار مينا العجائبى	نزلة عبيد
٤ ـ « الأمير تادرس	دمشير
٥ ـ « السيدة العذراء	طوه
٦ ـ « القديس ابو بجول	تلة
٧ ـ « انبا برسوم العريان	طهنشـــا
٨ ـ « مار مينا العجائبى	طهنا الجبل
٩ ـ « السيدة العذراء	دير جبل الطير
١٠ـ « القديس ابو مقـار	« « «
١١ـ « الشهيد ابسخيرون	البيهو
١٢ـ « مار جرجس	المعصرة
١٣ـ « الملاك ميخائيل	قلوصـــنا
١٤ـ « مار جرجس	كوم دفش
١٥ـ « القديس مرقوريوس	الطيبـة
١٦ـ « الملاك غبريال	بنى غنى
١٧ـ « مار مينا	طحا الاعمدة
١٨ـ « السيدة العذراء	بلنصورة
١٩ـ « الملاك ميخائيل	بنى عبيد
٢٠ـ « السيدة العذراء	جريس
٢١ـ « القديس مرقوريوس	كوم الزهير
٢٢ـ « « «	ابيوها
٢٣ـ « اباكير ويوحنا	منهرى
٢٤ـ « مار مينا العجائبى	«
٢٥ـ كنيسة الامير تادرس	ابو قرقاص
٢٦ـ « القديس يوحنـا	الشيخ تمى

(٢٣) القديســان اباكير ويوحنا من مدينة دمياط .
(٢٦) القديس يوحنا الرسول .

تابع ابروشية كرسى المنيا والاشمونين

اسماء الكنائس	الجهة
٢٧- « الملاك ميخائيل	نزلة اسمنت
٢٨- « مار جرجس	اتليدم
٢٩- « مار مينا العجائبى	نزلة حرز
٣٠- « الملاك ميخائيل	دير الملاك بالبربيموث
٣١- « القديس ابو يحنس	« ابو حنس
٣٢- « « انبا بيشوى	« البرشا
٣٣- « السيدة العذراء	ملوى
٣٤- « القديس ابو فانا	قصر هور
٣٥- « الملاك غبريال	هور
٣٦- « السيدة العذراء	البرشا

(٣١) يعرف ايضا باسم : يحنس القصير (انظر اللوحتين رقم ٥٣ ، ٥٦) •

ابروشية صنبو وقسقام

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة الملاك ميخائيل	نخدة
٢ ـ « مار جرجس	انسيخ شيكة
٣ ـ « « «	البذرمان
٤ ـ « « «	صنبو
٥ ـ « الامير تادرس المشرقى	«
٦ ـ « مار مينا العجائبى	«
٧ ـ « السيدة العذراء	القصير
٨ ـ « الست دمياتة	كوم بوها
٩ ـ « الامير تادرس المشرقى	بيـلاو
١٠ـ « الست دمياتة	باتوب ظهر الجمل
١١ـ « السيدة العذراء	كودية النصارى
١٢ـ « انبا سرابامون	ديروط الشريف
١٣ـ « مار جرجس	دير مواس
١٤ـ « السيدة العذراء	دلجـا
١٥ـ « كنيسة مار جرجس	دلجـا
١٦ ـ « مار مينا العجائبى	نزلة أولاد مرجان
١٧ـ « الشهيد ابادير	دشلوط
١٨ـ « الشهيد مار جرجس	امشول
١٩ـ « مار يوحنا المعمدان	القوصية
٢٠ـ « الملاك غبريال	«
٢١ـ « القديس مرقوريوس	مير
٢٢ـ « الشهيد اقلوديوس	«
٢٣ـ « الملاك روفائيل	التتاليـة
٢٤ـ « مار جرجس	بلوط
٢٥ـ « الملاك ميخائيل	بوق
٢٦ـ « السيدة العذراء	بنى رافع
٢٧ـ « الامير تادرس المشرقى	التمساحيـة
٢٨ـ « مار جرجس	السرقنـة
٢٩ـ « مار يوحنـا	ام القصور
دير المحرق وبه جملة كنائس اشهرها كنيسة العذراء	

(٤) مقر كرسي الاسقف ٠

(١٩) القديس يوحنا المعمدان ٠

ابروشية كرسى منفلوط

اسماء الكنائس	الجهـــة
١ ـ كنيسة السيدة العذراء	منفلوط
٢ ـ « الملاك ميخائيل	بنى كلب
٣ ـ « السيدة العذراء	« شقير
٤ ـ « الأمير تادرس	
٥ ـ « السيدة العذراء	« عدى
٦ ـ « « « «	العزبة
٧ ـ « « «	عزالة
٨ ـ « القديس مرقوريوس	الجاولى
٩ ـ كنيسة مار جرجس	نجوع بنى حسين
١٠ـ السيدة العذراء	مسرع
١١ـ « مار مينا العجائبى	المعابدة
١٢ـ « مار جرجس	«
١٣ـ « السيدة العذراء	«
١٤ـ « الامير تادرس	بصرة
١٥ـ « السيدة العذراء	الواسطى
١٦ـ « الملاك ميخائيل	المعصرة
١٧ـ « مار جرجس	بنى مر
١٨ـ « السيدة العذراء	بنى عليج
١٩ـ « القديس مرقوريوس	الحمـام
٢٠ـ « القديس أبو اسحق	«
٢١ـ « مار قام	ابنوب
٢٢ـ « « يوحنا	«
٢٣ـ « السيدة العذراء	«
٢٤ـ « مار بقطر شو	دير بقطر شو
٢٥ـ « « « «	« الجبراوى (١)
٢٦ـ « السيدة العذراء	بنى محمد

(١) مقر كرسى الأسقف .

ابروشية كرسى اسيوط

اسماء الكنائس	الجهة
١ ـ كنيسة الشهيد ابادير	اسيوط
٢ ـ « السيدة العذراء	«
٣ ـ « الثلاثة فتية	درنكه
٤ ـ « الملاك ميخائيل	«
٥ ـ « السيدة العذراء	«
٦ ـ « الشهيد ابو قلتة	ريفة
٧ ـ « الامير تادرس المشرقى	دير ريفـه
٨ ـ « السيدة العذراء	« «
٩ ـ « مار بقطر شو	موشـا
١٠ ـ كنيسـة الشهيد مرقوريوس	شطب
١١ ـ « « فيلوثاوس	المطيعـة
١٢ ـ « القديس ابى ترپو	الزاوية
١٣ ـ « الشهيد اقلوديوس	بقور
١٤ ـ « مار جرجس	العونة
١٥ ـ « الست دميانة	«
١٦ ـ « السيدة العذراء	الشامية
١٧ ـ « الامير تادرس	بويط
١٨ ـ « « « المشرقى	«
١٩ ـ « السيدة العذراء	القواميس
٢٠ ـ « « «	المراونة
٢١ ـ « الملاك ميخائيل	دير تاسـا
٢٢ ـ « القديس هرمينـا	عزبة الاقبـاط
٢٣ ـ « مار مرقس	قاو الشرق
٢٤ ـ « السيدة العذراء	زاوية النصارى

(١) مقر كرسى الاسقف .
(٢) الثلاثة فتيـة .

ابروشية كرسى ابو تيج

اسماء الكنائس	الجهة
١ - كنيسة ابو مقار	ابو تيج
٢ - « السيدة العذراء	« «
٣ - « الملاك غبريال	المسعودى
٤ - « انبا شنودة	الزرابى
٥ - « الملاك ميخائيل	دير الجنادلة
٦ - « القديس مقروفيوس والعذراء	« «
٧ - « السيدة العذراء	الغنائم
٨ - « مار جرجس	«
٩ - « « «	اولاد اليـاس
١٠- « « مينـا	النخيلة
١١- « « يوحنـا	دوينـة
١٢- « « جرجس	العزايزة
١٣- كنيسة القديس انبا شنودة	«
١٤- « « ابسخيرون	الشـناينه
١٥- « السيدة العذراء	صـدفا
١٦- « انبا بشـاى	«
١٧- « مار جرجس	«
١٨- « القديس مرقوريوس	الدوير
١٩- « مار جرجس	القطـنة
٢٠- « « «	السوق
٢١- « السيدة العذراء	نزلة سـعيد
٢٢- « الملاك ميخائيل	« عمـارة
٢٣- « الرسولان بطرس وبولس	« «
٢٤- « مار جرجس	الكوم الاصفر
٢٥- « « «	كوم اشـقاو
٢٦- « القديس ابى فام	طمـا
٢٧- « الست دميانة	«
٢٨- « مار جرجس	«
٢٩- « القديس ابو لمبة	«
٣٠- « السيدة العذراء	الوعاشلة
٣١- « « «	ابى مقيزل
٣٢- « « «	الشيخ مسـعود

(٩) مقر كرسى الاسقف .

تابع ابروشية كرسى ابو تيج

أسماء الكنائس	الجهة
٣٣ـ « الشهيد فيلوثاوس	نزلة القاضى
٣٤ـ « الرسولان بطرس وبولس	نزلة السك
٣٥ـ « الملاك غبريال	جهينة
٣٦ـ « الشهيد قرياقس	طهطا
٣٧ـ « « «	ساحل طهطا
٣٨ـ « السيدة العذراء	المراغة
٣٩ـ « القديس غبريالوس	«
٤٠ـ « مار جرجس	الجزازرة
٤١ـ « « «	السوالم
٤٢ـ « السيدة العذراء	بنجا

ابروشية كرسي جرجا واخميم

اسماء الكنائس	الجهة
١ - كنيسة السيدة العذراء	البطاخ
٢ - « مار جرجس	العزايزات
٣ - « « «	جزيرة شندويل
٤ - « السيدة العذراء	الشيخ يوسف
٥ - « الشهيد ابو قلته	شندويل
٦ - « السيدة العذراء	سوهاج
٧ - « دير انبا شنودة	حاجر سوهاج
٨ - « « « بيشوى	« «
٩ - « الشهيد فيلوثاوس	ادفا
١٠- « انبا بيجول	بحاجر ادفا
١١- « الشهيد مرقوريوس	اخميم
١٢- « الست دميانة	«
١٣- « مار جرجس	«
١٤- « السيدة العذراء	«
١٥- « دير الشهداء	«
١٦- « الملاك ميخائيل	«
١٧- « الشهيد تاوضروس	الصوامعة
١٨- « انبا توماس	الصوامعة
١٩- « « بلخوم	«
٢٠- « « شنودة	«
٢١- « السيدة العذراء	المنشاة
٢٢- « مار جرجس	«
٢٣- « انبا ابصادة	بالحاجر شرق المنشاة
٢٤- « السيدة العذراء	العسيرات
٢٥- « مار يوحنا	البربا
٢٦- « كنيسة السيدة العذراء	جرجا
٢٧- « مار جرجس	«
٢٨- « « «	شرق جرجا

(٧) (الدير الابيض) انظر اللوحتين رقم ٤٥ ، ٤٨ .

(٨) الدير الاحمر - انظر اللوحتين رقم ٤٩ ، ٥١ .

(١١) مقر كرسي الأسقف .

تابع آيروشية كرسي جرجا واخميم

أسماء الكنائس	الجهة
٢٩- « الملاك ميخائيل	«
٣٠- « الشهيد مرقوريوس	الزوائقة
٣١- « مار جرجس	بيت خلاف
٣٢- « السيدة العذراء	الزلقور
٣٣- « مار جرجس	العلوانية
٣٤- « انبا شنودة	«
٣٥- « الملاك ميخائيل	الشيخ مرزوق
٣٦- « انبا مويساس	العراية المدفونة
٣٧- « السيدة العذراء	برديس
٣٨- « « «	البلينا
٣٩- « انبا شنودة	البسكية
٤٠- « السيدة العذراء	شرق الخيام
٤١- « الشهيد فيلوثاوس	« «
٤٢- « الملاك ميخائيل	الكشح
٤٣- « انبا شنودة	«
٤٤- « مار جرجس	ناحية الجبل
٤٥- « « «	بهجورة
٤٦- « السيدة العذراء	فرشوط
٤٧- « انبا بضابا	بالجبل تبع فرشوط
٤٨- « « شنودة	ناحية القارة

(٣٦) في أبيدوس .

ابروشية كرسى قنـا

اسـماء الكنائس	الجهـة
١ ـ كنيسة دير انبـا بلامون	القصر والصـياد
٢ ـ « انبا بيشوى وانبا بسنتاوس	السـالية
٣ ـ « السيدة العذراء	قنـا
٤ ـ « مار جرجس	«
٥ ـ « الست دميانة	«
٦ ـ « الملاك ميخـائيل	دندرة
٧ ـ « « «	نقـادة
٨ ـ « السيدة العذراء	بحاجـر نقـادة
٩ ـ « الملاك ميخائيل	بحـاجر «
١٠ـ « دير الصليب وانبا شنودة	« «
١١ـ « انبـا ابنداوس	« «
١٢ـ « مار جرجس	« «
١٣ـ « « بقطر	« «
١٤ـ « انبا بسنتاوس	« «
١٥ـ « القديس مرقوريوس	قوص
١٦ـ « الشهيد استفانوس	«
١٧ـ « مار بقطر	«
١٨ـ « انبـا شنودة	الـعزب
١٩ـ « مسـتجدة	دشـنا
٢٠ـ « مستجدة	مسـتجدة
٢١ـ « كنيسة السيدة العذراء	المنلمبـة
٢٢ـ « دير باخوم	الزينـة

ابروشية كرسى اسـنا

أسماء الكنائس	الجهـة
١ ـ كنيسة مار مينا العجـائبى	حاجر هو
٢ ـ « مار جرجس	« البلاص
٣ ـ « انبـا باخوم	« الاقصر
٤ ـ « مار أنطونيوس	الاقصر
٥ ـ « الملاك ميخائيل	قامولا
٦ ـ « تاوضروس المشرقى	حاجر البحيرات
٧ ـ « مار جرجس	الرزيقـات
٨ ـ « القديس الفاخورى	اصفون المطاعنـة
٩ ـ « السيدة العذراء	اسـنا
١٠ـ « الست دولاجى	«
١١ـ « دير الشهداء	حاجر اسـنا
١٢ـ « انبـا باخوم	« ادفو
١٣ـ « السيدة العذراء	اصوان

إضافة من المترجم :

القوائم التى أوردها المؤلف فى هذا الملحق لها قيمة تاريخية فقـط ولكنها تخالف الواقع الحالى سنة ١٩٩٩ وقت صدور هذه الترجمة حيث تزايد عدد الكنائس وتم تعمير العديد من الأديرة القديمة كما تزايد عدد الأساقفة الذين يشرفون على كراسى اسقفية والأساقفة العموميين الذين يحملون لقب (أسقف عام) ويؤدون خدمات عامة لصالح كافة الكنائس القبطية وكذلك تزايد عدد الكهنة والرهبان خاصة مع انشاء اسقفيات قبطية فى المهجر لخدمة عشرات الكنائس التى أقيمت فى المهجر .

المؤلف :

سومرز كلارك : معمارى وعالم آثار انجليزى ولد فى مدينة برايتون بانجلترا فى عام ١٨٤١ وتوفى فى سنة ١٩٢٦ . تخصص فى دراسة العمارة ، ثم اتجه الى دراسة الترميم الأثرى ، وعمل فى مؤسسة سير جلبرت سكوت الشهيرة . وقد اجتذبه سحر مصر ، وظل يعمل فيها حتى وفاته . واجرى حفائر فى دير القديس ارميا فى سقارة ، ورمم الكثير من المعابد المصرية . ومن اهم أعماله هذا الكتاب الذى نشر فى اكسفورد عام ١٩١٢ ، بما يكسبه قيمة تاريخية كبرى ، لان الكثير من المناطق التى تعرض لها بالوصف فى النوبة قد غمرتها مياه بحيرة ناصر بعد بناء السد العالى .

المترجــــم :

ابراهيم سلامة ابراهيم : كاتب ومترجم مصرى ، ولد فى القاهرة فى عام ١٩٣٨ ، وتخرج فى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة فى عام ١٩٦١ ، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر فى كلية الاعلام بجامعة القاهرة ، وله الكثير من المؤلفات والترجمات فى مجالات مختلفة ، منها الدراسات النفسية والدينية والتاريخية والاثرية ، من أهمها التوافق النفسى لتوماس هاريس ، والكنائس القبطية القديمة لالفريد بتلر ، ورحلة الالف ميل لاميليا ادواردز ، والطب النفسى والتحليل النفسى لاريك برن .

المراجـــــع :

د. جودت جبرة : احد كبار المتخصصين فى الآثار والدراسات القبطية . ولد فى الاقصر فى عام ١٩٤٧ ، وحصل على ليسانس الآثار المصرية من جامعة القاهرة فى عام ١٩٦٧ ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة مينستر فى المانيا الغربية فى عام ١٩٨٣ . وقد حاضر فى الكثير من الجامعات الأوروبية والامريكية . ونشر الكثير من الدراسات فى القبطيات ، من اهمها ثلاثة كتب عن المتحف القبطى والكنائس القبطية القديمة بالقاهرة .

كشـاف أبجـدى

(ا)

(ب)

(ت ، ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د ، ذ)

(س)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

صدر من هذه السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية
وليم بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية
و. د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي
ج. كارفيل، تبسيط المفاهيم الهندسية
ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر

د. محمد نعمان جلال، حركة عدم الانحياز في عالم متغير
اريك موريس، الآن هو، الإرهاب
ممدوح عطية، البرنامج النووي الإسرائيلي
ازرا . فوجل، المعجزة اليابانية (٢ ج)
د. السيد نصر الدين، إطلالات على الزمن الآتي
بول هاريسون، العالم الثالث غداً
مجموعة من العلماء، مبادرة الدفاع الاستراتيجي، حرب الفضاء
و. مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر
بادي أونيمود، أفريقيا الطريق الآخر
فانس بكارد، إنهم يصنعون البشر (٢ ج)
مارتن فان كريفلد، حرب المستقبل
الفين توفلر، تحول السلطة (٢ ج)
ممدوح حامد عطية، إنهم يقتلون البيئة
السيد أمين شلبي، جورج كينان
يوسف شرارة، مشكلات القرن الحادي والعشرين والعلاقات الدولية
د. السيد عليوه، إدارة الصراعات الدولية
د. السيد عليوه، صنع القرار السياسي
جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب (٢ ج)
إمانويل عيمان، الأصولية اليهودية

ثالثاً: الاقتصاد

نورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا
سامي عبد المعطي، التخطيط السياحي في مصر
جابر الجزار، ما ستر يحث والاقتصاد المصري
ميكائيل البيء، الانقراض الكبير
ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية الاقتصادية
فيكتور مورجان، تاريخ النقود

رابعاً: العلوم والتكنولوجيا

فورنر هيزنبرج، الجزء والكل محاورات في مضمار الفيزياء الذرية
فريد هويل، البذور الكونية
وليام بيتر، الهندسة الوراثية للجميع
جوهان دورشنر، الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد
اسحق عظيموف، الشموس المتفجرة (أسرار

السوبولوطا)
روبرت لافور، البرمجة بلغة السي باستخدام توربوسي (٢ ج)
ادوارد ايه فايجنباوم، الجيل الخامس للحاسوب
محمود سرى طه، الكمبيوتر في مجالات الحياة
مصطفى عنان، الميكروكمبيوتر
ى. رادو تسكايا جابوتسكى، الإلكترونيات والحياة الحديثة
فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء
كاتى ثير، تربية الدواجن
محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج
لارى جونيك، الهندسة الوراثية بالكاريكاتير
جينا كولاتا، الطريق إلى دوللى
دوركاس ماكلينتوك، صور أفريقية: نظرة على حيوانات أفريقيا
اسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة
د.مصطفى محمود سليمان، الزلازل
بول دافيز، الدقائق الثلاث الأخيرة
وليام . ماثيور، ما هي الجيولوجيا
اسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل
ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان
محمود سرى طه، الاتجاهات المعاصرة للطاقة
بانش هوفمان، آينشتين
زافيلسكى ف. س.، الزمن وقياسه
ج. هوز، تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
د.فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء
رولاند جاكسون، الكيمياء في خدمة الإنسان
إبراهيم القرضاوي، أجهزة تكييف الهواء
ديفيد الدرتون، تربية أسماك الزينة
أندريه سكوت، جوهر الطبيعة

إيجور إكيموشكين، الإيثولوجي
إدوارد دو بونو، التفكير العملي

خامساً: مصر عبر العصور

محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء
فرانسوا دوماس، آلهة مصر
سيريل ألدريد، أخناتون
د. ليونار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر
موريس بوكاي، صناع الخلود
كنث . كتشن، رمسيس الثاني: فرعون المجد والانتصار
ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة
ونفرد هولمز، كانت ملكة على مصر
جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ في مصر
نفتالى لويس، مصر الرومانى
عبده مباشر، البحرية المصرية من محمد على للسادات (١٨٠٥-١٩٧٣)
د. السيد أبو سديرة، الحرف والصناعات في مصر الإسلامية
أ. أ. س. ادواردز، أهرام مصر
سومرز كلارك، الآثار القبطية في وادى النيل
كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية
بيل شول وأدبيت، القوة النفسية للأهرام
جيمس هنري برستد، تاريخ مصر
د. بيارد دودج، الأزهر في ألف عام
أ. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة
ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة في

مصر (ج٢)
روز اليندم، الطفل المصري القديم
ج. و. يكفرسون، الموالد في مصر
جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية
سوزان راتيه، حتشبسوت
مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر
أولج فولكوف، القاهرة مدينة الألف ليلة وليلة
د. محمد أنور شكري، الفن المصري القديم
ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة
لورد كرومر، الثورة العرابية
إيفان كونج، السحر والسحرة

سادساً: الكلاسيكيات

جاليليو جاليليه، حوار حول النظامين الرئيسين للكون (٣ج)
وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (٣ج)
أبو الفتح الفردوسي، الشاهنامة (٢ج)
أدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها
ناصر خسرو علوي، سفر نامة
فيليب عطية، ترانيم زرادشت

سابعاً: الفن التشكيلي والموسيقى

عزيز الشوان، الموسيقى تعبير نغمي ومنطق
ألويز جرايتر، موتسارت
شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي
ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير
د.غبريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي
روبن جورج كولنجوود، مبادئ الفن
مارتن جك، يوهان سبستيان باخ
ميخائيل ستيجمان، فيفالدي
هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن
أدامز فيليب، دليل تنظيم المتاحف
حسام الدين زكريا، انطون بروكنر
جيمس جينز، العلم والموسيقى
هوجولا يشتريت، الموسيقى والحضارة
محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع الأوركسترالي
صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر
أدموندو سوليمي، ليوناردو

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان
س. م. بورا، التجربة اليونانية
جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام
. د. جرن، الحيثيون
ل.ديلابورت، بلاد ما بين النهرين
ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية
آدم متز، الحضارة الإسلامية
جوزيف نيدهام، تاريخ العلم والحضارة في الصين
ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية
سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية

تاجور شين بن بنج وآخرون، مختارات من الآداب الآسيوية

محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية

مختارات من الشعر الأسباني: في

جابرييل جارسيا ماركيز، الجنرال في المتاهة

سوريال عبد الملك، حديث النهر

د. رمسيس عوض، الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وبعدها

مختارات من الأدب الياباني: الشعر - الدراما الحكاية القصة القصيرة

ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر

نادين جورديمر وآخرون، سقوط المطر وقصص أخرى

رالف إي ماتلو، تولستوي

والتر آلن، الرواية الإنجليزية

هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال

مالكوم برادبري، الرواية اليوم

لوريتو تود، مدخل إلى علم اللغة

إفور إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية

ج. س. فريزر، الكاتب الحديث وعالمه (٢ج)

جورج ستاينر، بين تولستوي ودستويفسكي (٢ج)

ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية

فيكتور برومبير، ستندال

فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى

بانكر لافرين، الرومانتيكية والواقعية

د. نعمة رحيم العزاوي، أحمد حسن الزيات كاتبا وناقدا

ف. برميلوف، دستويفسكي

لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل البيلوجرافي

محسن جاسم الموسوي، عصر الرواية: مقال في النوع الأدبي

هنري باربوس، الجحيم

ميخائيل دي ليبس، القرآن

روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي

بابلو نيرودا، النشيد (مختارات شعرية)

إفور إيفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزي

مجدي أبو السعود، في الأدب المقارن

سليمان مظهر، أساطير من الشرق

صفاء خلوصي، فن الترجمة

ف. ع. أدينكوف، فن الأدب الروائي عند تولستوي

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجين، الإعلام التطبيقي

بيو اليو، الصحافة

هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومية في السينما

ج. دادلي، نظريات الفيلم الكبرى

روي آرمز، لغة الصورة في السينما المعاصرة

هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاورات)

جان لويس بوري وآخرون، في النقد السينمائي الفرنسي

محمود سامي عطا الله، الفيلم التسجيلي

ستانلي جيه سولومون، أنواع الفيلم الأمريكي

جوزيف وهارى فيلدمان، ديناميه الفيلم
قدري حفني، الإنسان المصري على الشاشة
سون براح، السينما العربية من الخليج إلى المحيط
حسين حلمي المهندس، دراما الشاشة :بين النظرية والتطبيق للسينما والتليفزيون (٢ ج)
إدوارد بري، عن النقد السينمائي الأمريكي
جوزيف م. بوجز ، فن الفرجة على الأفلام
سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء
دوايت سوين ، كتابة السيناريو للسينما
هاشم النحاس، نجيب محفوظ على الشاشة
يوجين فال، فن كتابة السيناريو
دانيل اريخون، قواعد اللغة السينمائية
كريستيان سالبه ، السيناريو في السينما الفرنسية
ـ آلان كاسبيار، التذوق السينمائي
تون بار، التمثيل للسينما والتلفزيون
بيتر نيكولز، السينما الخيالية
بول وارن، خفايا نظام النجم الأمريكي
دافيد كوك، تاريخ السينما الروائية

تاسع عشر: كتب غيرت الفكر الإنساني

سلسلة لتلخيص التراث الفكري الإنساني في صورة عروض موجزة لأهم الكتب التي ساهمت في تشكيل الفكر الإنساني وتطوره مصحوبة بتراجم لمؤلفيها وقد صدر منها ٩ أجزاء.

تاسعا: التاريخ

جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
هنري بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى
أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق
بول كولز، العثمانيون في أوربا
جوناثان ريلي سميث ، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية
د.بركات أحمد، محمد واليهود
ستيفن أوزمنت، التاريخ من شتى جوانبه (٣ ج) و.
بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى،
فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوربا الشرقية
ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية (٢ ج)
نويل مالكوم، البوسنة
جاري ب . ناش، الحمر والبيض والسود
أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (٢ ج)
آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم
ناجاي متسيو، الثورة الإصلاحية في اليابان
محمد فؤاد كوبريلي، قيام الدولة العثمانية
د. إيرار كرم الله، من هشيم التتار
ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية
ليان .وبد جري، التاريخ وكيف يفسرونه (٢ ج)
جوسبي دي لونا، موسوليني
جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية
هـ . ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (٤ ج)
يوهان هويزنجا، اضمحلال العصور الوسطى
هـ ج ويلز، موجز تاريخ العالم

عاشرا: الجغرافيا والرحلات

ت.و. فريمان، الجغرافيا في مائة عام
ليستر ديل راي، الأرض الغامضة
رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)
اميليا ادواردز، رحلة الألف ميل
رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)
رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (٣ ج)
رحلة عبد اللطيف البغدادي
رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (٣ ج)
يوميات رحلة فاسكو داجاما
س . هوارد، أشهر الرحلات في غرب أفريقيا
إريك أكسيلون، أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا

حادي عشر: الفلسفة وعلم النفس

جون بورر، الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)
سولبرايه الفلسفة الجوهرية
جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الغريب
سدني هوك، التراث الغامض: ماركس والماركسيون
إيفري شاتزمان، كوننا المتمدد
ادوارد دوبونو، التفكير المتجدد
رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحماقة
جوليا هاريس التوافق النفسي: تحليل المعاملات
د. أنور عبد الملك، الشارع المصري والفكر
نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد
أنطوني دي كرسبني، أعلام الفلسفة المعاصرة
جين وروبرت هاندلي، كيف تتخلصين من القلق؟
هـ . ج. كريل، الفكر الصيني
أوجست ديس، أفلاطون
د. السيد نصر الدين، الحقيقة الرمادية

برتراند راسل، السلطة والفرد
مارجريت روز، ما بعد الحداثة
كارل بوبر، بحثا عن عالم افضل
ويتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى
د. روجر ستروجان، هل تستطيع تعليم الأخلاق للأطفال
إريك برن، الطب النفسي والتحليل النفسي
بورتون بورتر، الحياة الكريمة (٢ ج)
فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوروبي الحديث (٤ ج)
هنري برجسون، الضحك
أرنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية
يعقوب فام، البراجماتية

ثاني عشر: العلوم الاجتماعية

أ
د.محيى الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
م. و ترتج، ضمير المهندس
رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع
روى روبرتسون، الهيروين والإيدز
بيتر لوري، المخدرات حقائق نفسية
ليوبر سكاليا، الحب
برنسلاو مالينوفسكي، السحر والعلم والدين
بيتر رداي، الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي
تيل جيوهارت، تعليم المعوقين
ارنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة
رونالد ... العلم والطلاب والمدارس

ثالث عشر: المسرح

لويس فارجاس، المرشد إلى فن المسرح
برونو باتشيكي، حلقة ماليكان
جلال العشري، فكرة المسرح
جان بول سارتر ؛ جورج برناردشو؛ جان أنوى مختارات من المسرح العالمي
د.عبد المعطي شعراوي، المسرح المصري المعاصر أصله وبدايته
توماس ليبهارت، فن المايم والبانتومايم
زيجمونت هبنر، جماليات فن الإخراج
يوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ ج)

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيدوروفيتش سوجيف، وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء
د.جون شندلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة
د.ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب
م. هـ. كنج، التغذية في البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام والقصص الأخرى
ألدس هكسلي، نقطة مقابل نقطة
جول ويست، الرواية الحديثة : الإنجليزية والفرنسية
أنور المعداوي، علي محمود طه: الشاعر والإنسان
جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٥٠٣/١٩٩٩

ISBN - 977 - 01 - 6149 - 7

تسعى الهيئة المصرية العامة للكتاب من خلال دورها التنويري إلى الكشف عن ينابيع الثقافة المصرية وجذورها الحضارية عبر العصور، ومن بينها الحقبة القبطية التى تعتبر حلقة الوصل بين الحضارة الفرعونية والإسلامية والتى مازالت مؤثراتها الروحية وقيمها النبيلة تعمل بين أبناء شعبنا جنباً إلى جنب مبادئ الفكر الإسلامى مشتركة معه فى تشكيل أسس الحياة على أرض وادى النيل.

وهذا الكتاب يميط اللثام عن الآثار المسيحية فى وادى النيل ويعتبر استكمالاً للجهد الذى بذله المؤرخ الإنجليزى "ألفريد بتلر" فى كتابه عن: الكنائس القبطية القديمة فى مصر. وإن كان بمنظور أوسع حيث إنه تحدث عن الآثار القبطية فى النوبة والسودان، كما توسع فى عرض ما أورده بتلر بإيجاز مثل وصف الدير الأبيض والدير الأحمر بالقرب من سوهاج وكنائس نقادة وغير ذلك. وهو يتحدث عن عمارة الكنائس والأديرة القديمة فى وادى النيل بما فيها تلك التى اندثرت ولم يتبق منها سوى الأطلال. كما يزخر الكتاب برسومات العشرات من الكنائس المندثرة التى توصل إلى اكتشافها بعد جهد جهيد فى البحث والتنقيب، بالإضافة إلى عشرات المساقط التى أورد رسومها التخطيطية والخرائط العديدة التى تبين مواقع هذه الآثار موزعة على كافة أرجاء وادى النيل خاصة فى النوبة والسودان.

وإن هذا الكتاب يمثل جهداً عظيماً ونموذجاً طيباً لكمال ودقة البحث العلمى الذى يسمو بفكر القارئ ويحلق به فى آفاق التاريخ.



٩٢٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة